ملوك الدنيا الأربعة 2

المِلكُ النَّمْرودُ
أوَّلُ جَبَابِرَةِ الأرضِ

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



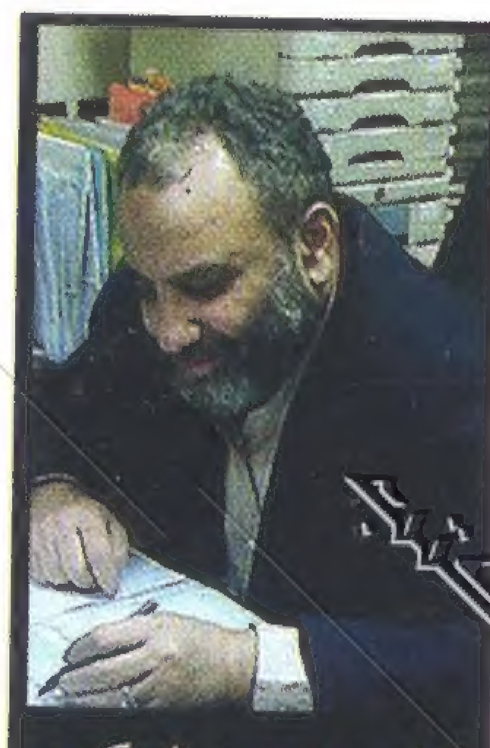
المِلكُ النَّمْرودُ
أوَّلُ جبابرةِ الأرضِ

الملك النمرود،عرف عند المسلمين بنمْرُود أو نمْرُوذ ،وذكر نمرود في التراث الإسلامي في العديد من كتب المفسرين للقرآن والمؤرخين العرب والمسلمين،إلاأنه اختلف في نسبه،منهم من ذكر أنه "نمروذ بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح" أو أنه "نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح"أو أنه ابن ماش بن ارام بن سام،ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، والطبري في شرحه والقلقشندي كذلك بأنه "نمرود بن كوش" وصولا إلى حام بن نوح.ولم يخالفهم في ذلك إلا ابن كثير في البداية والنهاية. وهو شخصية ذكرت لأول مرة في التوراة اليهودية بالاسم كملك جبار تحدى الله ببنائه برج بابل. ولم يُذكر فى القرءان باسمه وإنما ذكر كملك جبار ادعى الإلوهية وجادل سيدنا إبراهيم فأهلكه الله .حكم بلاد ما بين الرافدين وبنى مدينة بابل وبرج بابل،أقدم ذكر للنمرود في التوراة كان من خلال أنساب سفر التكوين فيما يعرف بجدول الأمم.الذي يوضح أنه ابن كوش، حفيد حام، وابن حفيد نوح ؛ وبأنه «ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ».

وتقرأ فى هذا الكتاب قصة هذا الملك الطاغية وكل ما قيل عنه فى القرءان وكتب التفاسير والتواريخ وفى كتب أهل الكتاب،فهو أول جبار في الأرض وكان أحد ملوك الدنيا الأربعة وهو من الملوك الكافرين.

وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية واستمر في ملكه أربعمائة سنة .

وتقرأ عن قصته مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام كما ذكرها الله فى القرءان الكريم حيث يشرح المفسرون أن إبراهيم ونمرود تواجها لإظهار الإله الحقيقي الذي يستحق العبادة، أهو نمرود أم الله. وعندما فشل نمرود في محاججته، أمر بحرق إبراهيم بالنار والتي تحولت على إبراهيم بردا وسلاما. وتقرأ عن نهايته وهلاكه بواسطة بعوضة تحقيرا لشأنه،وتقرأ عن رأى المؤلف فى كون النمرود هو المسيح الدجال فى أحد ظهوراته بعد الطوفان. إنه كتاب جدير بك عزيزي القارئ أن تقرأه وتنصح غيرك باقتنائه وقراءته.



منصور عبد الحكيم

I.S.B.N. 978-977-376-815-6
6 952493 293336
دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة

سلسلة ملوك الدنيا الأربعة

(2)

النمرودُ

أوَّلُ جَبَابرةِ الأرضِ

وأولُ مَنْ أسَّسَ النظامَ العالميَّ

في العصر القديمِ

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران: ٢٦]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ندَّ له ولا مثيل له، مالك الملك وخالق الكون ومدبر الأمر، خلق الخلق وقدر الأرزاق فلم ينس أحداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واتبع هداه إلى يوم القيامة.

ثم أما بعد،،

فهذا الكتاب عن النمرود الذي ملك الأرض وسيطر عليها وأحد جبابرتها العظام عُرف عند المسلمين باسم النمرود بن كنعان وذكر في التوراة (العهد القديم) عند أهل الكتاب باسم الملك الجبار الذي تحدى الله وقام ببناء برج بابل وارتبط اسمه ببلاد الرافدين بابل (العراق حالياً).

وهو من شخصيات القرآن الكريم كما قال أهل التفسير أنه المعني في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث جادله عن ربه وعاقبه بمحاولة إحراقه في النيران العظيمة فنجاه الله منه، ولكن القرآن الكريم لم يسم نمروداً بالاسم احتقاراً له لأنه ادعى الإلوهية.

ولكن بعض المؤرخين والمفسرين قد شكك في كون الملك الطاغية الذي عاصر إبراهيم عليه السلام هو النمرود وإنما ملك آخر يدعى «هيزن» أو «هيرين» من أصل فارسي عربي (كردي).

وكذلك ذُكر النمرود في أدبيات الماسونية العالمية كأحد رموزها الهامة هو وزوجته.

المهم أن النمرود أحد الذين ملكوا الأرض كما ذكرنا ذلك في كتابنا «الملك النبي سليمان عليه السلام» فالذين ملكوا الأرض أربعة ملوك اثنان كافران هما النمرود ونبوخذ نصر واثنان مؤمنان هما سيدنا سليمان الملك النبي عليه السلام وكذلك الملك النبي ذو القرنين.

وفي هذا الكتاب نستعرض ما قيل حول هذا الملك في كتب التاريخ والقرآن والعهد القديم وفي ثقافات الشعوب الأخرى.

نسأل الله أن يوفقنا إلى إخراج هذا العمل على الوجه الذي يرضيه ويتقبله منّا ويكون في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

منصور عبد الحكيم
mansor2455@yahoo.com

1

النمرود على أرض الكلدانيين

- الكلدانيون على أرض بلاد ما بين النهرين.
- النماردة وملوك الكلدانيين والعلوم المتنوعة.
- «بابل» عاصمة دولة الكلدانيين وعاصمة مملكة النمرود «بهاء الممالك».
- مملكة النمرود أول دولة في بلاد ما بين النهرين تظهر بعد طوفان نوح عليه السلام والحياة في بلاد الكلدانيين.
- النمرود وزمانه.

الكلدانيون على أرض بلاد ما بين النهرين

أرض الكلدانيين هي أرض بلاد ما بين النهرين وأرض البابليين القدماء أو ما تعرف حالياً بأرض العراق التي شهدت أول حضارة على الأرض قبل الطوفان حضارة السومريين وشهدت حكم أحد جبابرة الأرض وقيل أولهم الملك النمرود.

والتاريخ الإنساني ينقسم إلى عصور ثلاثة عصر ما قبل الطوفان وعصر ما بعد الطوفان (قبل الميلاد) وعصر ما بعد الميلاد (ميلاد السيد المسيح).

وقد شهد عصر ما قبل الطوفان (طوفان نوح)[1] الحضارة السومرية على أرض بلاد ما بين النهرين وهي أول حضارة عرفها الإنسان وتم اكتشاف آثارها وألواحها في العراق منذ ما يزيد عن مائة وخمسين عاماً، ومؤخراً تيقن علماء الآثار إلى وجود شعب سكن منطقة وسط وجنوب العراق القديم وهي منطقة الشعب السومري بما يقرب من ثلاثة قرون وكان يعيش حياة حضارية في المدن التي أنشأها مثل مدن: كيش وأور وأوروك وأريدو، وقد أطلق المؤرخ «لاندزبيركر» وبعض المؤرخين العراقيين على هذا الشعب اسم «الفراتيين الأوائل» نسبة إلى نهر الفرات.

وفي المدونات الرافدية القديمة وردت تسمية سكان العصر البابلي القديم باسم «كلداجي أوجيت منا» وهي التسمية التي أطلقها عليهم المطران يعقوب في معجمه دليل الراغبين وهو قاموس كلداني عربي وسمي لغتهم (كلدثيا) وانتسابهم الجغرافي (كلديوثا)، وترجمها العرب إلى «كلدان»، فالكلدان تعني الجبابرة وأشهر ملوكهم

---

١ - اقرأ كتابنا (طوفان نوح عليه السلام) ففيه المزيد عن طوفان نوح عليه السلام وقومه وأين عاشوا، الناشر دار الكتاب العربي.

هو النمرود، وهي أول دولة ظهرت بعد عصر الطوفان عام ١٨٨١ق.م[١]، وكانت عاصمتهم «بابل».

وجاء تسميتهم في العهد القديم باسم كسديم أو كشديم أي الجبابرة أو المنتصرين، ودعاهم اليونانيون بـ «كالدنيس».

قام العصر الكلداني القديم على أساس المالك وكانت ممالك قوية منذ الجيل الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت تلك المالك تشمل مساحات كبيرة من وسط وجنوب بلاد ما بين النهرين بالإضافة إلى جنوب غربي إيران الحالية وكل سواحل الخليج وجزره وعلى رأسها جزيرة الديلمون (البحرين حالياً) وجزيرة «فيلكا»[٢].

وكان يطلق على بلاد الكلدانيين قديماً بلاد البحر لكثرة أهوارها وبحيراتها.

ومن أهم المالك الكلدانية:

- مملكة «بيث - ياقين» Beth-yakin وعاصمتها «دور - ياقين» Dur-yakin، وتقع تلك المملكة بين الناصرية والبصرة، وتشمل الحوض الأسفل من الفرات وشواطئ الخليج وجزره حتى الخليج العُماني وكان من أشهر ملوكها الملك مردوخ بلادان (٧٣٣ - ٧١٠ ق.م) ونودي به ملكاً على المملكة البابلية بعد أن سيطر على مدينة بابل الواقعة تحت السيطرة الأشورية وقام بتوحيد كافة المالك والقبائل الكلدانية تحت حكمه، ولكن الملك سرجون الثاني الأشوري (٧٢٢ - ٧٠٥) انتصر عليه عام ٧٢١ ق.م واستعاد بابل منه.
- مملكة بيث - أموكاني الواقعة في حوض دجلة الأسفل وعاصمتها «شيبا» «Shipia» وملكها (تابو موكن زيرى) مؤسس سلالة بابل العاشرة في القرن الثامن قبل الميلاد بيث - شعالى، ومملكة بيث شيلاني ومملكة بيث أموكاني.

وكانت تلك المالك تزدهر بوضع اقتصادي مزدهر يعيش أهلها في رغد العيش،

١- انظر ذخيرة الأذهان جـ٢ - بطرس نصري، وكتاب عظمة بابل للمؤرخ هاري ساكز - ترجمة: د. عامر سليمان.

٢- تابعة لدولة الكويت حالياً.

وكانت أراضيهم وافرة المحاصيل بفضل وتوافر مياه الري من نهري دجلة والفرات.

وكانت «بابل» عاصمة للدولة الكلدانية، وكان يطلق عليهم قدامى البابليين، وهم الورثة الحقيقيون للحضارة السومرية وللأكاديين حتى إن مدينة أور السومرية القديمة صارت تعرف في القرن السادس قبل الميلاد بمدينة أور الكلدانية.

وكانت أول دولة نشأت بعد الطوفان هي دولة الملك النمرود في بابل الكلدانية وكذلك آخر دولة في أرض بلاد الرافدين بعد القضاء على دولة أشور بين عامي ٦١٢ - ٦٠٩ ق.م هي دولة خضعت للحكم الكلداني إلى عام ٥٣٩ ق.م، فقد سقطت الدولة الكلدانية على يد كورس العيلامي بعد أن أخضع بابل الكلدانية لحكمه.

والشعب الكلداني عانى من الاحتلال على مدار تاريخه القديم وقام بثورات تحررية ضد المحتلين الغزاة كما أن شعب بلاد ما بين النهرين على مر العصور قد ورث ذلك أيضاً من أجدادهم الكلدانيين حتى العصر الحالي، فقد استمرت الدولة الكلدانية بين الحكم والاحتلال من بعد طوفان نوح عليه السلام حتى ٦١٢ قبل الميلاد.

فقد قاوم الكلدانيون احتلال العيلاميين لبلادهم وحرروها من غزوهم وخاضوا حروباً أخرى دامت ألف سنة مع الأشوريين وانتصروا عليهم عام ٦١٢ ق.م، واستطاع العيلاميون من احتلال أراضيهم عام ٥٣٩ ق.م. ثم قام الكلدانيون بثورات ضدهم وظلت الأراضي الكلدانية تحت سيطرتهم حتى الحكم العربي الإسلامي فيما بعد الميلاد ما بين النهرين والتي عرفت بالعراق العربي.

وكان أول ذكر للدولة الكلدانية التي قامت على نهر الفرات في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق) في العهد القديم سفر التكوين حين ذكر مدينة أور كمسقط رأس أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث ذكر خروج أبي إبراهيم (تارح) بابنه وزوجة ابنه من مدينة أور حيث جاء فيه: وأخذ تارح إبرام (إبراهيم) ابنه ولوط بن هاران ابن ابنه وساراى (سارة) كنته امرأة إبرام. فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان: فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك.

وبالتالي فإبراهيم عليه السلام من الشعب الكلداني.

النماردة ملوك الكلدانيين والعلوم المتنوعة

يقول الأب انستاس الكرملي في كتابه لغة العرب أن الكلدان أمة عظيمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك كان منها النماردة الجبابرة الذين أولهم نمرود الجبار ابن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

قيل إن النماردة أو النمرود مثل الفراعنة أو الفرعون والنجاشية والنجاشي، لقب للملوك، وقيل إنه اسم لملك بابل العظيم أول مؤسس لدولة كبرى بعد الطوفان.

وقد ذكر المؤرخون أسماء عديدة للنماردة التي حكمت بلاد بابل منهم: نمرود بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو صاحب النسور، ونمرود بن ماش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، ونمرود بن سنجار بن نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

ونمرود بن ساروغ بن أرغو بن مالخ، ونمرود بن كنعان بن المصاص بن نقطا.

والغالب أن النمرود هو اسم وليس لقباً بدليل تعدد النماردة من سلالة النمرود الأول نمرود بن كنعان، وقد اختلف المؤرخون والمفسرون في اسم النمرود الذي عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وأمر بإلقائه في النار كما سيأتي ذكره في حينه إن شاء الله تعالى.

وأما إمبراطورية الكلدان غير دولة الكلدان حيث تأسست على يد الإمبراطور سرجون الأكدي وأما ما قبله فهم ملوك، وقد أسس الكلدان شعباً سكن شواطيء الخليج منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد وقد عرفت تلك السلالة بسلالة الأمراء.

وكان شعب الكلدان أول من وضع الكتابة على طريقة التهجئة وانتشر أسلوبهم في الكتابة بين الأشوريين والأرمن ثم باقي الشعوب الأخرى كالفرس وغيرهم. (١)

---

١ - انظر مدارس العراق قبل الإسلام - للمؤرخ روفائيل إسحاق.

وقد اشتهر علم الفلك عند الكلدانيين حتى صار مقترناً باسمهم عبر التاريخ وهذا العلم مرتبط بالنجوم والكواكب وقد ذكر عبادتهم للنجوم والكواكب في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام زمن النمرود بن كنعان كما سيأتي ذكره في حينه.

ولشهرة التنجيم البابلي أطلق عليه العلم الكلداني، وقد بشر الكلدانيون بميلاد السيد المسيح عن طريق النجوم كما ذكر ذلك العهد الجديد (الأناجيل الأربعة).

وقد ذكر المؤرخ «أوبنهايم» في كتابه «بلاد ما بين النهرين» أن علم الفلك الكلداني كان من الشهرة بالنسبة للكلدان حتى أصبح مرادفاً لاسمهم... ولشهرة التنجيم البابلي أطلق عليه «العلم الكلداني».

وذكر العهد الجديد أنه في الأيام الأولى لميلاد السيد المسيح كانت السماء قد بشرت الكلدانيين كأول شعب وأمة بميلاد مخلص البشرية، فأمرتهم أن يتبعوا النجم، وبكل حرص وسرور وفرح حملوا هداياهم ومارسوا علومهم الفلكية بمتابعة النجم الذي أرشدهم إلى مكان ولادة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وبالتالي فإنهم الكلدانيين أول من آمن بالمسيح وأيضاً أن يكونوا هم أول من بشّر بولادة المخلّص وبواسطتهم كان أول انتشار للإيمان المسيحي في بلاد وادي الرافدين.

ويكفيهم أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد خرج من أصلابهم وعاش في ديارهم فترة من الزمان قبل هجرته إلى بلاد الكنعانيين بالشام.

وقد تميّزت حضارة وادي الرافدين بكونها أكثر الحضارات القديمة تقدماً في علم الفلك، وقد درس الباحثون المتخصصون في علم الفلك هذه الحضارة وقدّموا كثيراً من المعلومات الفلكية القيمة التي فاقت بها الحضارات المعاصرة لها. عندما يتحدث الباحثون المتخصصون في علم الفلك والحضارات القديمة يقولون إن حضارة العراق القديمة تعدّ أهم حضارة فلكية في التاريخ القديم، وقد أكد هذه الأهمية أكثر من باحث علمي، يقول الأستاذ طه باقر: من الأمور التي أجمع عليها مؤرخو العلوم أن أُسس علم الفلَك، مثل الرياضيات، قد وضعت في حضارة وادي الرافدين قبل نحو ٤٠٠٠ سنة.

وحين تتحدث الكاتبة الفرنسية «مارغريت روثن» عن علم الفلك في بلاد بابل

تقول: إن من بين سائر العلوم التي أنشأها البابليون واستخدمها الكلدانيون يحتل علم الهيئة مكاناً مرموقاً، لا يعلو فوقه سوى الرياضيات.

وتقول أيضاً: تظهر اللوائح واليوميات المدوّنة بموجب الرصد روحاً علمية حقة.

غير أن المعارف التي وصلتنا لا تبيّن لنا بأن البابليين الكلدانيين توصلوا إلى شرح هذه الظواهر وفق نظم الفيزياء، إنما ظلت منوطة إلى آخر الأمر بمفاهيمهم الدينية التي كان علم الفلك خاضعاً لها، فبقيت النظريات الفلكية عرضاً وصفيًّا. والذي لا ريب فيه أن الفلك والتنجيم يتداخلان في هذه الحضارة كما في سائر الحضارات القديمة الأخرى.

فعلم الفلك عند أهل بلاد الرافدين ذو طبيعة دينية تنجيمية، يقول هاري ساكز: تنص قصة الخليقة بشكل خاص على أن الأرض هي القسم المقابل للسماء، ولذا فإن أي حدث في السماء لابد أن يكون له مقابل على الأرض. ويتحدث هاري ساكز عن علاقة الفلك بالتنجيم في وادي الرافدين بقوله: ومن الأمور المسلم بها بصورة عامة أن علم الفلك نشأ عن التنجيم، غير أنّ الأدلة من بلاد بابل لا تؤيد هذا الاستنتاج بصورة جلية، ومن المؤكد أن بعض الإرصادات الفلكية الأولى قد استخدمت لتزويد المادة لقراءة الطالع.

وقد اشتهر الكلدانيون بعلم التنجيم والفلك وورثها عنهم من جاؤوا بعدهم من الفرس، وكان يهتم علم التنجيم بالتنبؤات كما يقول هاري ساغز في كتابه (عظمة بابل) بأن «علم التنجيم الذي كان يعني التنبؤات، التي كانت على نوعين منها ما يؤثر على أفراد معينين وهي منتزعه من الحوادث، ومنها لا تختص شخصاً معيناً بل بالبلاد بأجمعها أو ممثلها الطقوسي وهو الملك، وهذا النوع من التنبؤات يدعى بالقانوني أو الشرعي، وعلى ضوء اللاهوت البابلي العالمي، ما يحدث في السماء فإن له ما يشابهه على الأرض» نلاحظ هنا مدى أهمية مفسري هذه التنبؤات، فلا بد أن يكونوا من الكهنة وليس سواهم، ومن هنا كان للكهنة الدور الأساسي في التأثير على السلطة والملك.

ويذكر هيرودوتس بأن معابد انو وسين في جنوب بابل كانت على شكل زقورات

على شكل مربع طول ٦٠٠ قدم وكذلك عرضه يعلو البرج الأول منه الثاني والثالث حتى الثامن وفي أعلى البرج معبد رحب فيه سرير كبير مزين أحسن زينة وبقربه منضدة من ذهب، وهو خلو من أي تمثال ولا أحد يقضي فيه الليل، سوى امرأة، ينتقيها الإله بنفسه، على حد قول الكلدانيين كهنة هذا المعبد.. «والكلدانيون كما قلنا هم الذين يمارسون السحر والتنجيم».

وقال «دولابورت» في كتابه بلاد مابين النهرين «لاقى الملك نبونئيد (ملك بابل) مشاكل عندما أراد أن يصلح التاج الذي تقرب به الملك نبو - ايال - ادين من الإله شمش سيبار في القرن التاسع كان يرغب إعادة صنعه من الذهب، ولكن شيوخ المدينة قاوموه فاستنبأ ثلاث مرات عرافي شمش وادد، فأنكروا عليه عزمه ذاك، وانصرف إلى الإله مردوخ، واذ بعرافيه يبينون رفض الآلهة لكل تجديد، فأذعن نبوبئيد لهم وأبقى التاج على حاله الأولى نلاحظ هنا سطوة وسيطرة الكلدانيين ودورهم الأساسي والرئيسي في توجيه الملك وتدخلهم بشؤون المملكة، وكأنهم هم الدولة، بهذه القوة والجبروت لا يستبعد بأن يُطلق اسمهم مجازا على الدولة فأسموها الدولة البابلية الكلدانية من قبل الذين عاصروهم أو من كتبوا عنهم أو تأثروا بهم، ونلاحظ أهميتهم ودورهم عندما ساهموا بإسقاط بابل وفتحوا أبوابها لقورش عام ٥٣٩ ق.م.

وتنقسم الأجرام السماوية عند الكلدانيين إلى مجموعتين سفلية وعلوية، والسفلية هي عطارد وعشتار، والعليا هي المريخ والمشترى وزحل، وترسم جميعها مدارات تقديرية حول الشمس وكان الفلكيين طبقة محترمة مثل الفلاسفة يمارس بعضهم ضرب الفأل والعرافة.

وكان ابيحينوس قد درس علم الفلك وأفاد أن الذي قام به الفلكيون البابليون، وهو يفوق بكثير ما قام به الأغريق.

وتقول الكاتبة مرغريت روثن في الفصل الأول[١]:

---

١ - انظر كتاب علوم البابليين - واسمه الأصلي علوم الكلدانيين لمرجريت روثن - ترجمة: الأب يوسف حبي.

«لقد كان الكلدانيون حقًّا أرباب العلم المقدس أو علم الهيئة والعرافة، حيث يمتزج العلم بالسحر».

لقد تمكن العلماء المعاصرون في بحوثهم من الكشف عن المبادئ التي اعتمدها البابليون، بحيث اصبح بمقدورنا اليوم أن نميز بين النتائج (العلمية) التي توصلوا ايها... لقد تسنى لنا أن نعتبر الكلدانيين آخر ممثلين للعلماء البابليين، بل ورثتهم الشرعيين، فلا نقيم فرقاً بينهم، إنما تمييزاً طفيفاً ليس إلا.[١]

ويذكر سفر التكوين ١١: ٢٨ وكذلك سفر أعمال الرسل ٧: ٤ بأن إبراهيم الخليل رجل من مدينة أور الكلدانيين.

ومعروف أن بلاد كلدو كانت تمثل في الحقبة المتأخرة، المنطقة الجنوبية من بابل.. وعلى حد تعبير سترابون فقد كان ثمة قبيلة كلدانية تسكن رقعة من بابل متاخمة لعرب البادية والخليج ويفيدنا كتيسياس بدوره قائلًا:

«إن الكلدان هم قدامى البابليين».

وذكرت روثن عن علم الكتابة واللغة أن التعبير عن الفكر بواسطة اللغة والكتابة، وهذه الكتابة تجري في مناطق اخرى على الخشب والجلد والبردي، نرى شعوب وادي الرافدين تستخدم الصلصال، فكانوا يصبون قطعاً صغيرة على شكل قالب صابون ثم يرسمون على الطين الطري علامات كتابتهم ثم يجففون المادة الطرية، ومكثت هذه الوثائق الطينية آلاف السنين لتصل إلينا فنفسر رموزها ومنها نعلم أن هناك كانت حضارة انسانية قد شيدت وازدهرت.

وكان هناك كتبة يختصون في هذه الكتابة وقد ثمن ديودوروس تعليم الكتبة الكلدانيين بقوله:

غير أن هذه المعارف لم تكن تعلم بالطريقة عينها لدى الأغريق. بينما فلسفة الكلدان

١- المصدر السابق.

تقليد عائلي يرثها الابن عن أبيه كوظيفة عامة. وبما أن مدربيهم هم أهاليهم فهم ينعمون سواء بتعليم المعارف كلها دونما تحفظ أو قيد.

ويمثل شخصية الكاتب القديم الكاهن الكلداني بيروسوس، الذي خدم في هيكل مردوخ في أيام أنطيوخوس سوتيرس (٢٨١/ ٢٦١ ق. م) ووضع باليونانية ثلاث مجلدات في المعتقدات البابلية [البابليات] ولم يصلنا منها سوى شذرات جمعها المؤرخ أوسابيوس القيصري ومؤرخون وكُتّاب آخرون.

أما عن الفلسفة البابلية الكلدانية فمن المعروف أن هناك ثلاثة موضوعات رئيسية تتناولها الفلسفة: الله، الطبيعة، الإنسان. نسمّي تلك الثلاثية باللاهوت وعلوم «الطبيعة» والفيزياء وما ورائها، بينما يخضع «الإنسان» لجدلية علم المنطق والأخلاق. والمواضيع الثلاثة تتداخل فيما بينها.

والشعب الكلداني كان أول الشعوب التي اتخذت من الفلسفة ميدانا للبحث والتقصي، من أوائل الشعوب التي عرفت الفلسفة وحضارتهم أقدم الحضارات الإنسانية وقد قيل الكثير عن الفلسفة الكلدانية وعُرف القليل منها، وأهمها ما يتعلق بالعلوم الفلكية التي اشتهر بها الكلدان وذاع صيتهم. فعندما استولى الإسكندر المقدوني على بلادهم، كانوا يتفاخرون بأنسابهم بغلو مفرط، إذ كانوا يدّعون بأنهم تواصلوا في رصد الكواكب والنجوم على مدى ٤٧٠٠٠٠ سنة. ويبقى التفاخر شيمة من شيم كل الأمم التي تزهو بتاريخها. كان على (ليسثينيس)، الفيلسوف والمؤرخ اليوناني الذي صحب الإسكندر في حملاته الشرقية، أن يزود أرسطو بتقرير عن أصل العلوم في بلاد الكلدان. وجاء في تقريره بأن تاريخ مراقبة ورصد علماء الكلدان للنجوم والكواكب لا يتعدى حدود سنة ٢٢٣٤ - ١٩٠٣ ق. م.

ولكن يتعارض هذا التاريخ وحسابات بطليموس الذي لم يكن بوسعه تسجيل أي أثر كلداني لرصد الأجرام السماوية يسبق عهد نبوخذنصّر أو سنة ٧٤٧ ق. م. كحد أقصى.

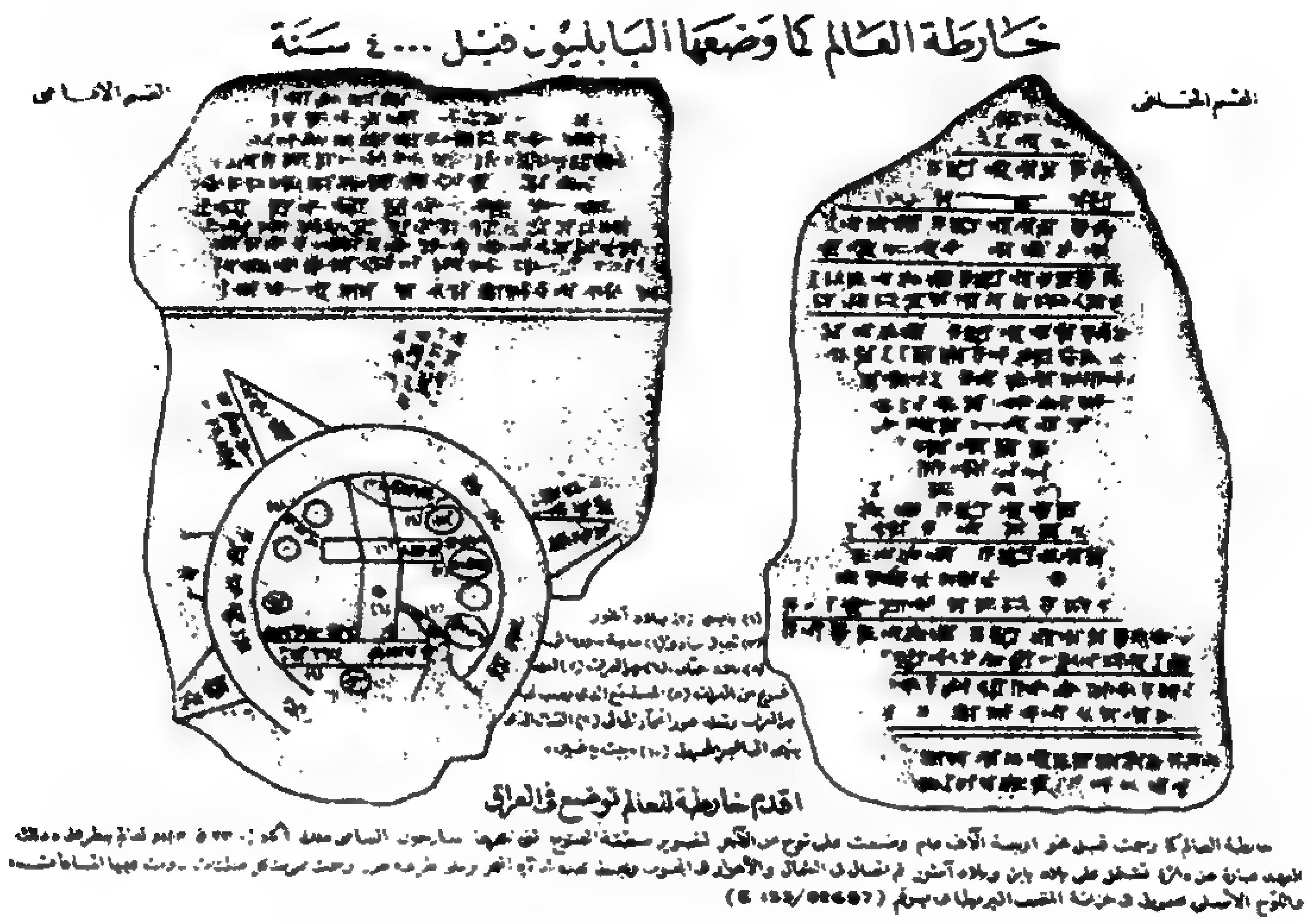
ورغم هذا الفارق الشاسع في تحديد التاريخ الدقيق، لا نشك في قدرة الكلدان على زرع بذور الفلسفة في وقت مبكر من هذا التاريخ لأن أرسطو، وفي معرض حديثه عن أقدم سجل لتاريخ الفلسفة، يتناول طقوس السحر الكلدانية التي سبقت ممارسات كهنة مصر، مما جعله يقرُّ بأن الكلدان كانوا أهل علم حتى قبل ظهور النبي موسى على ساحة الأحداث.

ولم يتسن للمؤرخين الحصول على أدلـّة عما إذا كان الكلدان قد اشتهروا بعلوم أخرى إضافة إلى علوم الشريعة المتعلقة بحركة الكواكب والنجوم. وكل ما استطاعوا الحصول عليه هو محاولات الكلدان في إقناع الجماهير بأن كل السلوك البشري مرهون بحركة الكواكب والنجوم والإفصاح عن درايتهم بالطبيعة والقوانين الكونية التي تتحكم بهذا السلوك. وفضلا عن ذلك، فقد دأب حكماء الكلدان على التظاهر بأن ما من أحد يجاريهم في قراءة الطالع والمواليد.

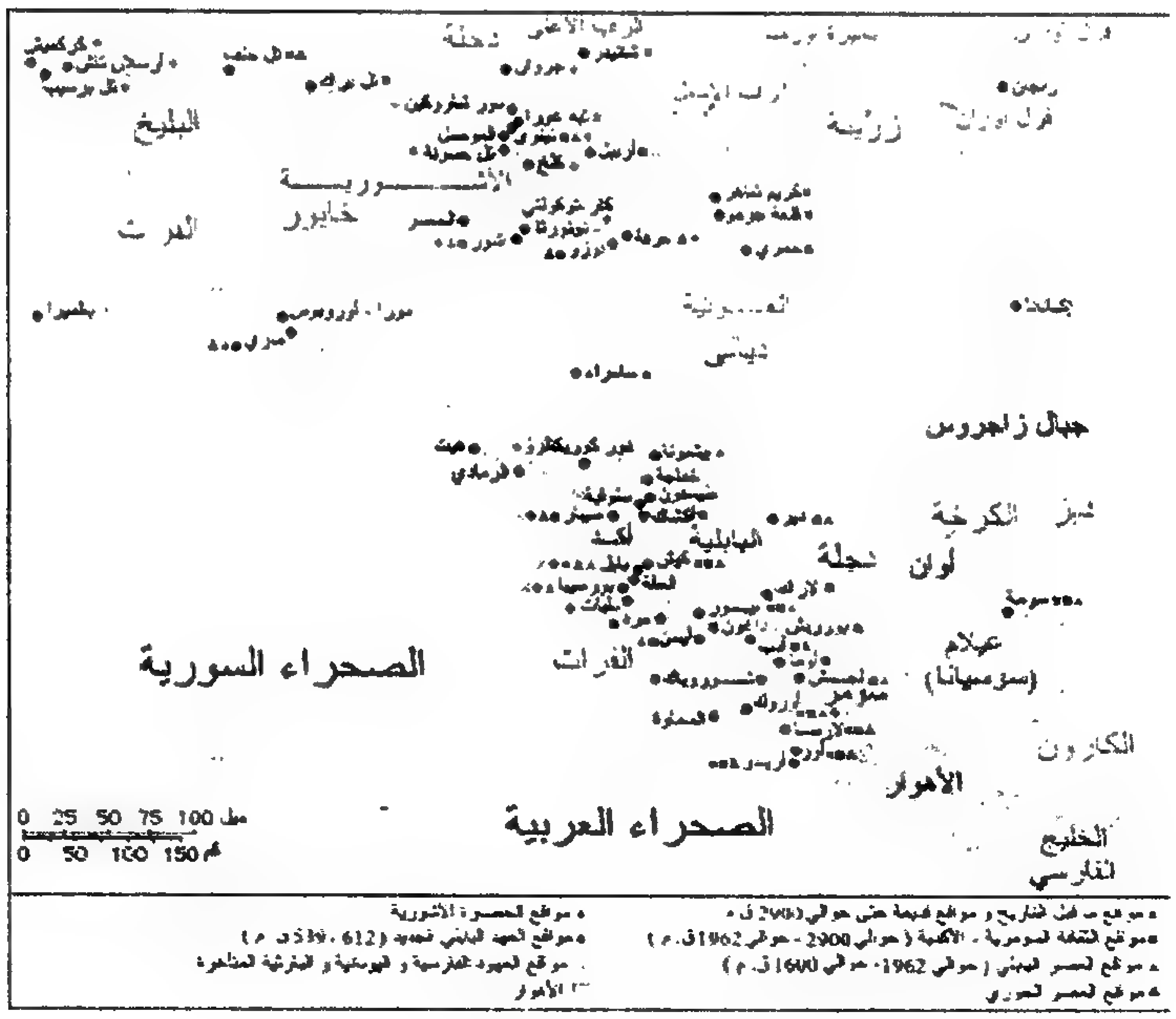
وأيضاً من المعروف أن الوثنية والخزعبلات نشأت في هذه البقعة الجغرافية. ورغم الاعتقاد بأن الكلدان إنهمكوا بممارسة الخرافات، لا يمكننا نكران فضلهم، وإن كان محدودا، في نشأة التاريخ الحقيقي للعلوم، صاحب السِّير اليوناني (لوكياس بلوتارك) والمهندس المعماري الروماني (ماركوس فيتروفياس) عن المؤرخ الكلداني بيروسز (بيروشا) قوله بأن خسوف القمر يحدث عندما يكون الجزء المواجه للأرض فاقدا للنور.

وكما يحفظ لنا (سينزيلوس)، نقلا عن (بيروسز) أيضا، فإن نشأة الكون لدى الكلدان تتلخص بفكرة مفادها أن في البدء كان ظلام وماء وأن العناية الإلهية شطرت هذه الكتلة الرطبة وكوّنت العالم وأن العقل البشري انبثق من الطبيعة الإلهية.

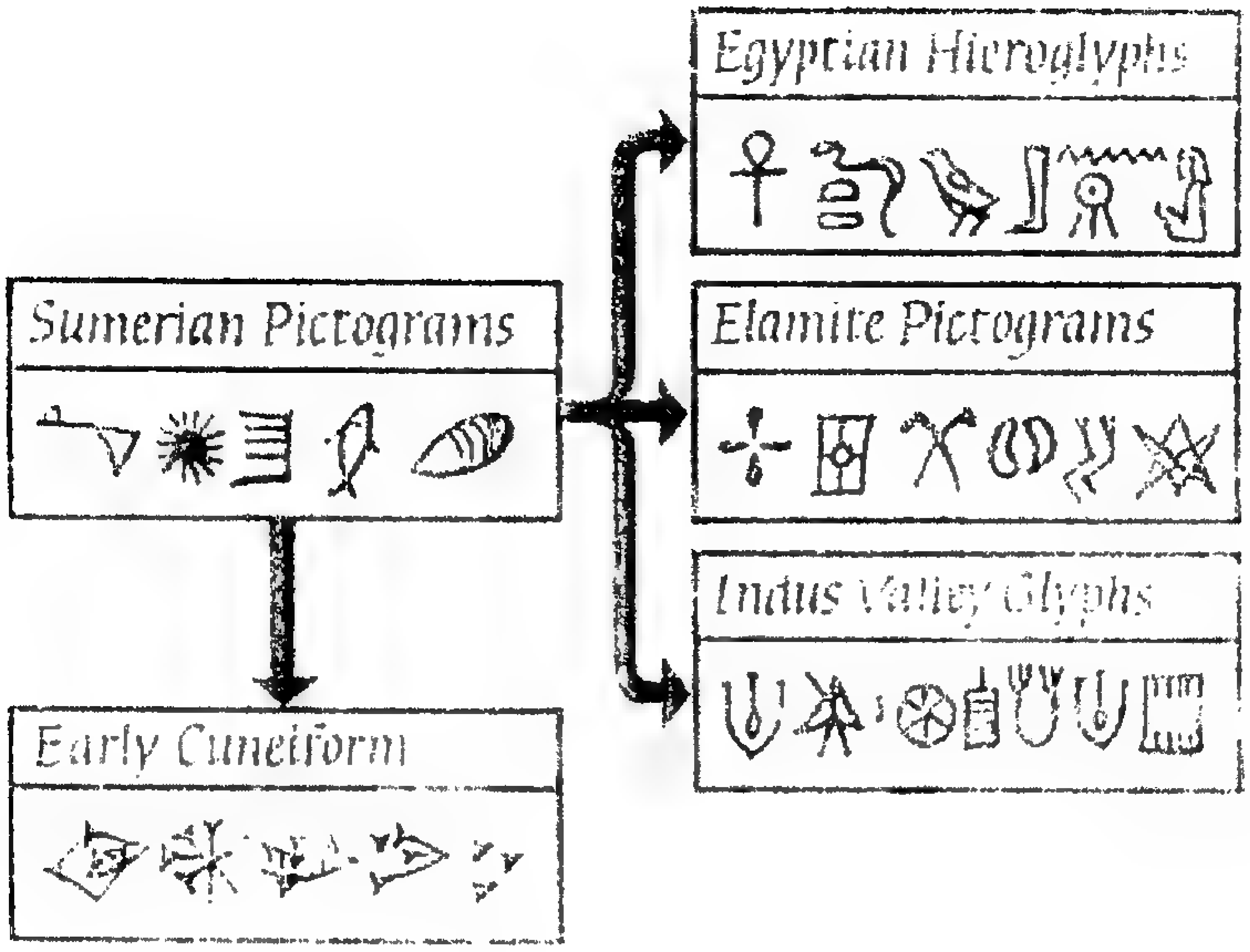
هذا باختصار أهم ملامح الحضارة البابلية القديمة.



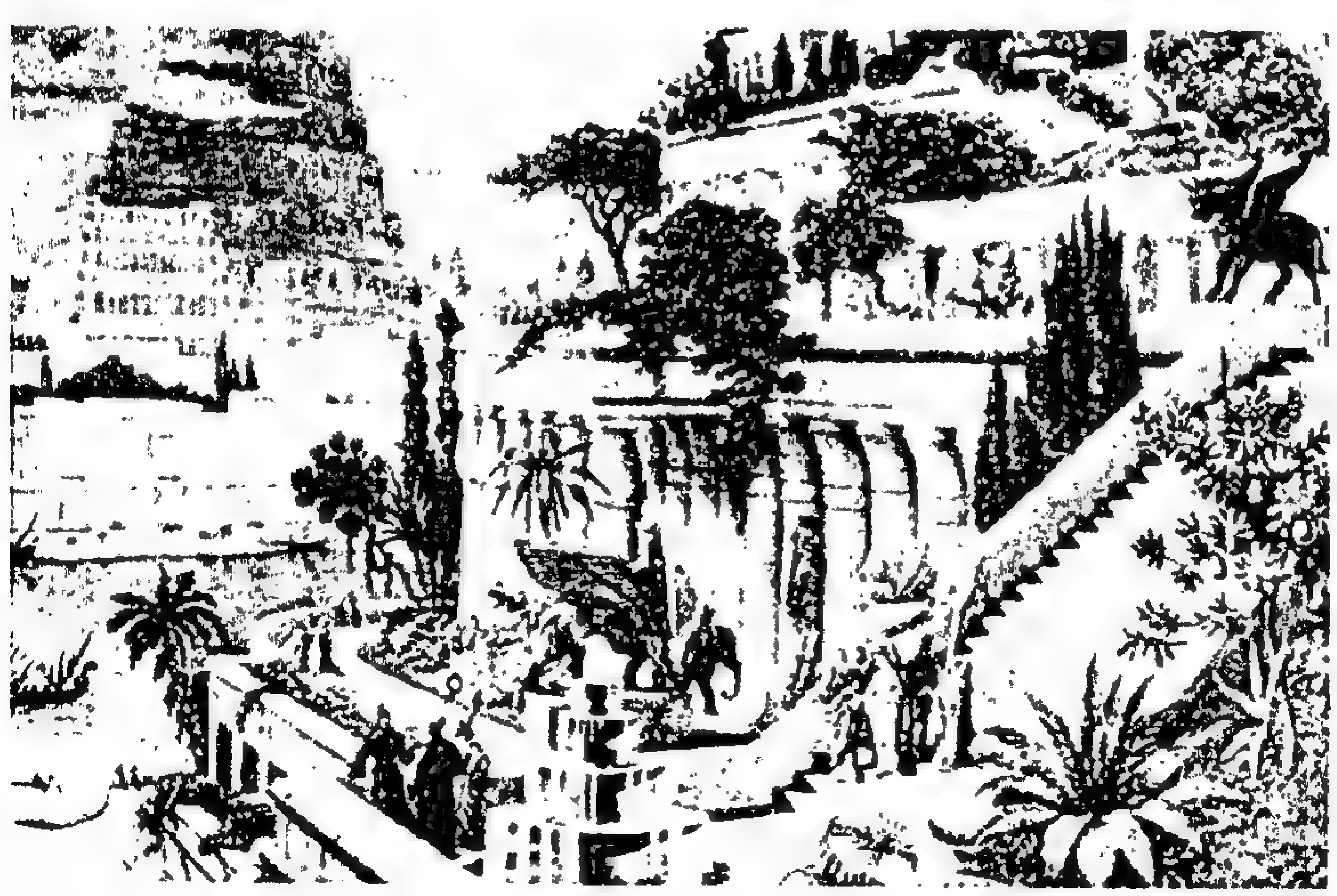
خارطة العالم كما وضعها البابليون القدماء.



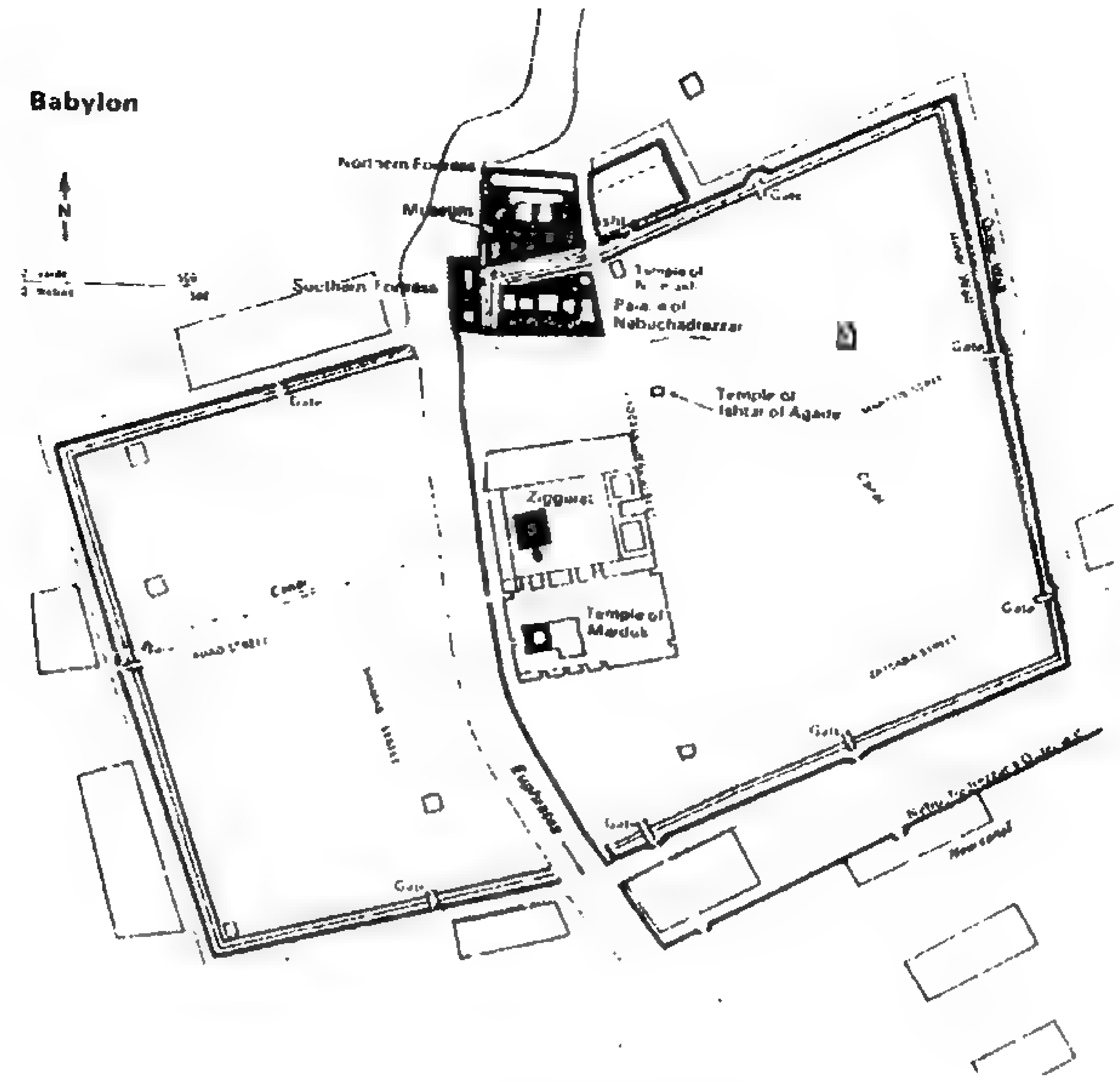
مدن العراق القديمة



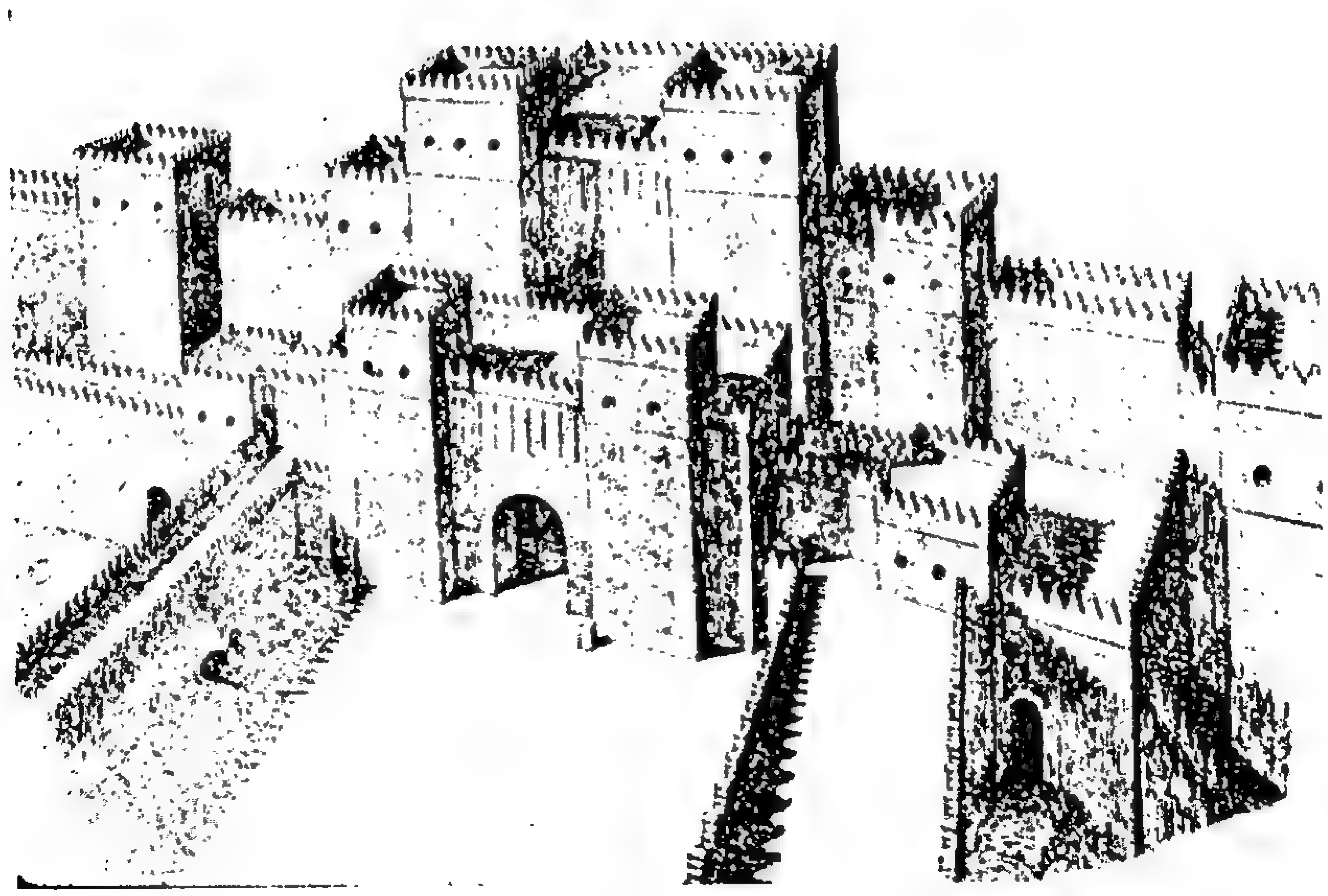
الخطوط المسمارية السومرية تفرعت الكتابات القديمة المصرية والعيلامية (الأحوازية) والهندية منها.



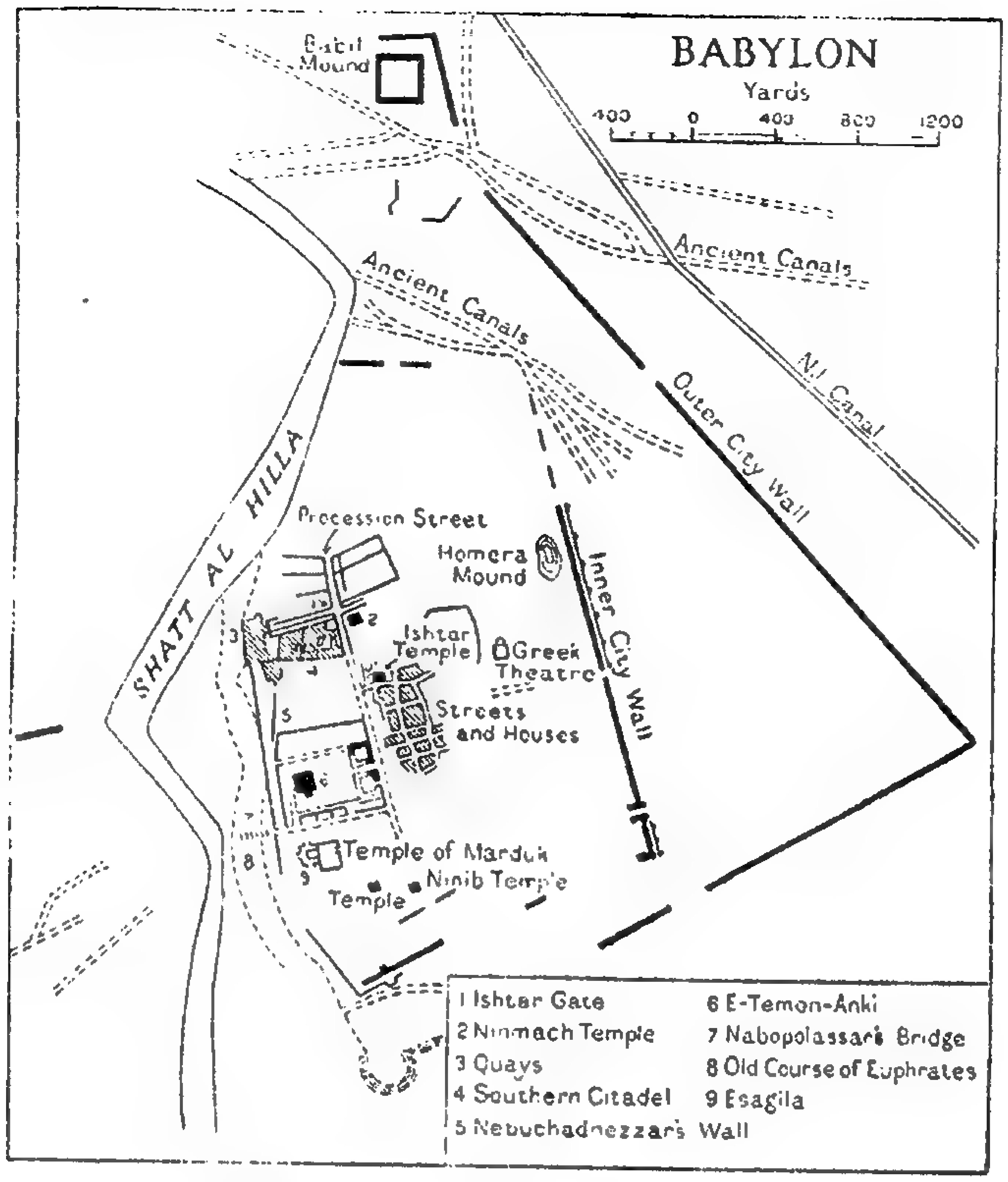
صورة زيتية أصلها ملون تعود للقرن السادس عشر لحدائق بابل المعلقة بيد الفنان الهولندي «مارتن هيمسكيريك»، وهذه الحدائق من عجائب الدنيا السبعة القديمة والتي بناها الملك نبوخذنصر البابلي لزوجته ولا يوجد لها أي أثر حاليًّا.



تخطيط لمدينة بابل.



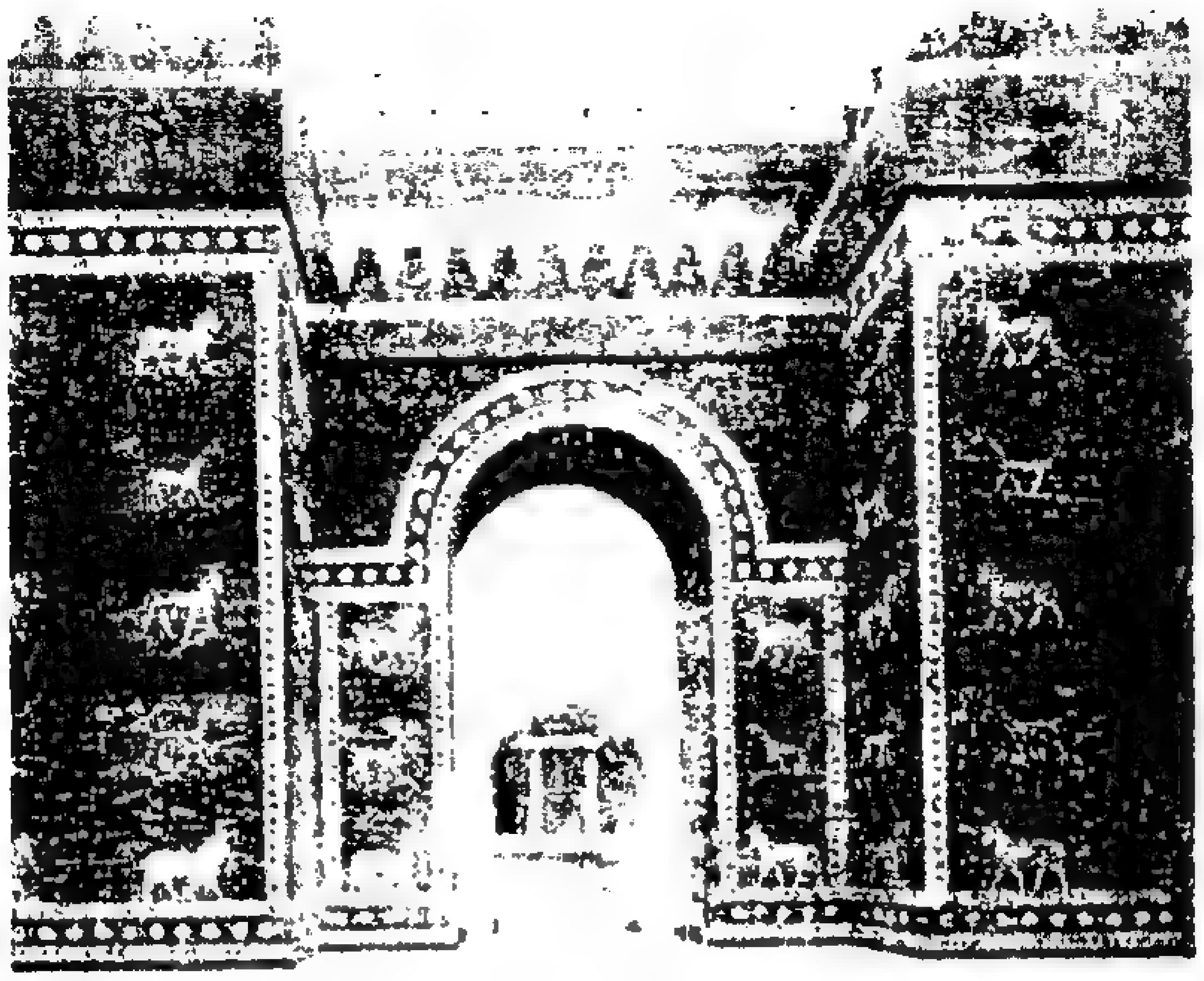
سور مدينة بابل.



تخطيط مدينة بابل القديمة.



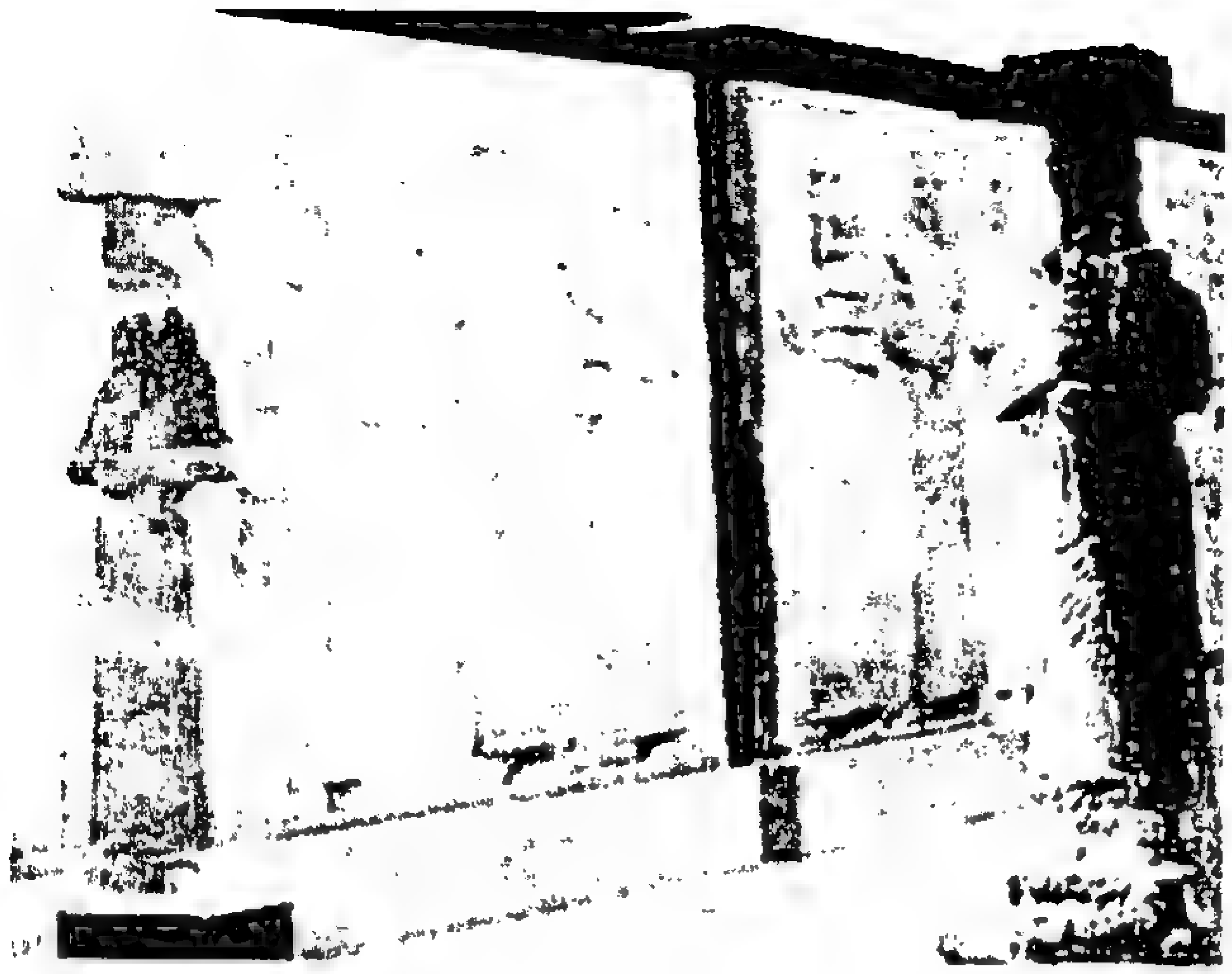
نقوش أثرية من بابل.



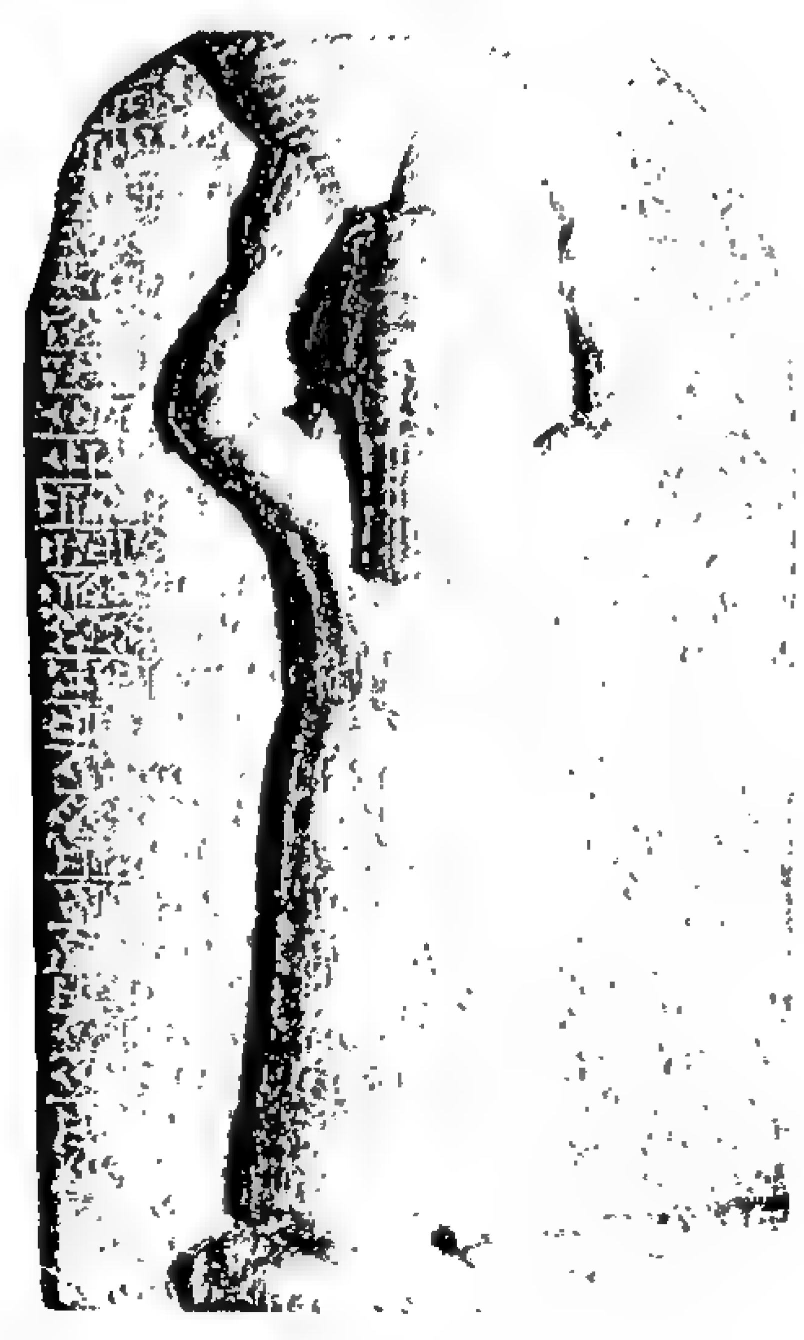
بوابة عشتار الحقيقية وقد نقلت من بابل على يد علماء الآثار الألمان من بابل إلى المتحف الألماني الدولي في برلين.



تمثال ونصب ضخم للثور المجنح من عصر الحضارة الأشورية وفي الصور جنود أمريكيون يلتقطون صوراً تذكارية.



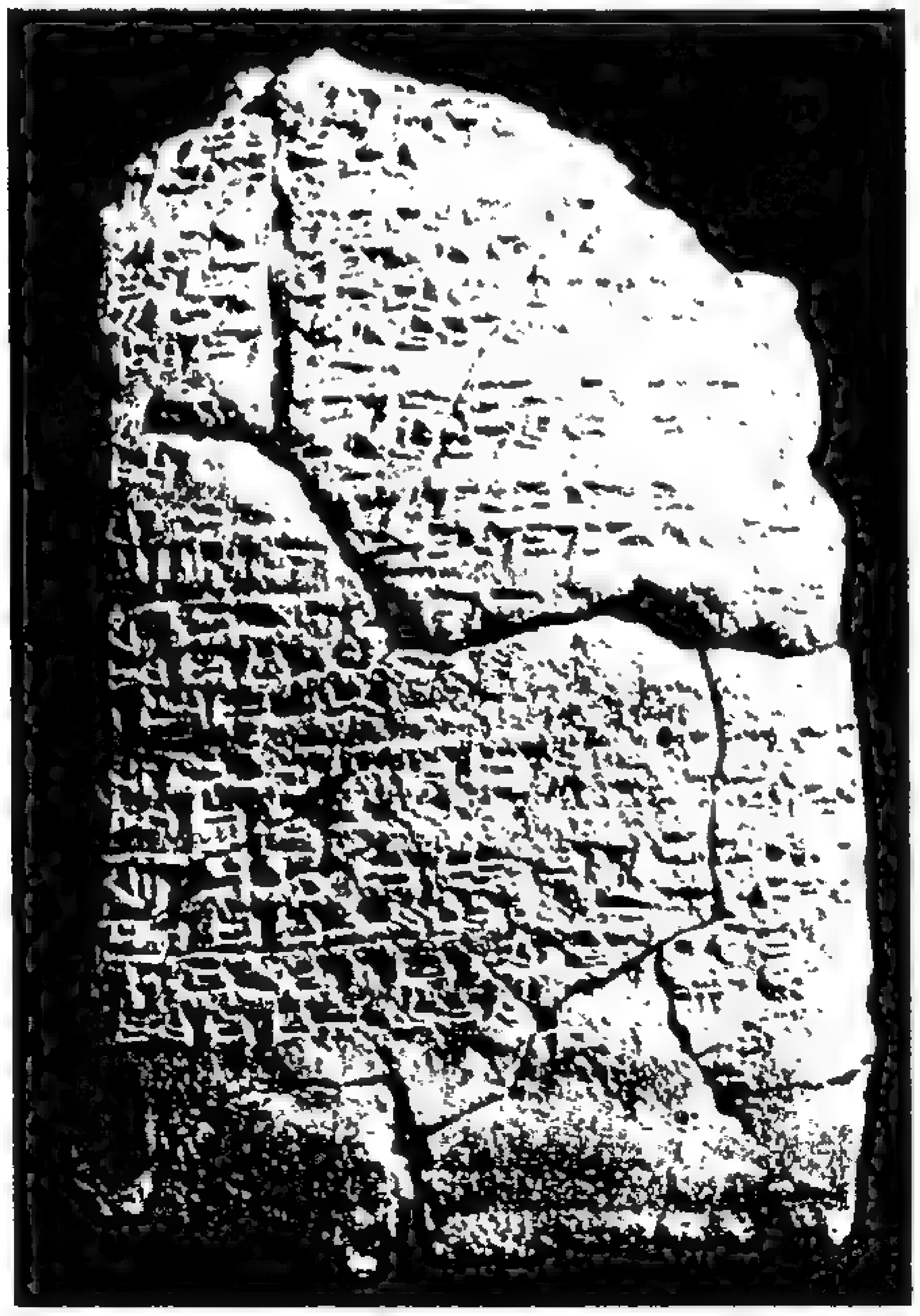
منحوتات جدارية من العهد الأشوري معظمها موجود في المتحف البريطاني في لندن، في الصورة يظهر أيضاً تمثالان لملوك أشوريين.



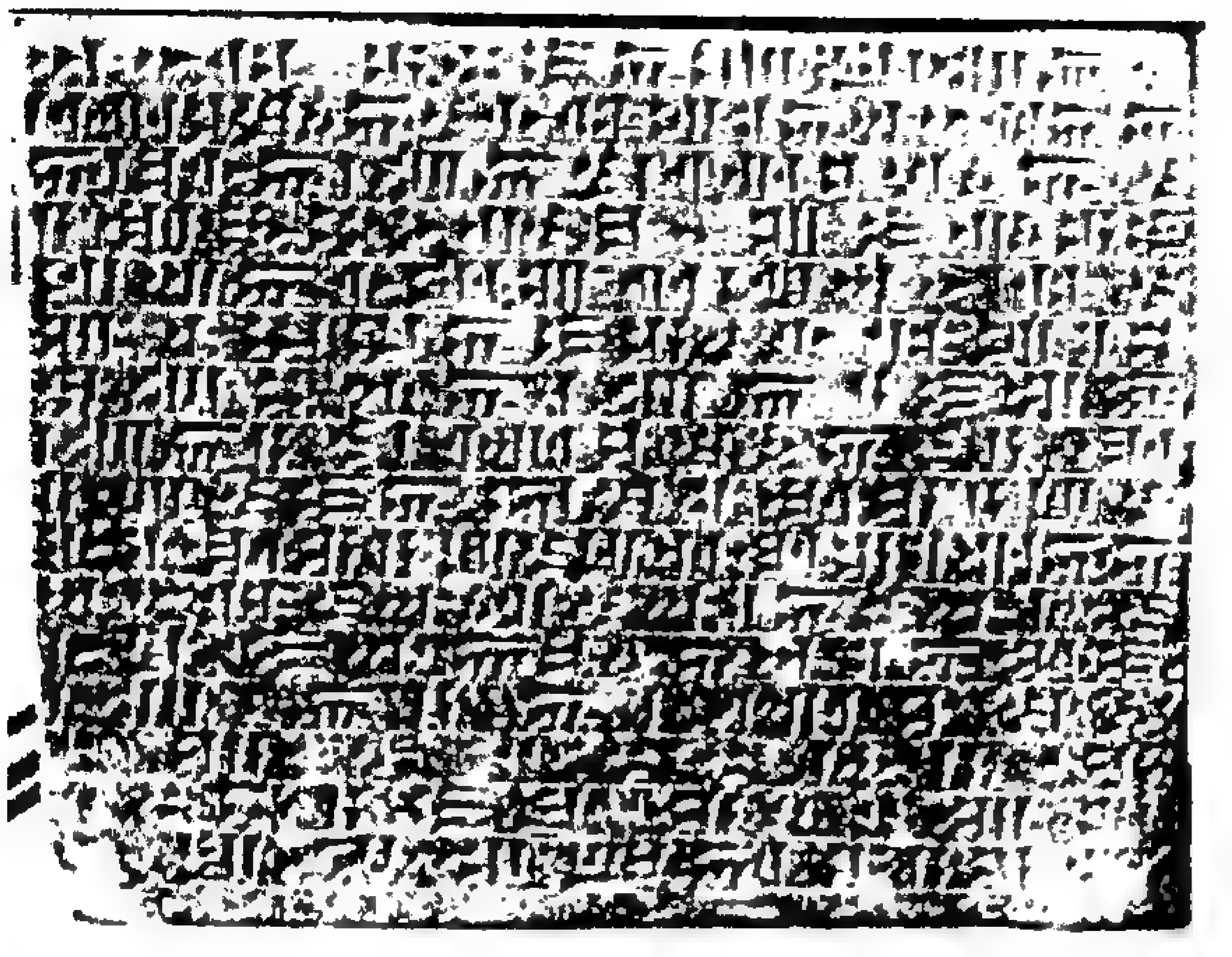
جدارية توضح الخط المسماري الذي اشتهرت به الحضارة السومرية.



جدارية لبعض الموسيقيين والآلات الموسيقية الوترية التي تظهر دور الموسيقى في حضارات وادي الرافدين منذ آلاف السنين.



لوحة جدارية مكتوب عليها كتابات بالخط المسماري.



الكتابة المسمارية.





الآثار البابلية القديمة.

«بابل» بهاء الممالك وفخر الكلدانيين ومدينة النمرود القديمة

«بابل» مدينة قديمة بناها النمرود بعد الطوفان وعرفت ببابل الكلدانية وشهدت تاريخاً طويلاً من الحضارة والعراقة في عصور عديدة، جاء ذكرها في العهد القديم بوصفها أول دولة ومدينة نشأت بعد الطوفان حكمها الملك النمرود الجبار في سفر التكوين: «وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شغار». (تكوين ١٠: ١٠).

وظلت بابل عاصمة البابليين والكلدانيين فقد اعتمد الكلدانيون نظام الممالك قبل العهد الإمبراطوري فقامت ممالك عديدة أهمها مملكة «بابل» فكانت بابل بهاءَ الممالك وفخرها، جاء وضعها في سفر أشعياء: «بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين» (أشعياء: ١٣ - ١٩).

وظلت «بابل» عاصمة المملكة البابلية لإمبراطوريتين بابليتين وقد سكنها قبلهم السومريون، وتعني كلمة بابل في اللغة الأكادية «باب الإله» وقد سماها القدماء بعدة أسماء منها «بابلونيا» وهي باللغة البابلية «باب - إيلو» أو «باب - إيليم».

وقد أعاد بناءها حمورابي ٢١٠٠ ق.م وصارت بعد سقوط سومر قاعدة إمبراطورية بابل وامتدت من الخليج العربي جنوباً إلى نهر دجلة شمالاً.

والمجتمع في بلاد بابل خلال عصورها المختلفة إلى طبقات متعددة وهي طبقة الأرستقراطية الحاكمة التي تضم موظفي الدولة والكهنة رجال الدين وملاك الأراضي

وكبار التجار والطبقة العامة «الشعب» من الحرفيين والكتبة والفلاحين المزارعين وطبقة الرقيق (العبيد) وهي أدنى الطبقات في المجتمع البابلي.

واللغة التي تحدث بها أهل بابل هي اللغة الآكادية وهناك نقوش وردت فيها أسماء ملوك بابل بأنهم ملوك «أكاد».

لأن المنطقة كانت تدعى عندهم أكاد، فقد اقتبس البابليون أبجديتهم وحروف لغتهم من أبجدية السومريين الذين أسسوا حضارتهم قبل الطوفان على أرض بابل جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) واللغة البابلية من اللغات السامية.

وبابل من أشهر المدن في العالم القديم، وهي عاصمة جنوب بلاد النهرين (الدولة البابلية) منذ أوائل الألفية الثانية حتى أوائل الألفية الأولى ق. م، وعاصمة الإمبراطورية البابلية الجديدة (الكلدية) في القرنين السابع والسادس ق. م، حيث كانت في ذروة عظمتها. وتقع خرائبها الواسعة على نهر الفرات جنوب بغداد بحوالي ٥٥ ميلاً (٨٨ كم)، قرب مدينة الحلة الحالية، في العراق.

وحسب الموسوعة البريطانية فإن تطور بابل كمدينة رئيسية كان متأخراً بالنسبة لبلاد النهرين، فليس لها ذكر قبل القرن ٢٣ ق. م، وقد كانت بابل في أيام السلالة الثالثة في أور مركز مقاطعة، وبعد سقوط تلك السلالة أصبحت بابل نواة لمملكة قديمة أسسها في عام ١٨٩٤ ق. م الملك الأموري سوموبوم، حيث قوّى خلفاؤه وضعها. وسادس ملوك هذه السلالة الأمورية وأشهرهم هو حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م)، الذي فتح دول المدن المجاورة وجعل بابل عاصمة مملكة تضم كل جنوب بلاد النهرين وجزءاً من بلاد آشور (شمال العراق). وبسبب أهميتها السياسية، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الممتاز، أصبحت بابل المركز التجاري والإداري للدولة البابلية، بينما جعلتها ثروتها ومكانتها هدفاً للفاتحين الأجانب.

بنيت مدينة بابل وفق مخطط مرسوم على الضفة اليمنى لنهر الفرات في البداية، ثم حفر حولها قناة لمنع وصول أي أعداء لها أي كحصن منيع لها ثم بمرور الزمن وتزايد

عدد سكانها انتقلت المدينة لتشمل الضفة الأخرى لنهر الفرات وتم حفر قناة مائية تحيط بالجزء الجديد المضاف للمدينة وتم بناء سور على الضفة الخارجية من جهة المدينة، ولهذا السور أبواب محصنة.

وبعد الغزو الحثي في ١٥٩٥ ق. م انتقلت المدينة إلى سيطرة الكاشيين (حوالي ١٥٧٠)، الذين أسسوا سلالة حاكمة دامت لأكثر من أربعة قرون. وفيما بعد أصبحت بابل مركزاً أدبيًّا ودينيًّا، وانعكست مكانتها الجديدة بصعود مكانة مردوك، إلهها الرئيسي، ليصبح سيد الآلهة في بلاد النهرين.

وفي ١٢٣٤ استولى توكولتي - نينورتا الأول، ملك آشور، على بابل ولكن السلالة الكاشية استعادت السيطرة على المدينة حتى ١١٥٨، عندما خرّب العيلاميون المدينة. وتتجلى سيادة بابل السياسية بحقيقة أن سلالة نبوخذنصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣) اتخذوها عاصمة لهم، بالرغم من أن أصولهم ليست من المدينة. واستمرت هذه السلالة لأكثر من قرن.[١]

وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فهي المدينة التي أُنزل بها الملكان هاروت وماروت وقد اشتهرت بتعليم السحر.

و قبل سنة ١٠٠٠ بقليل تزايد ضغط المهاجرين الآراميين القادمين من شمال سوريا، مما أدى إلى حدوث انفصالات إدارية داخل بابل، ومنذ ذلك الحين وحتى سقوط الدولة

١- الموسوعة البريطانية، انظر مدن العراق القديم نقلاً عن الموسوعة البريطانية - مشتاق طالب محمد - على الإنترنت.

الأشورية في أواخر القرن السابع ق. م، كان هناك صراع متواصل خاضه الآراميون أو القبائل الكلدية المتحالفة ضد الأشوريين من أجل السيطرة السياسية على المدينة.

ونال مواطنوها امتيازات، مثل الاستثناء من أعمال السخرة، ومن ضرائب معينة، ومن عقوبة السجن، التي كان الأشوريون ذوو الأوضاع المماثلة أكثر استعداداً لتقبلها من رجال القبائل المهاجرة. بل إن المواطنين ازدادوا ثراءً بسبب التجارة، مستفيدين من قوة الإمبراطورية القادرة على حماية التجارة الخارجية ولكنهم عانوا اقتصاديًّا من فوضى رجال القبائل. ومثل هذه الظروف جعلت بابل تفضل عادة الحكم الأشوري على الحكم الآرامي أو الكلدي.

كانت بابل تحت الحكم الأشوري طوال الفترة من القرن التاسع حتى أواخر القرن السابع تقريباً، يحكمها عادة ملوك محليون، مع أن الملوك الأشوريين حكموها بأنفسهم أحياناً.

بدأ التدخل الأشوري القوي في بابل في أيام تجلات – بيلاصر الثالث (٧٤٤ – ٧٢٧ ق. م) نتيجة ضغط رجال القبائل الكلدية على المدينة واستيلائهم على الملك عدة مرات.

ونتيجة للفوضى المترافقة مع تزايد الاستيطان القبلي اقتنع سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق. م) أخيراً بأن السيطرة السلمية على بابل مستحيلة، فأمر بتدمير المدينة في سنة ٦٨٩. وألغى أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق. م) سياسة سنحاريب، فطرد رجال القبائل وأعاد أملاك البابليين إليهم، وبدأ بإعمار المدينة؛ ولكن تمثال مردوك، الذي نقله سنحاريب إلى بلاد آشور، ظل محتجزاً هناك خلال فترة حكم أسرحدون، ربما لمنع أي مدعٍ من الاستفادة منه للاستيلاء على الملك.

وفي أواسط القرن السابع، اندلعت الحرب الأهلية بين الملك الأشوري آشوربانيبال وأخيه الذي حكم في بابل كملك تابع.

وفرض آشوربانيبال الحصار على المدينة حتى سقطت بين يديه سنة ٦٤٨ بعد مجاعة دفعت المدافعين عن المدينة إلى الاستسلام.(١)

---

١ – المصدر السابق.

وفي سنة ٦٢٦ق.م، وبعد موت آشوربانيبال اتخذ زعيم كلدي هو نبوبلاصر بابل عاصمة لمملكته وأصبحت في أيام ابنه نبوخذنصر الثاني عاصمة مملكة بابل الحديثة، ونفذ نبوخذنصر برنامجاً واسعاً لإعادة إعمار بابل وتحصينها، ووفدت إليها جماعات العمال من أرجاء عديدة لتزيد الاختلاط السكاني في المدينة.

وجاء بعد نبوخذنصر الملك نبونئيد، الذي خيَّم في بلاد العرب لعقد من الزمن، تاركاً ابنه بيلشصَّر نائباً عنه في بابل.

وفشل نبونيد في حماية حقوق الملكية أو التقاليد الدينية في العاصمة وبدأ عمليات بناء في مكان آخر لإنشاء معبد منافس لمعبد مردوك العظيم.

وعندما هجم الفرس بقيادة قورش في سنة ٥٣٩ ق. م على المدينة سقطت دون مقاومة تقريباً.

وفي أيام الفرس احتفظت بابل بمعظم مؤسساتها فأصبحت عاصمة أغنى مرزبانية في الإمبراطورية، وكانت أروع مدينة في العالم حسب هيرودتس. ثم حدثت ثورة ضد أحشورش الأول (٤٨٢ق.م) فدمر تحصيناتها ومعابدها وصهر تمثال مردوك الذهبي.

وفي سنة ٣٣١ق.م استسلمت المدينة للإسكندر الأكبر، الذي حافظ على امتيازاتها وأعاد إعمار معابدها. وكان الإسكندر مدركاً للأهمية التجارية للمدينة، فسمح لحاكمها بسك العملة وبدأ بإنشاء ميناء لتشجيع التجارة.

وفي سنة ٣٢٣ق.م توفي الإسكندر؛ وكان يخطط لجعل بابل عاصمة لإمبراطوريته.

ونتيجة غزو الإسكندر أخذت بابل تدور في فلك الثقافة اليونانية، واستفاد العِلْم الهلليني استفادة كبيرة من مساهمات علم الفلك البابلي.

وبعد صراع على السلطة بين قادة الإسكندر انتقلت بابل إلى السلالة السلوقية في سنة ٣١٢ق.م. ثم قلت أهمية المدينة بشكل كبير جراء إنشاء عاصمة جديدة على نهر دجلة، هي سلوقية، التي نُقل إليها جزء من سكان بابل في سنة ٢٧٥ قبل الميلاد.

وكانت بابل في عصر الملك بختنصر البابلي أكبر مدينة في العالم، مساحتها ٢٥٠٠ إيكر

(١٠٠٠ هكتار). وكان الفرات يجري في وسطها، ولكنه غير مجراه بعد ذلك، وكان الجزء الأقدم من المدينة على ضفته الشرقية. والمعلم الرئيسي هناك هو الإيزاكيلا، معبد مردوك العظيم، مع زقورته الملحقة به إتمينانكي، (و الزقورة هي برج مبني من عدة طوابق).

والزقورة هي برج بابل، وطول قاعدتها ١٠٠ ياردة، ولها سبعة طوابق، في أعلاها معبد مغلف بالطابوق المزجج الأزرق، ويصل ارتفاعها إلى ٣٠٠ قدم (٩١ متراً)، وهناك أربعة معابد أخرى في القسم الشرقي من المدينة.

وعلى طول نهر الفرات، وخصوصاً بجوار الإيزاكيلا، كانت هناك أرصفة موانئ ترسو فيها السفن التجارية، وهناك شواهد مكتوبة بأن بابل كانت مركزاً تجاريًّا مع الجنوب مما يشير إلى وجود مخازن. وكان على النهر جسر مقام على ركائز من طابوق مغلف بالحجر، يمتد إلى الجانب الغربي من المدينة. والشوارع ممتدة على شكل شبكة محاورها الرئيسية موازية للنهر. وينطلق من الإيزاكيلا متجهاً نحو الشمال شارع الموكب المُعبَّد، ذو الجدران المزينة بالأسود الملونة. ويمر عبر بوابة عشتار، المزينة بالثيران والتنانين الملونة، ثم يتجه نحو بيت أكيتو، وهو معبد صغير يقع خارج المدينة، يزوره مردوك في عيد رأس السنة الجديدة. وبوابة عشتار هي واحدة من ثماني بوابات حصينة، يوجد إلى الغرب منها مجمعان للقصور مساحتهما مع تحصيناتهما حوالي ٤٠ إيكر.

وإلى الشرق من شارع الموكب تقع منطقة كان فيها منذ أيام حمورابي منازل سكنية مبنية حول فناءات مركزية. وهناك سور قوي مزدوج، معزز بخندق، يحيط بالمدينة على جانبي الفرات.

ويوجد إلى الشرق من أسوار المدينة سور خارجي ثلاثي، طوله ١١ ميلاً، يلتقي بنهر الفرات جنوب المدينة وشمالها، وهو يحيط قصراً آخر في الشمال. وبين السورين الداخلي والخارجي أرض مروية بشبكة من القنوات، يعود تاريخ بعضها إلى أيام حمورابي.(١)

١- انظر عظمة بابل - هنري و.ف ساكس - ترجمة: د. عامر سليمان - الناشر دار الكتاب - الموصل ١٩٧٩م، وانظر كتاب «نمرود وخرائبها» السير ماكس مالوان، والموسوعة البريطانية، وكتاب نبش الماضي - السير ليونارد وولي - ترجمة: عزيز العلي.

الحياة في بلاد الكلدانيين بلاد النمرود

بلاد بابل القديمة وما تعرف ببلاد ما بين النهرين دجلة والفرات هي أرض ضاربة في التاريخ البشري لها سحرها وأهميتها قديماً وحديثاً، شهدت وما زالت تشهد أحداثاً جساماً وإن كانت تسمى اليوم بأرض العراق العربي، وفي حياة الكلدانيين وعصورهم وهم البابليون القدماء قد عاشوا عليها حياة حضارية لها آثارها التي تدل عليها، فحدود بلاد بابل القديمة وموارده الطبيعية تنحصر في غرب الصحراء العربية التي يسكنها بدو يقومون بالغارات على أهل الحضر، وفي الشمال يوجد السهل الأعلى لبلاد ما بين النهرين وفي الشرق توجد التحصينات الطبيعية من التلال التي هي الحد الفاصل بين بلاد بابل وبلاد الفرس ومنها تأتي الأحجار للبناء والمعادن وخشب البناء وفي الجنوب يوجد الخليج الذي يعرف بالخليج العربي الآن.

ونهر دجلة ونهر الفرات يكونان سهلاً من تراكم الرواسب التي أتت موادها من جبال أرمينيا التي تنبع منها حيث يوجد منبعا هذين النهرين؟ ونظام النهرين ليس واحداً فدجلة بشطآنه المرتفعة الصلبة ذو مجرى سريع يبدأ فيضانه في أوائل آزار «مارس» ويبلغ شدته وعنفوانه في الأيام الأولى لشهر مايو وينتهي في منتصف يونيو، وتوجد على شواطئه المستنقعات.

ونهر الفرات مياهه أقل مرتين، ويبدأ فيضانه متأخراً خمسة عشرا يوماً ولا ينتهي قبل شهر سبتمبر وشطآنه أقل ارتفاعاً من دجلة ولهذا فإنه ينتشر بسهولة في السهل ويضفي فيضاناً نافعاً، ولهذا أسس الناس القدماء على ضفافه المدن، ومجرى نهر الفرات الآن لا يصل إلى أطلال معظم تلك المدن القديمة التي أقامها البابليون القدماء.

ومن أجل التصدي لخطر الفيضانات تم تشييد مدنٍ على منحدرات صناعية وتم بناء

البيوت والمعابد من الطوب اللبني ووضع المواشي الكبيرة والصغيرة بها.

واهتم السكان بزراعة الأراضي وحفر القنوات وصنع آلات الري واستخراج المعادن من النحاس والفضة لصنع الأسلحة منها.

ومن زراعاتهم الذرة البيضاء والسمسم والكروم وأشجار الزيتون والرمان والنخيل، ويعد النخيل وثماره من أهم مصادر الثروة لدى أهل بلاد ما بين النهرين قديماً وحديثاً، حيث إنهم يستخرجون منه الخمور والخل والعسل (الدبس) وكذلك فتائل النسيج والوقود حتى إنهم كانوا يستخدمون أيضاً نوى البلح كعلف لدوابه، وكانوا أيضاً يزرعون البصل والخضروات والنباتات.

وهذا ما سجلته آثار ولوحات البابليون القدماء.

وكذلك كانوا يقومون بتربية الحيوانات مثل البقر والماعز والخنزير والحمير وكذلك الطيور المنزلية كالدواجن وغيرها.

وكانت خصوبة الأرض تعطي المحاصيل الوافرة وقد ساعدت ما تلقيه نهر دجلة والفرات من الرواسب على الأرض من خصوبتها وكذلك الفيضانات السنوية، وقد تكايف الناس مع تلك الفيضانات حيث قاموا ببناء بيوتهم على المرتفعات الصناعية حتى لا تغرقها مياه تلك الفيضانات وكانت تلك البيوت تبنى من الطوب اللبني المصنوع من طمي النهر بعد تجفيفه في الشمس أو حرقه بالنار.

وكذلك كان يُصنع منه الأواني الفخارية اللازمة للاستخدام في الحياة اليومية والمنزلية وكذلك كانت تُصنع منه اللوحات التي تكتب عليها بالخط المسماري حيث يسجل على تلك اللوحات الطينية المجففة الأحداث العامة والمعلومات الخاصة مستخدمين الأقلام المصنوعة من القصب.

وكذلك كان يتخذ من الأصداف والعظم أدوات للزينة وكانوا يستوردون الأحجار الكريمة ومعادن الذهب والفضة وخشب الأَرز لصناعة الهياكل والتماثيل وغيرها.

وكانت لبلاد بابل علاقات وثيقة بالبلاد المجاورة لها وإن كانت الحروب تقوم من حين إلى آخر بينهم.

النمرود وزمانه

النمرود اسم لأشهر ملوك بابل الكبار فهو أول من أسس دولة من شعب الكلدان على أرض بلاد ما بين النهرين بعد حادثة الطوفان العظيم طوفان نوح عليه السلام.

فنوح عليه السلام ترك من خلفه بعد الطوفان ثلاثة من الأولاد الذكور هم: حام وسام ويافث، ومنهم جاء البشر قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

قال الطبري في تاريخه: وأما حام بن نوح فولد له كوش ومصرايم وقودا وكنعان، فمن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببابل وهو نمرود بن كوش بن حام بن نوح، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفزان.

وقال: وكان يقال لعاد في دهرهم عاد إرم، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني إرم: إرمان، فهم النبط، فكل هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل، حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا، فأمسوا وكلامهم السريانية، ثم أصبحوا وقد بلبل الله ألسنتهم، فجعل لايعرف بعضهم كلام بعض، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً.

ولبني حام ثمانية عشر لساناً، ولبني يافث ستة وثلاثون لساناً، ففهم الله العربية عادًا وعبيل وثمود وجريس وطسم وأميم وبني يقطن بن عامر بن سالح بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وكان نوح عليه السلام كما روى ابن عباس رضي الله عنه أنه تزوج امرأة من بني قابيل (قابيل بن آدم) فولدت له غلاماً، فسماه «بوناظر» ولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون شمسا.

وجاء في الحديث النبوي الذي رواه الطبري في تاريخه «سام أبو العرب، ويافث أبوالروم وحام أبو الحبش».

والزمان بين الطوفان وزمن النمرود الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام كما يقول وذكر الطبري نقلاً عن بعض أهل الكتاب هو ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة.

ويقول عامة أهل الأخبار: كان نمرود عاملاً «للإزدهاق» الذي زعم بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها، لكن جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون: كان ملكاً برأسه واسمه الذي هو اسمه فيما قيل: زرهى بن طهما سلان»، وقال بعضهم: وكان يقال له «الهامر» وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها وكان ببابل وملك قومه بالمشرق قبل الفرس.[١]

وقال محمد بن إسحاق: ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا على ثلاثة ملوك: نمرود بن أرغوا، وذي القرنين، وسليمان بن داود.

وقال بعضهم: نمرود هو الضحاك نفسه، عن هشام بن محمد قال: بلغنا والله أعلم أن الضحاك هو نمرود.

والضحاك هو أحد ملوك الأرض وهو من أسماء النمرود، وأخوه كان فرعون مصر في زمن إبراهيم خليل الرحمن الذي ولد في زمانه وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه.

فقد ذكر ذلك بعض أهل التواريخ.[٢]

وذكر الطبري في تاريخه أيضاً في خبر عن ابن عباس وجماعة من الصحابة بسنده أن أول ملك في الأرض شرقها وغربها نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وكان الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة: نمرود وسليمان بن داود وذو القرنين وبخت نصر: مؤمنان وكافران.

---

١ - انظر تاريخ الطبري.

٢ - ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية فقال: إن فرعون مصر كان أخاً للضحاك الملك المشهور بالظلم وكان عاملاً لأخيه على مصر، ويقال كان اسمه: سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق ابن رواد بن سام بن نوح.

وللنمرود أسماء كثيرة ذكرها أهل التواريخ حتى ظنوا أن هناك أكثر من نمرود في أكثر من زمان، لكن الواقع أن هناك نمرودا واحدا ملك الأرض في زمانه وهو الذي يدور عليه حديثنا وهو الذي كان في زمانه سيدنا إبراهيم عليه السلام وورد قصته معه في سورة البقرة كما سيأتي ذكره في حينه إن شاء الله، فزمان النمرود الملك الجبار هو زمان سيدنا إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وخليل الرحمن.

فزمان النمرود هو ذلك الزمان الذي أعقب طوفان نوح عليه السلام حيث كانت أول دولة عرفها التاريخ الإنساني لملك حكم الأرض في حينه.

معنى اسم النمرود:

واسم النمرود والكلمة أصيلة في اللغة الكردية مركبة من قسمين: نما وتعني ظهور أو بروز أو «نم» أي الندى، أو «نمر» وتعني الخالد، والجزء الثاني من الكلمة وهي «رود» ومصدرها «رو» أي النهر، فيكون معنى كلمة النمرود أي الخالد الذي ظهر من النهر، وهذا يفسر ادعاء النمرود للإلوهية أو بمعنى أدق ترجمة لادعائه الإلوهية كما سيأتي عند ذكر حواء مع سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكر المؤرخون أن النمرود من بني راسب الذين بُعث إليهم نبي الله نوح عليه السلام وأن النمرود حكم أربعمائة عام وكان في غاية الظلم والجبروت وكان اسمه أيضاً كما ذكرنا من قبل «الضحاك» وأن فرعون مصر في زمانه كان أخاه ويحكم مصر باسمه.

قال ابن الأثير: بلغنا أن الضحاك هو النمرود وأن إبراهيم ولد في زمانه وأنه ولد بالسوس من أرض الأهواز ويقول عامة أهل الأخبار أن النمرود كان عاملاً «للأزدهاك»[1] ويقول «مار أفراح» أن النمرود حكم في «الرها» ويقال إن النمرود بناها.

---

١ – وذكرت الأخبار أن النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح كان الضحاك هو الأزدهاق واسمه بيو راسب بن اندراست وكان ملك الأقاليم وهو الذي قتله افريدون بن اثفيان وكان طاغياً كما قال القرطبي في تفسيره.

قال القرطبي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]: وهو النمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة، هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسُّدي وابن إسحاق وزيد بن أسلم وغيرهم.

وكان هلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن فتح عليه باباً من البعوض فستروا عين الشمس وأكلوا عسكره ولم يتركوا إلا العظام ودخلت واحدة منها دماغه فأكلته حتى صار مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك، فبقي في البلاء أربعين يوماً.

وقال قتادة: هو أول منْ تجبَّر في الأرض وهو صاحب الصرح ببابل.

وقيل إنه ملك الدنيا بأجمعها.

وقيل إن الذي حاج إبراهيم نمرود بن فالخ بن عابر شالخ بن أرفخشد بن سام، حكى جميمه ابن عطية وحكى السهلي أنه النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وكـان ملكاً علـى السـودان وكان ملكه الضحاك الذي يعرف بالأزدهاق واسمه بيو راسب بن اندرست وكان ملك الأقاليم كلها وهو الذي قتله أفردون بن اثنيان وفيه يقول حبيب:

وكأنه الضحاك من فتكاته ... في العالمين وأنت أفردون[1]

وكان الضحاك طاغية جباراً دام حكمه ألف عام فيما ذكروا، وهو أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل.

وللنمرود ابن لصلبه يسمى كوشا أو نحو هذا الاسم، وله ابن يسمى النمرود الأصغر، وكان ملك نمرود الأصغر عاماً واحداً وكان ملك نمرود الأكبر أربعمائة عام فيما ذكروا.

١ – تفسير القرطبي.

وكان النمرود يحتكر الطعام حتى يلجأ الناس إليه يشترونه منه، فكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام يأتونه فإذا دخلوا عليه أمرهم بالسجود له حتى يعطيهم الطعام.

ذكر زيد بن أسلم أن النمرود هذا قعد يأمر الناس بالميرة، فكلما جاء قوم يقول: من ربكم وإلهكم؟

فيقولون: أنت.

فيقول: ميروهم. (١)

أي أعطوهم الطعام، حتى إذا دخل عليه إبراهيم عليه السلام رفض السجود له ودارت المناظرة بينهما كما سيأتي ذكرها في حينه إن شاء الله تعالى.

١- المصدر السابق.

ذكر النمرود عند اليهود

يُذكر النمرود بالاسم في التوراة كملك جبار من خلال أنساب سفر التكوين فيما يعرف بجدول الأمم الذي يرجع نسبه إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام أي أنه حفيد نوح النبي صاحب السفينة والطوفان الشهير، وتكرر ذكره في سفر أخبار الأيام الأول وفي سفر ميخا، وكل ما جاء عنه أنه: «ابتدأ يكون جباراً في الأرض الذي كان جبار صيد أمام الرب» وأنه أنشأ مملكة ومدن بابل، «أكد» و«أوروك» في أرض «شنعار» وهي بلاد ما بين النهرين.

وكذلك جاء ذكره في كتب اليهود الأخرى مثل التلمود والمدراش وتاريخ يوسفوس، حيث يربطه التلمود بشخصية الملك أمرافيل الذي كان حاكماً زمن إبراهيم أبي الأنبياء، ويذكر بلفظ «نبرود» في كتاب اليوبيلات، وأما يوسيفوس فيصفه بأنه باني برج بابل ومتحدي عبادة الله.

وقد اشتهر نمرود في العهد القديم وكتب اليهود بجبروته وأنه جبار صيد خرج إلى أشور وبنى مدينة نينوي أي أنه لم يكتف بأرضه وفتح مدناً أخرى في أرض أشور وبنى نينوى على الضفة الشرقية لنهر دجلة وصار جباراً يفتح المدن في بلاد أشور وبنى مدينة كالح جنوب نينوى بعشرين ميلاً وبنى رسن بين نينوى وكالح وبنى رحوبوت عير أي المدينة الرحبة.

وينسب العهد القديم النمرود إلى نسل حام الذي تحدى نسل سام، والذي منه أبو الأنبياء إبراهيم وذريته، ولعل أيضاً ذلك يشير إلى ادعاء النمرود للإلوهية ويكون أول من ادعى الإلوهية من نسل نوح عليه السلام ولعله أيضاً يكون من نسل قابيل بن آدم الذي قتل أخاه هابيل وهرب والذي من ذريته المسيح الدجال الذي يدَّعي الإلوهية آخر الزمان أيضاً.

ذُكِر في جلجامش في الأدب البابلي أنه شخص نجى من الطوفان، إلا أن هذه النظرية رُفِضت، وأكثر ما نجد عنه أنه الإله نمرود، كإله الخصب في بلاد ما بين النهرين.

ونمرود في العهد القديم هو محارب جبار (تكوين ١٠: ٨). وهو الأول من نوعه (تكوين ٩: ٢٠). وكلمة «جبار» تعني هنا أنه قوي سياسيًّا وعسكريًّا، ومن بعده يأتي العديد ممن أرادوا أن يكونوا جبابرة، ومذكور عنه أيضًا أنه كان صيادًا جبارًا (عدد ٩). وهذا يعني أنه لم يكون مجرد صياد بارع فحسب، بل كان أيضًا محاربًا عسكريًّا قويًّا جباراً.

وترجمة كلمة نمرود باللغة العبرية، معناها (سوف ننتقم)، وهذا يعني الانتقام ضد الله، (عياذا بالله) وهذا هو ادعاؤه للإلوهية والدليل على كونه من نسل المسيح الدجال أو من أتباعه فهو شخص قوي يعمل ضد مشيئة الله. وهو موصوف كشخص أسَّس مملكة (تكوين ١٠: ١٠). وبداية مملكته كانت على أنقاض مملكة بابل، وكان مركزها مدينة بابل، واسمها شنعار، حيث ذهب نمرود شمالاً من أسفل بلاد ما بين النهرين، واستولى نمرود على بلاد آشور (عدد ١١) شرقي ما بين النهرين. كما جاء ذلك في سفر ميخا (٥: ٦).

بحسب المعتقدات اليهودية، أن نمرود هو أول صيّاد، وهو أول من عرّف اللحم للجنس البشري، وتقول التقاليد إنه كان مشاركًا في بناء برج بابل (تكوين ١١: ١-٤). وبقى في شنعار ليبني مملكته بعد أن تفرق الشعب. وبحسب المصادر اليهودية والإسلامية، كانت هناك علاقة بين نمرود وإبراهيم، مع أن نمرود كان وثنيًّا بعكس إبراهيم الذي كان يعبد الله الواحد الأحد.

فى قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل عليه السلام مشاهد عديدة، منها معجزة نجاته من التحريق بالنار، بعد أن حطم أصنام قومه التى يعبدونها: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

ويحكي القرآن محجّة إبراهيم للملك فى سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

والقرآن الكريم لم يسم الملك الذى حاج إبراهيم فى ربه؛ لأن القصد من القصص القرآني هو مضمون القصة وكذلك العبرة منها، واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر فى المضمون والعِبرة، أما تسمية هذا الملك الذى حاجّه إبراهيم بـ «النّمرود» ومدة ملكه فجميعها قصص تاريخى، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم.

وفى [دائرة المعارف الإسلامية] التى كتبها المستشرقون وقد حرر مادة «إبراهيم» فيها «ج. إيزبرغ» يأتى ذكر الملك نمروذ فى قصة إبراهيم. وفى أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمرود منها [دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الفصل ٢٩].. ومنها «سفر هياشار» فصل نوح..

وتأتى الإشارة إلى «نمرود» الملك فى سفر التكوين بالعهد القديم الإصحاح ١٠: ٨ـ١١ باعتباره «الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض» كما ذكرنا من قبل.

وجاء ذكر النمرود في الثقافة الأرمينية بأن جد الأرمن هايغ هو من قضى على الملك النمرود والذي كان يسمى «بيل» في الكوميديا الإلهية التي ألفها (دانتي) حيث يصور النمرود كشخصية عملاقة في الجحيم وأنه يتعرض للعقاب في الدائرة التاسعة من الجحيمَ مع عمالقة آخرين.

وفي شرح كلمة نمرود في قاموس الكتاب المقدس نجد أن نمرود هو ابن كوش بن حام بن نوح، صياد جبار وملك قدير ومؤسس الأسرة الحاكمة في بابل وشنعار واكاد في بلاد شنعار (تك ١٠: ٨-١٠ ومي ٥: ٦). وربما كان هو نفسه جلجاميش الأكادي أو البابلي.

وهو مؤسس مملكة بابل (تك ١٠: ٦-١٠، ١ أخ ١٠: ١) التي يقول عنها ميخا النبي

«أرض نمرود» (مي ٥: ٦). ويظهر نمرود -في الكتاب المقدس- شخصية عظيمة، فقد كان أول من أسس مملكة في تاريخ البشرية. ويبدو من إشارات عديدة أنه كان شخصية عدوانية شريرة.

ومما جاء أيضاً عنه في القاموس:

- بدأ تكوين أول مملكة في العالم من نسل حام الذي انصبت على أحد فروعه اللعنة النبوية التي نطق بها نوح (تك ٩: ٢٥-٢٧).
- كان نمرود هو مؤسس بابل (تك ١٠: ٨-١٢) التي ترتبط في الكتاب المقدس، باستمرار -سواء رمزيًا أو نبويًا- بالنظام الفاسد دينيًا وأدبيًا (إش ٢١: ٩، إرميا ٥٠: ٢٤، ٥١: ٦٤، رؤ ١٦: ١٩، ١٧: ٥، ١٨: ٢ و٣).
- وكان اسم «نمرود» عند بني إسرائيل رمزًا للتمرد ضد الله.

ونقرأ أن نمرود «كان جبار صيد أمام الرب» (تك ١٠: ٩). والمعني البسيط لهذه العبارة هو أن «نمرود» كان صورة مضادة تمامًا للملك المثالي أي «الراعى». فالصياد يستمتع بصيد فريسته، أما الراعي فيبذل نفسه لخير رعيته، ويرى البعض أنه في العصور الموغلة في القدم، كانت الحيوانات المفترسة كثيرة الانتشار في فلسطين، وكانت تشكل خطرًا داهمًا على الإنسان وممتلكاته من المواشي، لذلك كان من واجب الملك أو الزعيم أن يحمى شعبه منها باصطياد هذه الحيوانات المفترسة.

وقد ربط بعض المفسرين بين نمرود وشخصية «جلجامش» الأسطورية الذي كان يعتبر نصف إله، وملكًا على «يوروك» (أرك) - (تك ١٠: ١٠)، وهي «وركا» حاليًا في الجنوب الغربى من سومر، رغم أن الكتاب المقدس يذكر أن «ابتداء مملكته» كان «بابل وأرك وكلنة في أرض شنعار» (تك ١٠: ١٠)، وليس هناك ما يشير إلى أن «جلجامش» كان يعكس شخصية نمرود. ويظن آخرون أن «نمرود» هو «مردوخ» كبير الآلهة البابلية، في صورة إنسان.

ووجود الكثير من البلدان في ما بين النهرين يحمل اسم «نمرود» دليل على مدى

شهرته في التاريخ القديم (مثل بيرس نمرود في موقع بورسيبا القديمة، وتل نمرود بالقرب من بغداد، ونمرود -كلنة قديمًا- التي تبعد نحو عشرين ميلًا إلى الجنوب من نينوى).

ووصف «نمرود» بأنه «كان جبار صيد» يجمع بينه وبين تأسيس دولة عسكرية تقوم على القوة المطلقة. وقد تكون الرسومات البابلية والأشورية التي تصور الحيوانات الكاسرة، إشارة إلى نمرود أيضًا كصياد فعلًا، لها مضمون ديني.

مدينة النمرود (كالحو)

مدينة «كالحو» هي مدينة نسبت إلى النمرود وتعرف في العهد القديم وكتب التاريخ أيضاً بـ كالحو، أو كالخو وكالخ، وتقع عند التقاء نهر الزاب الأعلى بنهر دجلة على بعد٣٧ كم جنوب شرق الموصل، وتتمثل أطلالها اليوم بسور مربع الشكل تقريباً. طوله ثمانية كيلو مترات مدعم بأبراج، ويقع عند زاويته الجنوبية الغربية تل نمرود، حيث قصور ومعابد الملوك الأسوريين. وعند زاويته الشرقية تل أزر - مقر حصن وقصر الملك شلمنصر الثالث.

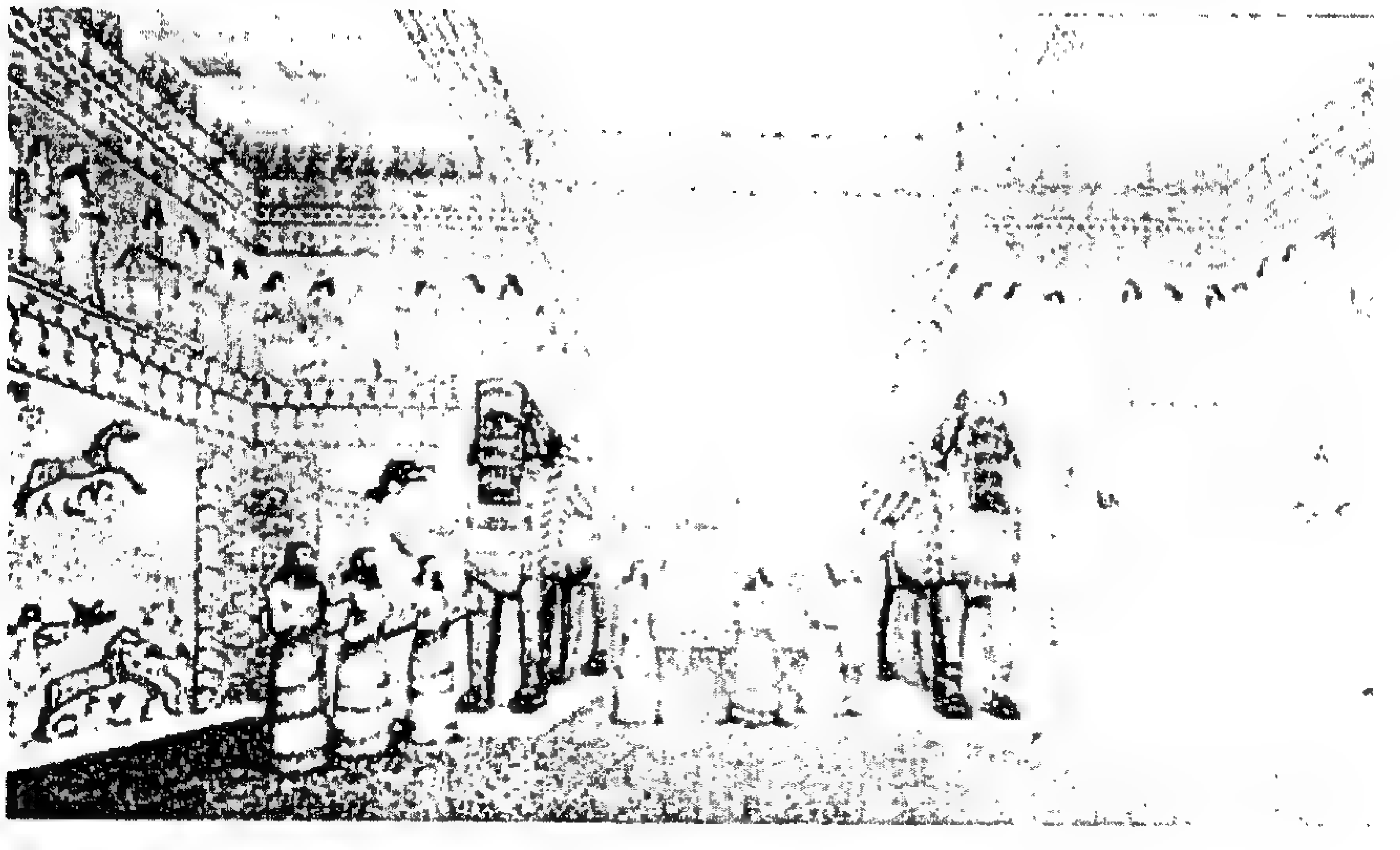
وقد دلت التنقيبات الأثرية التي أجريت في هذه المدينة على أنها كانت مركزاً لحكم الملوك الأشوريين منذ زمن الملك شلمنصر الأول (١٢٧٣ - ١٢٤٤ ق.م) واتسع شأنها في زمن الملك العظيم أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م). عندما شيد قصره عند الزاوية الشمالية الغربية من تل نمرود. وانتقل كرسي الحكم من أشور إلى نمرود عام ٨٧٧ق.م وهو العام السادس من حكمه.

ويبدو أن كالح بقيت ذات حظوة لدى الملوك الأشوريين، رغم انتقال كرسي الحكم منها، فالمعروف أن أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) شيد له عند توليه الحكم بعد والده سنحاريب قصراً واسعاً في نمرود. وهو ما يعرف بالقصر الجنوبي الغربي، ويعرف أيضاً أن الملك أشور - أتل - ايلاني (٦٢٥ - ٦٢١ ق.م) أعاد معبد نابو وشيد له قصراً بالقرب منه. (١)

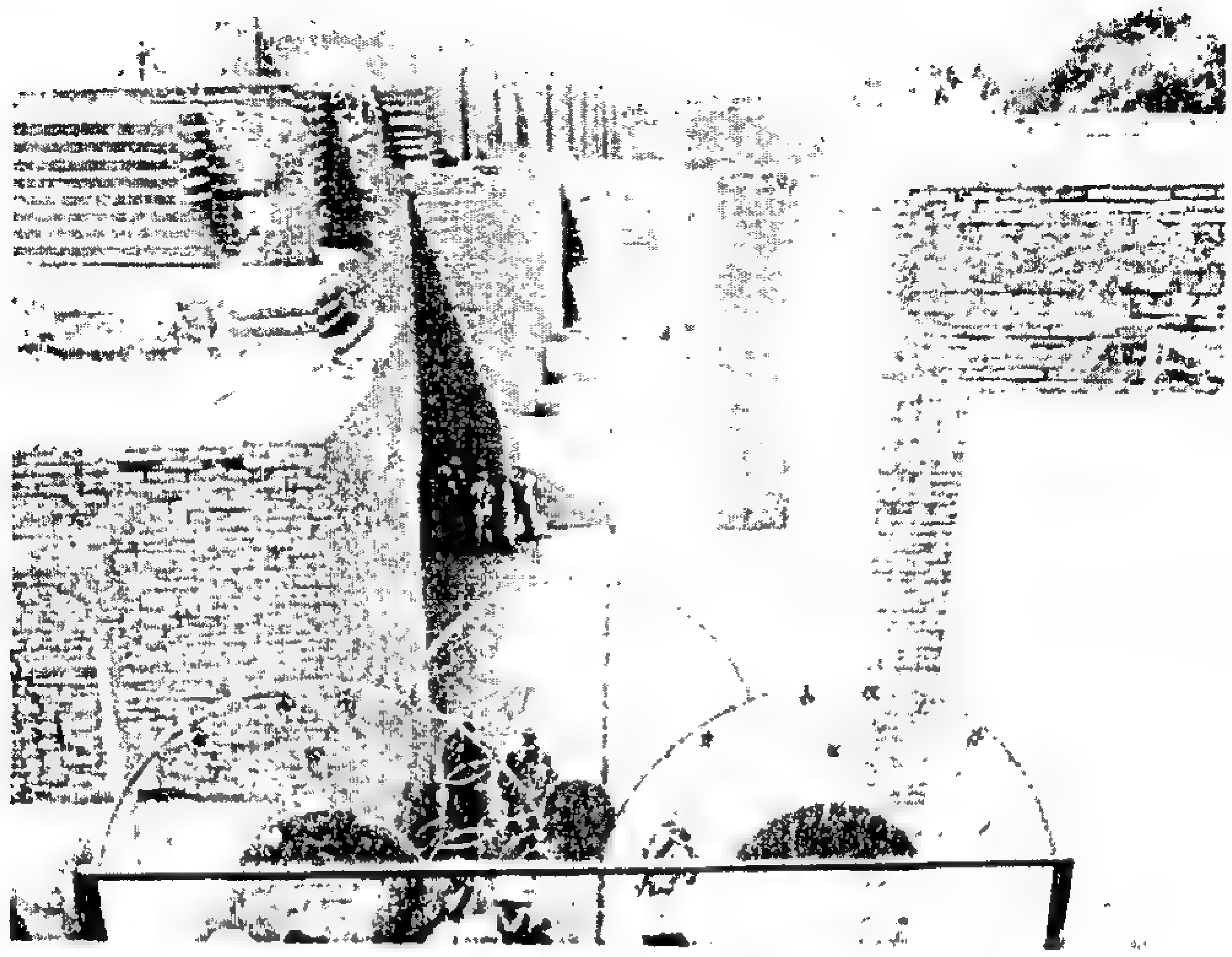
١- لفتت أطلال نمرود أنظار الرحالة الأجانب. فبدأت أولى الحفريات عام ١٨٤٥ من قبل أوستن هنري لايترد. وأعقبه آخرون منهم لوفتس وجورج سمث البريطانيان. كما شارك هرمز رسام - وهو من أهالي الموصل - بالتنقيب في نمرود. وبدأت أولى التنقيبات العلمية عام ١٩٤٩ من قبل المدرسة الآثارية البريطانية برئاسة البروفسور ماكس مالوان واستمرت حتى عام ١٩٥٨ وبإشراف المديرية العامة للآثار وأعقبه ديفيد أوتس للأعوام بين ١٩٦٠ - ١٩٦٣. كما قامت المديرية نفسها بالتنقيب والصيانة في القصر الشمالي الغربي من نمرود ابتداء من عام ١٩٥٦ من قبل موظفيها الآثاريين.



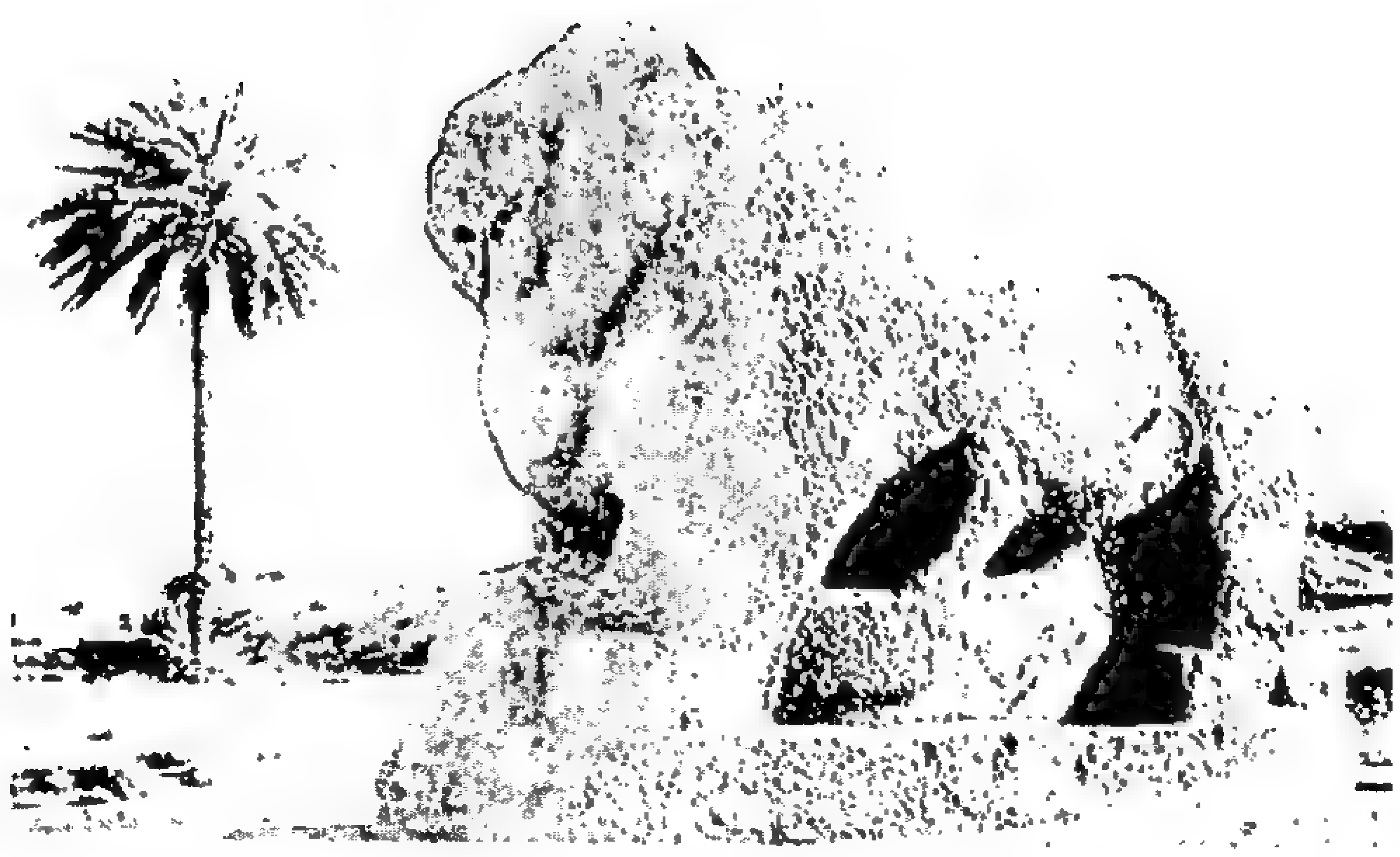
صورة النمرود على النحاس (دي فيني).



صورة تخيلية لقصر النمرود.



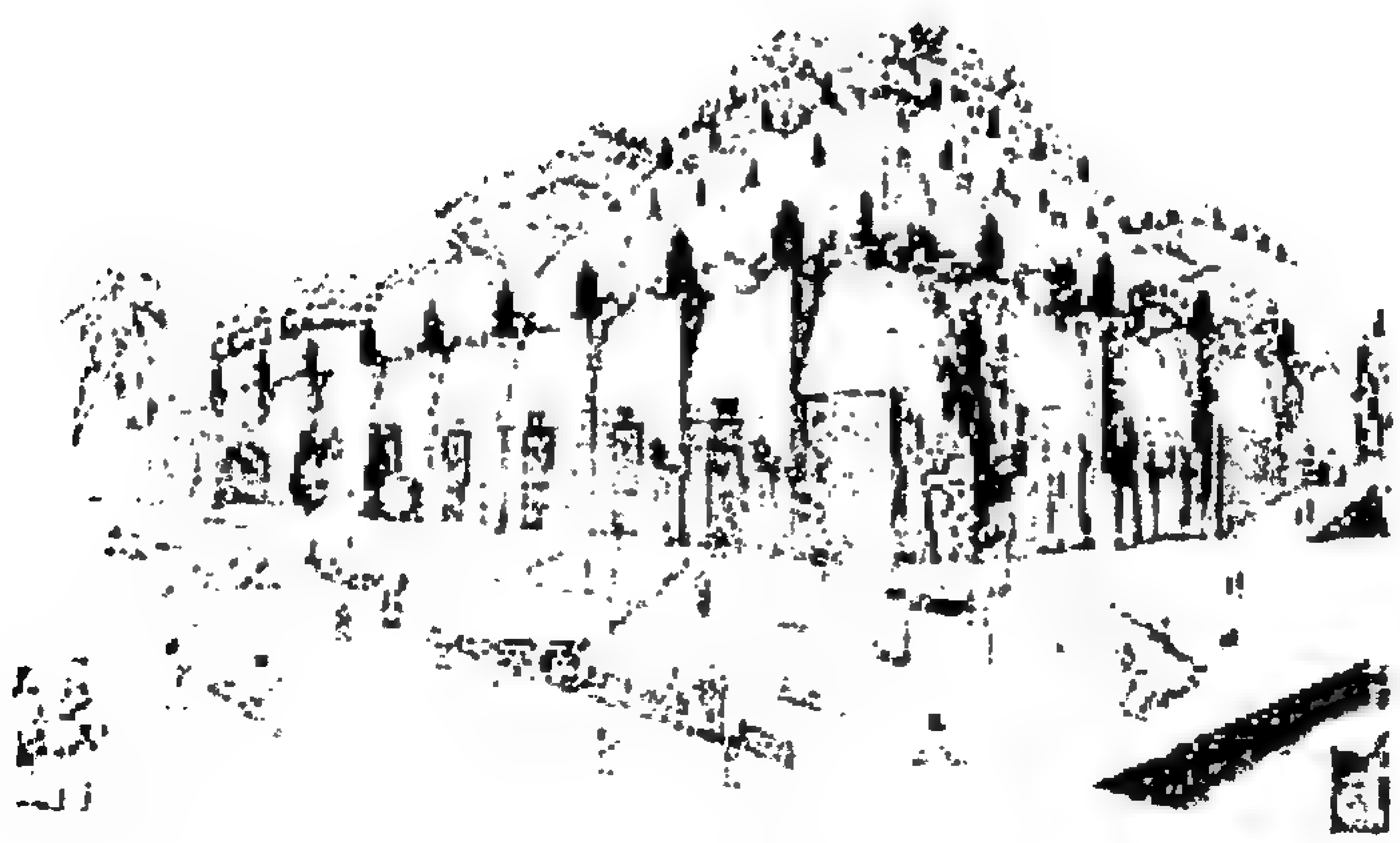
آثار من مدينة بابل.



أسد بابل الشهير وهو يرمز للملك النمرود وجبروته وسيطرته وهكذا يصور الناس الجبابرة وهكذا يكون المسيح الدجال حين يظهر آخر الزمان.



مدينة بابل الآثارية في العراق.



صورة تخيلية لحدائق بابل الشهيرة.

2

النمرود وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام

- أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في زمن النمرود.
- دعوة إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة اللّه عز وجل.
- بين النمرود وإبراهيم (المناظرة).
- أقوال المفسرين في الملك الذي عاصر إبراهيم عليه السلام.

أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في زمن النمرود

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في زمن النمرود وقد جاء ذكر قصته والنمرود في القرآن الكريم دون التصريح باسم النمرود كما ذكرنا من قبل.

ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء نقلاً عن أهل الكتاب في كتبهم نسب إبراهيم فقال: هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن أم إبراهيم اسمها «أميلة» وقال الكلبي: اسمها بون بنت كربنا بن كرثى من بني أرفشخذ بن سام بن نوح عليه السلام.

وولد إبراهيم لما كان عمر أبيه تارخ خمساً وسبعين سنة، وولد له أيضاً ناحور وهاران. (١)

وذكر ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

وُلد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها: برزة في جبل يقال له: قاسيون.

ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه، إذ جاء معيناً للوط عليه السلام.

وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان، وتزوج من سارة وكانت عاقراً لا تلد.

وذكر القرآن الكريم اسم والد إبراهيم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ

---

١ - انظر تاريخ ابن عساكر، وسيدنا لوط عليه السلام ابن هاران أخي سيدنا إبراهيم عليه السلام.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام : ٧٤]، وهذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم هو آزر وليس تارخ كما ذكره أهل الكتاب ونقله عنهم المؤرخون وجمهور أهل النسب ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما، وقد قيل إن تارخ اسم لصنم كان يعبده آزر، وقال ابن جرير الطبري في تاريخه والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمين علمين أو أحدهما لقب والآخر علم. والله أعلم.

والراجح أن إبراهيم عليه السلام ولد بأرض بابل وعاش فيها حتى ألقاه ملكها النمرود في النار ونجاه الله منها.

وقالوا: وانطلق تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حران، فمات فيها تارخ وله مائتان وخمسون سنة، وهذا يدل على أنه لم يولد بحران، وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها.

ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، فأقاموا بحران وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا وكانوا يعبدون الكواكب السبعة.

والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها، ويعملون لها أعيادا وقرابين.

وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام.

وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولا، واتخذه خليلا في كبره، قال

الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٥١]. أي كان أهلا لذلك.(١)

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت : ١٦ - ٢٧].

---

١ - انظر البداية والنهاية لابن كثير.

إبراهيم يدعو أباه إلى عبادة الله عز وجل

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته إلى عبادة الله عز وجل فبدأ بدعوة الأقربين وكان أول دعوته لأبيه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له، وقد ذكر ذلك الحق جل وعلا في القرآن الكريم فقال:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤١ - ٤٨].

قال ابن كثير رحمه الله: فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا، أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر؟

ثم قال له منبهاً على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سنًّا من أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ أي مستقيما واضحا، سهلا حنيفا، يفضي بك إلى الخير في دنياك وأخراك.

فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه، لم يقبلها منه، ولا أخذها عنه،

بل تهدده وتوعده قال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ قيل بالمقال وقيل بالفعال. ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا﴾ أي واقطعني وأطل هجراني، هكذا رد الأب على دعوة ابنه إبراهيم.

فعندها قال له إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾ أي لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، بل أنت سالم من ناحيتي. وزاده خيرا فقال: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾. قال ابن عباس وغيره: أي لطيفا، يعني في أن هداني لعبادته والإخلاص له.

ولهذا قال: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾. وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أدعيته، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟

فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك!!

فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟

فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ثم يقال يا إبراهيم انظر ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».[١]

---

١ – هكذا رواه في قصة إبراهيم منفردا، وقال في التفسير: وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذؤيب عن سعيد المقبري، عن أبيه عن أبي هريرة. وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن حفص بن عبد الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان به. وقد رواه البزار عن حديث حماد بن سلمة عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وفي سياقه غرابة. ورواه أيضا من حديث قتادة عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. والذيخ ذكر الضباع الكثير الشعر.

دعوة إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة الله عز وجل

وبعد دعوته لأبيه انتقل إبراهيم عليه السلام لدعوة قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٨٣].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا المقام مقام مناظرة لقومه، وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهَدة من الكواكب النيرة، لا تصلح للإلوهية، ولا أن تُعبد مع الله عز وجل، لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتأفل أخرى، فتغيب عن هذا العالم، والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، بل هو الدائم الباقي بلا زوال، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه فبين لهم أولاً عدم صلاحية الكواكب.

قيل: هو الزُّهرة لذلك، ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها، وأبهى من حسنها، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء، فبين أنها مسخرة مسيرة مقدرة مربوبة.

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧].

ولهذا قال: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ أي طالعة ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٨٠].

أي: لست أبالي هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله، فإنها لا تنفع شيئا ولا تسمع ولا تعقل، بل هي مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها، أو مصنوعة منحوتة منجورة[1]

والظاهر أن موعظته هذه في الكواكب لأهل حران، فإنهم كانوا يعبدونها. وهذا يردُّ قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا، كما ذكره ابن إسحاق وغيره وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولا سيما إذا خالفت الحق.

وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام، وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها عليهم، وأهانها وبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٥].

وقال في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾

١ - المصدر السابق.

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٧٠].

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٣].

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: ٨٣ - ٩٨].

يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام، أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] أي معتكفون عندها وخاضعون لها.

قالوا: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]. ما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والأجداد، وما كانوا عليه من عبادة الأنداد.

﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنبياء: ٥٤].

كما قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾. قال قتادة: فما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟

وقال لهم: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾. سلموا له أنها لا تسمع داعيا ولا تنفع ولا تضر شيئا، وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الأباء الجهال. ولهذا قال لهم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية ما ادعوه من الأصنام، لأنه تبرأ منها، وتنقص بها، فلو كانت تضر لضرته، أو تؤثر لأثرت فيه.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ ويقولون: هذا الكلام الذي تقوله لنا وتنتقص به آلهتنا، وتطعن بسببه في آبائنا أتقوله محقا جادا فيه أم لاعبا؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ يعني بل أقول لكم ذلك جادا محقا، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ربكم ورب كل شيء، فاطر السماوات والأرض، الخالق لهما على غير مثال سبق. فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنا على ذلكم من الشاهدين.

وقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ أقسم ليكيدن هذه الأصنام التي يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين إلى عيدهم.

قيل: إنه قال هذا خفية في نفسه. وقال ابن مسعود: سمعه بعضهم.

وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد، فدعاه أبوه ليحضره فقال: إني سقيم.

كما قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾. عرض لهم في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة.

فلما خرجوا إلى عيدها، واستقر هو في بلدهم ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أي ذهب إليها مسرعا مستخفيا، فوجدها في بهو عظيم، وقد وضعوا بين أيديها أنواعا من الأطعمة قربانا إليها.

فقال لها على سبيل التهكم والازدراء ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ لأنه أقوى وأبطش وأسرع وأقهر، فكسرها بقدُّوم في يده كما قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾. أي حطاما، كسرها كلها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾.

قيل إنه وضع القدوم في يد الكبير، إشارة إلى أنه غار أن تُعبد معه هذه الصغار!

فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون، وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي يذكرها بالعيب والتنقص لها والازدراء بها، فهو المقيم عليها والكاسر لها.

وعلى قول ابن مسعود، أي يذكرهم بقوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي: في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد، لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه، ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه.

وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم، فيقيم على جميع عُباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه، كما قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٩].

فلما اجتمعوا وجاءوا به كما ذكروا، ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ﴾. قيل معناه: هو الحامل لي على تكسيرهم وإنما عرض لهم في القول ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٣].

وإنما أراد بقوله هذا أن يبادر إلى القول بأن هذه لا تنطق، فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات.

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. أي فعادوا على أنفسهم بالملامة، فقالوا إنكم أنتم الظالمون. أي في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها.

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾. قال السدي: أي ثم رجعوا إلى الفتنة، فعلى هذا يكون قوله: ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. أي في عبادتها.

وقال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء. أي فأطرقوا ثم قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾. أي لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق، فكيف تأمرنا بسؤالها!

فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧].

كما قال: ﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ قال مجاهد: يُسرعون.

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ أي: كيف تعبدون أصناما أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وسواء كانت «ما» مصدرية، أو بمعنى الذي، فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون، وهذه الأصنام مخلوقة، فكيف يتعبد مخلوق لمخلوق مثله؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم، وهذا باطل، فالآخر باطل للتحكم إذ ليست العبادة تصلح، ولا تجب إلا للخالق وحده لا شريك له.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: ٩٧ - ٩٨].

عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغُلبوا، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم، لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم، فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق إبراهيم. ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة، فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأججت، والتهبت وعلا لها شرر لم يُر مثله قط.

ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له «هزن» وكان أول من صنع المجانيق، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك.

فلما وُضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدا مكتوفا، ثم ألقوه منه إلى النار، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

وروى أبو يعلىَ بسنده عن أبي هريرة قال قال: صلى الله عليه وسلم «لما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك».

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا.

ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال جعل ملك المطر يقول متى أومر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

قال علي بن أبي طالب: أي لا تضريه.

وقال ابن عباس وأبو العالية: لو لا أن الله قال ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ لآذى إبراهيم بردها.

وقال كعب الأحبار: لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار، ولم تحرق منه سوى وثاقه.

وقال الضحاك: يُروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره.

وقال السدي: كان معه أيضا ملك الظل. وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار، وهو في روضة خضراء، والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول، ولا هو يخرج إليهم. فعن أبي هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال: نعم الرب ربك يا إبراهيم!

وروى ابن عساكر عن عكرمة أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته. يا بني أريد أن أجئ إليك فادع الله أن ينجيني من حر النار حولك. فقال: نعم فأقبلت إليه لا يمسها شيء من حر النار. فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت.

وعن المنهال بن عمرو أنه قال: أُخبرت أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين وإما خمسين يوما، وأنه قال: ما كنت أياما وليالي أطيب عيشا إذ كنت فيها. وودت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها. صلوات الله وسلامه عليه.

فأرادوا أن ينتصروا فخُذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا. قال الله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ ففازوا بالخسارة والسفال، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما، ولا يلقون تحية ولا سلاما، بل هي كما قال تعالى ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

روى البخاري في صحيحه عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم».[١]

وكذلك روى أحمد في المسند أيضاً بسنده عن نافع مولى ابن عمر أخبره، أن عائشة أخبرته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم» قال فكانت عائشة تقتلهن.

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن نافع، أن امرأة دخلت على عائشة فإذا رمح منصوب فقالت: ما هذا الرمح؟ فقالت: نقتل به الأوزاغ.

ثم حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه. تفرد به أحمد من هذين الوجهين.

١- ورواه مسلم في صحيحه وأخرجه النسائي وابن ماجه.

بين النمرود وأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

تروي كتب السيرة والتاريخ أن النمرود كان جباراً في الأرض وأنه ادعى الإلوهية، وأنه احتكر الطعام فكان الناس يأتونه ليحصلوا منه على طعامهم، وأن نبي الله إبراهيم عليه السلام خرج ذات مرة يمتار مع من يمتار الطعام، وكان النمرود حينها يدعي الإلوهية فإذا مرَّ به الناس قال لهم: من ربكم؟

قالوا: أنت، حتى مرَّ به إبراهيم، قال: من ربك؟

قال إبراهيم له: ربي الذي يحيي ويميت.

قال النمرود له: أنا أحيي وأميت.

قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

فبهت النمرود ولم يرد، كما جاء ذكر ذلك في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

حينها رده النمرود بلا طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب أعفر فقال: هلا أخذت من هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم، فأخذ منه فأتى أهله، فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأته ففتحت متاعه فوجدت به أطيب الطعام وأجوده فأخبرت إبراهيم فعلم أنه من عند الله عز وجل.

وفي ذكر مناظرة إبراهيم الخليل مع من ادعى الربوبية يقول ابن كثير في تاريخه (كتاب البداية والنهاية):

قال الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل عليه دليله، وبين كثرة جهله، وقلة عقله، وألجمه الحجة، وأوضح له طريق المحجة.

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار، وهذا الملك هو ملك بابل، واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. قاله مجاهد:

وقال غيره: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

قال مجاهد وغيره: وكان أحد ملوك الدنيا، فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان وكافران. فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان. والكافران: النمرود وبختنصّر. وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان طغا وبغا، وتجبر وعتا، وآثر الحياة الدنيا.

ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاجّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية. فلما قال الخليل: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾.

قال قتادة والسُّدِّي ومُحَمَّد بن إسحاق: يعني أنه إذا آتى بالرجلين قد تحتم قتلهما، فإذا أمر بقتل أحدهما، وعفا عن الآخر، فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر.

وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة، ليس بمنع ولا بمعارضة، بل هو تشغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة.

فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها، (هذا دليل) على وجود فاعل. وذلك، الذي لا بد من استنادها إلى وجوده

ضرورة عدم قيامها بنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهَدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة، ثم إماتتها ولهذا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

فقول هذا الملك الجاهل ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قتادة والسُّدِّي ومُحَمَّد بن إسحاق فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم، ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادّعاه النمرود وانقطاعه جهرة.

قَال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ أي: هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها. وهو الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحيي وتميت، فأت بهذه الشمس من المغرب، فإنّ الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء، ولا يمانَع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت.

وأنت تعلم وكل أحد، أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها. فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به بل انقطع وسكت. ولهذا قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد ذكر السُّدِّي: أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمرود، يوم خرج من النار، ولم يكن اجتمع به يومئذ، فكانت بينهما هذه المناظرة.

وقد روى عبد الرزاق عن مَعْمَر عن زيد بن أسلم: أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة ولم يكن اجتمع به إلا يومئذ، فكان بينهما هذه المناظرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام.

فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه، وقال: أشغل أهلي إذا قدمت عليهم، فلما قدم: وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاماً طيباً، فعملت منه طعاماً.

فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه؛ فقال: أنَّى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به. فعرف أنه رِزْقٌ رَزَقَهُموه الله عز وجل.

قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبّار ملكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه. ثم دعاه الثانية فأبى عليه. ثم دعاه الثالثة فأبى عليه. وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي.

فجمع النمرود جيشه وجنوده، وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليه ذباباً من البعوض، بحيث لم يروا عين الشمس وسلّطها الله عليهم، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاماً باديةً.

ودخلت واحدةٌ منها في منْخَر الملكِ فمكثت في منخره، يعذبه الله تعالى بها، فكان يُضْرَبُ رأسُه بالـمِـرازب ما شاء الله حتى أهلكه الله عز وجل بها.

عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس – وعن مرة ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم، فأخرج – يعني من مدينته – قال: فأخرج فلقي لوطاً على باب المدينة – وهو ابن أخيه – فدعاه فآمن به، وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت : ٢٦]، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفرخ من فراخ النسور، فرباهن باللحم والخمر، حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن، قرنهن بتابوت، وقعد في ذلك التابوت، ثم رفع رجلاً من لحم لهنّ، فطرن به، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل، ثم ربع لهن اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطاً بها بحر كأنها فلكة من ماء، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته، ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضات، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضاتٍ وسمعن حفيفهن فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن.

وذلك قوله عز وجل: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦]، وهي في قراءة ابن مسعود: «وإن كاد مكرهم» فكان طيرانهن به من بيت المقدس، ووقوعهن في جبل الدخان، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - يزعمه - إلى إله إبراهيم، فأحدث ولم يكن يحدث، وأخذ الله بنيانه من القواعد: «فخر عليهم السقفُ من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيث لا يشعرون»، يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فانتفض بهم. ثم سقط فتبلبلت ألسن الناس، من يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السريانية.

عن سعيد بن جبير: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾، قال: نمرود صاحب النسور، أمر بتابوت فجعُل وجعل معه رجلاً، ثم أمر بالنسور فاحتملته، فلما صعد قال لصاحبه: أي شيء ترى؟ قال: أرى الماء والجزيرة - يعني الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه: أي شيء ترى؟ قال: ما نزداد من السماء إلا بعداً، قال: اهبط، وقال غيره: نودي: أيها الطاغية، أين تريد؟ فسمع الجبال حفيف النسور، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول، فهو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن دانيل، أن عليًّا عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾، قال: أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين، فرباهما حتى استغلظا واستعلما فشبا، قال: فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت، وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت، قال: ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم، فطارا، وجعل يقول لصاحبه: انظر ماذا ترى؟

قال: أرى كذا وكذا، حتى قال: أرى الدنيا كأنها ذباب، فقال: صوب، فصوبها، فهبطا. قال فهو قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

قال أبو إسحاق: ولذلك هي في قراءة عبد الله: «وإن كاد مكرهم».

وقد قال جماعة: إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملك مشرق الأرض ومغربها، وهذا قول يدفعه أهل العلم بسير الملوك وأخبار الماضين، وذلك أنهم لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيم كان في عهد الضحاك بن أندرماسب ملك شرق الأرض وغربها. وقد قال بعض من أشكل عليه أمر نمرود ممن عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عمن روي عنه قال: ملك الأرض كافران ومؤمنان، فأما الكافران فنمرود وبختنصر، وأما المؤمنان فسليمان ابن داود وذو القرنين.

وقول القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في عهد إبراهيم نمرود: هو الضحاك وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار الأوائل، والمعرفة بالأمور السوالف، كالذي ظن، لأن نسب نمرود في النبط معروف، ونسب الضحاك في عجم الفرس مشهور، ولكن ذوي العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضحاك كان ضم إلى نمرود السواد وما اتصل به يمنة ويسرة، وجعله وولده عماله على ذلك، وكان هو ينتقل في البلاد، وكان وطنه الذي هو وطنه ووطن أجداده دنباوند، من جبال طبرستان، وهنالك رمي به أفريدون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد.

وكذلك بختنصر كان من أصبهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لهراسب، وذلك أن لهراسب كان مشتغلاً بقتال الترك، مقيماً بإزائهم ببلخ، وهو بناها -فيما قيل- لما تطاول مكثه هنالك لحرب الترك، فظن من لم يكن عالماً بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمر الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك.

ولم يدع أحدٌ من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النبط كان ملكاً برأسه على شبر من الأرض، فيكف يملكُ شرق الأرض وغربها! ولكن العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التأريخات، يزعمون أن ولاية نمرود إقليم بابل من قبل

الأزدهارق بيوراسب دامت أربعمائة سنة، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود، يقال له نبط بن قعود مائة سنة، ثم لداوص بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهراً. فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر، وذلك كله في أيام الضحاك، فلما ملك أفريدون وقهر الأزدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وطردهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، لما كان منهم من معاونتهم بيوراسب على أموره، وعمل نمرود وولده له.

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكر لهم وتغير عما كان لهم عليه.[١]

وذكر ابن كثير وغيره أنه في عصر النمرود طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود، فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا: يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه، فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وقتل المولودين من ذلك الحين.

وقد ذكرت بعض الروايات أن (تارخ) والد إبراهيم قبل أن يولد ولده،انتقلت أم إبراهيم (عليه السلام) إلى دار شقيق زوجها (آزر) وهي حامل به.

وقد ذكرت بعض الروايات أن (تارخ) والد إبراهيم قبل أن يولد ولده،انتقلت أم إبراهيم (عليه السلام) إلى دار شقيق زوجها (آزر) وهي حامل بإبراهيم (عليه السلام). ولعل هذا ما جعل إبراهيم عليه السلام ينادي خاله آزر بأبي ويذكره الله تعالى في القرآن الكريم على أنه أبوه باعتبار أن الخال مثل الأب كما يقال الخال والد والخالة كالأم.

وعن هشام بن محمد وقال: «اختُلف في الموضع الذي كان منه والموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الأحواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من ارض السواد، وقال بعضهم كان مولده في الوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثى، وقال بعضهم كان مولده

---

١ - انظر تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير وتاريخ ابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ القديم.

بحران ولكن أباه تارح نقله إلى أرض بابل، وقال عامة السلف من أهل العلم كان مولد إبراهيم الخليل (علية السلام) في عهد النمرود بن كوش وقد أرسله الله إلى قوم النمرود الكافر.

ويرى البعض أن كوثى هي محل ولادة إبراهيم وتعرف بـ قرية إبراهيم الخليل والواقعة ضمنا تحت اسم آثار برس.

وقيل إنه ولد في بلدة حران التي قال الزبيدي في معجمه: وهي بلدة بالجزيرة بناها هاران أخو إبراهيم ووالد لوط النبي عليه السلام (وبه ولد سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام)، وهي مدينة عظيمة مشهورة في الشام على طريق الموصل الشام.

وقد ورد ذكر أور في العهد القديم كونها ميلاد تارخ وهو أبو إبراهيم الخليل عليه السلام ومنها نزح الخليل عليه السلام إلى فلسطين.

وهناك خلط بين مكان ولادة إبراهيم عليه السلام والمكان الذي ألقي في النار فيها من النمرود.

والمكان الذي هاجر إليه بعد ذلك وهي حران والمشهور أنه ولد في مدينة أور البابلية.

يقول الدكتور حسن الحكيم: أن أور الكلدانيين هي الأقرب إلى المكان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام إلا أن عبد الوهاب النجار يذكر: (وكانت رحلته إلى أور الكلدانيين أي (كوثى) ثم حاران (حران) فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه ولم يطب له المقام بين أهله وقومه فذهب إلى أور الكلدانيين وهي مدينة كانت قرب الشاطئ الغربي للفرات.[١]

قال حرز الديم في مراقد المعارف: «إن مولده أي إبراهيم عليه السلام كان بذي قار المقير أور» في قرى ومدن الكلدانيين واليوم هو من سواد العراق قرب مدينة الناصرية، أحد ألوية العراق في أراضي المنتفك.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان في ذكره لمدينة الوركاء: هو موضع بناحية

١ – انظر قصص الأنبياء – عبدالوهاب النجار.

الروابي ولد بها إبراهيم عليه السلام وهو من حدود كسكر وكسكر هذه هي واسط القصبة بين الكوفة والبصرة، وقيل قرب البصرة والظاهر اليوم يطلق عليه آثار الوركاء بين السماوة والناصرية.

وقال أيضاً ولد إبراهيم عليه السلام في قرية من قرى الغوطة يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون ثم قال والصحيح انه ولد في بابل وانما نسب اليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للنبي لوط عليه السلام.

وهذا هو الأصح عند كثير من المؤرخين وهو الأشهر.

وقد حدد المسعودي الفترة بين عهد إبراهيم الخليل وبين عهد موسى في مصر بخمس مئة وسبع وستين سنة، ولما كان العلماء قد توصلوا إلى تعين زمن الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد فيكون هذا التحديد مطابقا تماما لما توصل إليه العلماء بتعيين زمن إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

ولا ننسى أن نذكر أن إبراهيم عليه السلام قد أنزل الله عليه ما يعرف بصحف إبراهيم وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم ذلك في أواخر سورة الأعلى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨-١٩] فهي من الصحف الأولى.

وقد تقدم عن ابن عباس أنه وُلد ببرزة شرقي دمشق فلما أهلك الله نمرود على يديه هاجر إلى حران، ثم إلى أرض الشام، وأقام ببلاد إيليا، وولد له إسماعيل وإسحاق الأول من هاجر والثاني من زوجته الأولى سارة.

وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كنعان، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها إبراهيم عليه السلام، ورثاها رحمها الله، واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال، ودفن فيها سارة هنالك.

قالوا: ثم خطب إبراهيم على ابنه إسحاق فزوجه رفقا بنت بتوئيل بن ناحور بن تارح، وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجواريها على الإبل.

قالوا: ثم تزوج إبراهيم عليه السلام قنطوراً فولدت له زمران، وبقشان، ومادان، ومدين، وشياق، وشوح.[1]

وهناك روايات في قصة إبراهيم عليه السلام يعدها العلماء من الإسرائيليات مثل ذكرهم أنه عليه السلام مكث في النار أربعين يوماً وقيل خمسين يوماً وأنه قال: ما كنت أطيب عيشاً مني إذ كنت فيها، ويكفينا ما جاء في ذكر ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٦٩].

ومما ذكر أيضاً من الإسرائيليات ما قاله محمد بن إسحاق بن يسار: إن الله قد بعث ملك الظل فقعد إلى جانبه يؤنسه، فنظر نمرود من حصنه فأشرف عليه فرآه جالساً في روضة مورقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه: يا إبراهيم، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه، وقال: من الرجل الذي رأيته معك؟

فقال: ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فقال: إني مقرب إلى إلهك قرباناً، لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك.

فقال إبراهيم: لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا.

قال النمرود: لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبح أربعة آلاف بقرة، فذبحها وكف إبراهيم عليه، وكان ذلك ابن ست عشرة سنة.

والروايات المؤخوذة من أهل الكتاب عموماً تؤخذ من باب الذي لا يُكَذَّب ولا يصدق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوهم ولاتكذبوهم، والسبب في ذلك أنه قد يكون كلامهم مصادفاً للحق فنكذبه أو يكون من باب الكذب فنصدقه.

وكذلك لا يأخذ العلماء بالروايات التي يرويها الكلبي ومقاتل بن سليمان ومحمد بن

---

١ - المصدر السابق.

مروان السدي لأنهم متهمون بالكذب من علماء الجرح والتعديل، قال عنهم البخاري: إن هؤلاء رواياتهم مسكوت عنها وإنهم كانوا يصنعون الأحاديث.

وما أورده المفسرون ومنهم: أبو السعود وكثيرون من قوم إبراهيم حين قرروا حَرقه بنوا له حظيرة لإلقائه فيها، ولذلك جمعوا أصلاب الحطب لمدة أربعين يومًا - أي: الحطب الغليظ وجذوع الأشجار وغير ذلك- وجعلوا الخليل في كفة المنجنيق بإشارة إبليس اللعين، أو صنعه لهم رجلٌ من الأكراد؛ فخسف الله تعالى به الأرض؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. هذه أخبار لا نملك دليلًا بصحتها، ومثل ذلك لا يعرف إلا عن نبي أو رسول.

ومما لا يصح في هذه القصة عن سيدنا إبراهيم؛ نقول الخبر الذي أورده أبو السعود وغيره، وهو أنّ إبراهيم حين ألقي في النار عَرَض له جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وهذا الكلام رواه ابن جرير عن معتمر بن سليمان عن أصحابه، وفي سنده جهالة، والحافظ ابن كثير أيضًا قال: إن هذا كلام غير مقبول، وذكره الشيخ العجلوني في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) من رواية البغوي عن كعب الأحبار، وذكره كثيرٌ من المفسرين عن أُبي ابن كعب موقوفًا عليه.

وقد أورد ابن عراق في (تنزيه الشريعة) ثم عقب عليه بقوله: قال ابن تيمية: إنه حديث موضوع. مع أن الكلام جميل أن جبريل يأتيه؛ فيقول: ألك حاجة؟ أما إليك فلا، قال: سل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، كلام جميل طيب لكن لم يثبت هذا، القول الصحيح هو أنّ الخبر لا يصح؛ لأنه يشير إلى ترك الدعاء مع أن الدعاء مخُّ العِبادَة كما صح الحديث، وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالأمر بالدعاء، والحث عليه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

أقوال المفسرين في الملك الذي أمر بإحراق إبراهيم عليه السلام

ذكر الحق جل وعلا قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار في القرآن الكريم دون ذكر اسم الملك الذي أمر بذلك وذكر قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام مع هذا الملك المدعي للإلوهية، وقد ذكر غالبية أهل التفاسير والتاريخ أن هذا الملك المعاصر لسيدنا إبراهيم عليه السلام هو النمرود، واختلفوا في كونه النمرود بن كوش أم النمرود بن كنعان أو النمرود بن فالخ بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، أو أنه الضحاك كما ذكرنا من قبل.

ومن المعلوم أنه بين نوح وإبراهيم في النسب تسعة آباء.

إبراهيم بن تارخ بن ناحو بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عابر بن شالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح.

وبين النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، ثلاثة آباء، والنمرود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح كذلك وأما النمرود بن فالخ بن عابر بن صالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح.[1]

فبينه وبين نوح خمسة آباء. وفي ذلك يشترك النمرود بن فالخ مع نسب إبراهيم في فالخ بن عابر بن شامخ بن أرفشخد بن سام. وهو أقرب النمارِدة من معاصرة سيدنا إبراهيم والله أعلم.

وهناك من ينسب النمرود الذي عاصر إبراهيم إلى نسل حام بن نوح مثل السهيلي

---

١ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير وتاريخه.

حيث قال النمرود بن كوش بن كنعان بن حام وكان ملكاً على السودان وكان ملكه الضحاك الذي يعرف بالأزدهاق واسمه بيوراسب بن أندراست وكان ملك الأقاليم كلها.(١)

وكما ذكرنا فإن النماردة كثر على مر التاريخ، وقد أنكر البعض وجود ملك اسمه النمرود قد حكم بلاد بابل القديمة وهذا القول يثير العجب، ومنهم من ذكر أن عصر الأسرات السومري ظهرت فيه دويلات وكان دويلة لجش أقوى تلك الدويلات حتى أنها بسطت نفوذها على باقي الدويلات ثم جاء الأموريون وسيطروا على جنوب العراق فيما سمي بالعصر الأكدي في الفترة من ٢٣٤٠ - ٢٢٣٠ قبل الميلاد، ثم جاء الأشوريون وكان أشهر ملوكهم سرجون الأول الذي بسط نفوذه على بلاد بابل ثم ضعفت دولة أشور واستقلت دويلات الجنوب السومرية ثم لجش وأوروك وأور وكانت لاستقلال أرو ونهضتها بداية لأسرة أور الثالثة قد أسسها الملك «أورغو» ثم تولى بعده ابنه «شولجي» حتى حكم البلاد حوالي خمسين عاماً وتميزت فترة حكمه بالغزوات والحملات الحربية وضم الكثير من أراضي دولة عيلام وتزوج من إحدى بنات ملكها واستولى على دويلات الجنوب حتى أنه اغتر بنفسه وادعى الإلوهية فقال: «شولجي إيلي» أي «شولجي إلهي».

وكان من غروره أنه استولى على ذخائر أحد المعابد في مدينة إريدو بصفته إلهاً لا يضره فعل ذلك ويعتقد البعض أنه هو الملك الذي عاصر إبراهيم عليه السلام.(٢) والله أعلم.

والجدير بالذكر أن العهد القديم في سفر التكوين في الإصحاح العاشر ذكر النمرود على أنه من نسل كوش بن حام بن نوح: «وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض...» (تكوين ١٠: ٨-١٢).

ولم يذكر أنه عاصر إبراهيم عليه السلام حيث جاء ذكر إبراهيم (إبرام) في الإصحاح

١- تفسير القرطبي.

٢- انظر د. نجيب ميخائيل - كتاب مصر والشرق الأدنى، وكذلك كتاب قصص الأنبياء والتاريخ - د. رشدي البدراوي.

الحادي عشر من نفس السفر على أنه من نسل سام بن نوح: «هذه مواليد سام بعدما ولد ارفكشاد ٥٠٠ سنة وولد بنين وبنات وعاش ارفكشار ٣٥ سنة وولد شالح، وعاش ازفكشاد بعدما ولد شالح ٤٠٣ سنين وولد بنين وبنات و...» فهناك تسعة أبناء وأجداد حتى ولادة إبراهيم عليه السلام ولم يذكر العهد القديم قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار كما ذكرها القرآن الكريم، فالعهد القديم لم يأت على تلك القصة من قريب أو بعيد، كما أنه بذكره النمرود بن كوش بن كنعان من نسل حام يفهم منه أنه نمرود آخر غير النمرود الذي عاصر إبراهيم عليه السلام، وهذا ما نرجحه - والله أعلم.



«عبادة القمر» نقش كشفت عنه الحفريات مؤخراً عثر عليه في أور



نقش حجري يصور إله القمر (سن) الذي كشفت عنه الحفريات مؤخراً عثر عليه في أور





كشفت الحفريات أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وقد ظهر هذا جليًّا في النقوش الأثرية التي كشفتها (التنقيبات الأثرية في مدينة أور، يظهر في الصورة نقش للثلاثي الوثني المقدس (الشمس والقمر والنجوم).

3

أهم آثار النمرود وإبراهيم على أرض بلاد بابل

- مقام إبراهيم في بورسيا.
- صرح النمرود (برج بابل).
- وصف برج بابل وتدميره.
- ذكر برج، بابل عند أهل الكتاب.
- برج بابل وأبراج أخرى في العصر الحديث.
- قلعة الصبيبة.
- إسرائيل وسرقة آثار النمرود (والأرشيف) اليهودي العراقي من العراق بواسطة الجيش الأمريكي.

مقام إبراهيم على أرض «بورسيا»

بورسيا أو أرض «برس» أو (بورسيبا) هي قرية في أرض بابل بين الكوفة والحلة – بالعراق – شهدت محاولة إحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار وهي تضم الآن ما يعرف بمقام إبراهيم عليه السلام وهو المكان الذي شهد تلك الحادثة وعلى مقربة منه يوجد صرح النمرود (برج بابل).

وكانت مدينة «بورسيبا» أو «برس» مكان إقامة النمرود زمن سيدنا إبراهيم؛ ذكر الطبري في تاريخه أن أباه نقله بعد ولادته إلى مدينة بورسيبا لكي يجاور النمرود ويتعلم الحكم واللغة النبطية ويكون قريباً من معبد بورسيبا الذي كان أكبر معابد المنطقة في هذا الزمان، وقد ولد إبراهيم في أرض كوثى وقيل في مدينة أرو أو آرام النهرين شمال كربلاء.

وتعلم إبراهيم اللغة الأرامية حيث أن أصول قبيلته تعود إلى الآرامية وينتسبون إلى أرم بن سام عليه السلام.

وتنتمي القبائل الآرامية التي عمرت بلاد النهرين (أرام النهرين) وتقع هذه المدينة في النصف الأعلى من مدينة كربلاء الحالية بين نهري فيشون (الفرات القديم) وجيحون (كري سعده).

ويقول ياقوت الحموي: كوثى بالعراق في موضعين كوثى الطريق وكوثى ربا وبها مشهد إبراهيم الخليل وهما قريتان بينهما تلول من رماد، يقال إنها رماد النار التي أوقدها نمرود لإحراقه وعليه فإبراهيم ولد في قرية كوثى ربا وأما كوثى الأخرى فهي بالقرب منها على أن كوثى ربا قد صحفت وأصبحت في بعض الكتب كوثاريا وعليه

فإن الاحتمال الأقرب للصحة كون المقام الموجود الآن بالقرب من مدينة الحلة هو مقام ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام كما أن هذه القرية (أي كوثى ربا) كانت تقسم إلى مناطق أصغر وقيل إن أول من تكلم بالعبرانية إبراهيم الخليل عليه السلام بعد أن خرج من قريته المعروفة بـ أوركشد من بلاد كوثى من خنيرت وهو إقليم بابل، وفي أوركشد دلالة على أور الكلدانيين؛ وهذا القول لا يعتد به ولا يعتبر إلا أقاويل تحتاج إلى أسانيد قوية.

وكان ظهور إبراهيم الخليل على مسرح الأحداث في بابل حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد داعيا إلى عبادة الإله الواحد خالق السموات والأرض بين قومه عُبَّاد الأصنام، فلاقى من جراء دعوته أشد الاضطهاد على يد النمرود في مدينة برس، وبرس هي برس نمرود وهو الاسم المحرف من الاسم البابلي (بورسيبا) أو (بارسبا).

وتقع خرائب برس (تل إبراهيم الخليل) جنوب بابل، وعن الحلة جنوبها – على نحو أميال قليلة لا تتجاوز العشرة الأميال – كما تقع شرقي مدينة سورا – كربلاء – القديمة وقد كانت هذه المدينة من ضواحي بابل في بداية الألف الثانية قبل الميلاد، أي بعد تأسيس بابل وكذلك مدينة النهرين، وكانت قرية كربلاء تابعة لها من الناحية الإدارية وقد اشتهرت هذه القرية في كونها مركز عبادة الإله الواحد.

وكانت بورسيبا مركز عبادة الإله البابلي (نبو) الذي عبده البابليون القدماء واعتبروه إله الحكمة والمعرفة ابن مردوخ إله بابل الشهير وسمي معبده في بورسيبا بالاسم السومري، ويوجد بعض آثاره مرتفعا رغم سقوط النصف الأعلى منه، وهو برج كبير ومرتفع، كما توجد تلال كثيرة تقع شرقه تسمى تلال إبراهيم الخليل (عليه السلام) ومزار بني حديثا على هذه التلال يعزى إلى كونه مقام إبراهيم الخليل.

ويروي أهل السير والتاريخ أن إبراهيم عليه السلام لما كبر وعقل وهو في السرب

قال لأمه من أبي؟ قالت أنا! قال فمن ربك؟ قال أبوك! قال فمن رب أبي؟ قالت له نمرود! قال: فمن رب نمرود؟ قالت: له اسكت!!.

وذلك دليل على علمه وبحثه عن الخالق الحق الله عز وجل منذ نعومة أظفاره.

وبعد محاولة حرقه في برس من قبل النمرود، وملاحقته، وملاقاته أشد العذاب والاضطهاد من قبل أبناء قومه الوثنيين من جراء دعوته هذه إلى توحيد الآلهة، اضطر إلى الهجرة هو وأتباعه فرحل من مدينة برس إلى مدينة النهرين (أرام النهرين) في كربلاء حيث مقر عشيرته ومنها هاجر عبر الفرات إلى مدينة حران وبلاد الشام بعد أن مكث في دمشق مدة من الزمن.

وورد في قصص الأنبياء عن ابن إسحاق: «خرج إبراهيم الخليل (عليه السلام) من كوثا من أرض العراق مهاجرا إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام، فخرج حتى نزل حران، فمكث بها ثم خرج إلى مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع في أرض كنعان وهي برية الشام».

وذكر أهل السير والتاريخ أن إبراهيم عليه السلام قد خرج من كوثا من أرض بابل مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط (عليه السلام)، وسارة بعد أن تزوجها وهي ابنة عمه، وخرج بهما يتلمس الفرار بدينه والأمان على عبادته لربه حتى مكث في حران ومنها إلى مصر وبها فرعون الذي من الفراعنة، ثم وهب إلى إبراهيم هاجر وهي جارية ورزق الله منها ولدا سمي بإسماعيل، ثم حملت سارة وولدت بإسحاق عليهم السلام، ثم كانت رحلته إلى أرض مكة بناءً على أمر الله حيث ترك فيها ابنه الرضيع وزوجته هناك، حيث لا زرع ولا أناس، وتركهما وعاد إلى الشام، فأرسل الله لهاجر وابنها الرضيع قبيلة جرهم وأخرج لها ولطفلها ماء زمزم وكبر إسماعيل وتزوج بعد وفاة أمه من قبيلة جرهم وتعلم منهم اللغة العربية ثم تزوج مرة أخرى وأنجب منها وكان أبوه يتعهده بالزيارة حتى إنه شاركه في بناء البيت العتيق الكعبة المشرفة.

ذكر المسعودي في تاريخه: «خرج إبراهيم ومعه ابن أخيه لوط بن هارون، ومعه ابنة عمه سارة، من حران إلى الشام، فوجدوا جوعا عظيماً، فسار إلى مصر، وفرعون إذ ذاك، سنان بن علوان وأقاموا بها ثلاثة أشهر ورجعوا إلى الشام وقد أهدى سنان فرعون مصر هاجر، فنزلوا المسبع من أرض فلسطين وفارقه لوط وسكن سدوم، ثم تحول إبراهيم ونزل بين الرملة وإلياء، فلما بلغ إبراهيم خمسا وثمانين سنة، وهبت له سارة جاريتها هاجر إلى إبراهيم الخليل، فولدت منه إسماعيل، وله ست وثمانون سنة، وأختين وله تسع وتسعون سنة، ثم اختتن ابنه إسماعيل وبعد ولادة إسماعيل ولدت زوجته سارة ابنة عمه ولدا أسمته إسحاق وكان عمر إبراهيم مائة سنة، وكان إبراهيم الخليل وابنة عمه سارة آراميان ثم أنزل الله عليه عشر صحائف، ومات إبراهيم الخليل وله مائة وخمس وسبعون سنة وماتت سارة ولها مائة وتسع وعشرون سنة، ودفن في مزرعة جبرون من أرض الشام... وقيل غير ذلك والله أعلم.

ويوجد في سفح تل «بري» من جهة الشرق قبر تعلوه قبة بيضاء ينزل إليه بعدة سلالم ينسب إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وهذا لايصح ولا يثبت.

والمقام عبارة عن مجمع متكامل حيث الصحن ذي الفسحة الواسعة يمكن الدخول اليه من خلال المدخل الذي يتوسط الواجهة الأمامية للمقام، ويتركز موقع المقام في منتصف الصحن ويحتوي موقع المقام على رواق يحيط بمركز المقام من جوانبه الأربعة يغطي مساحة ٢٥٦م^{2} ويطل منه على الصحن بابان أحدهما المدخل الرئيسي لمركز المقام والآخر يقع في الجهة المقابلة لهذا المركز، أما الحرم الداخلي للمقام فهو عبارة عن حجرة يتم الدخول إليها بعد أن نرتقي أربع درجات تقع في الجهة الداخلية للحرم المقابلة للمدخل سلم ذو سبع عشرة درجات تؤدي إلى المغارة التي يظن أنه ولد فيها إبراهيم الخليل عليه السلام.

والمغارة بنفس مساحة الحجرة التي تعلوها بابعاد ٤٢م^{2} وفي أحد جوانب المغارة

المقابل للسلم نلاحظ صندوق خشبي ملاصق للحائط يطل بشباكين على وسط المغارة وبشباك واحد على الجانبين الآخرين أما أبعاده فهي ١م عرضا و٥ , ٢ طولاً و٣م ارتفاعاً يوجد بداخلة صخرة (٥ , ٠ م× ٥ , ٠م) تحوي على ثقوب صغيرة.

ويقال إن أم إبراهيم أغلقت المغارة بصخرة بعد أن ولدت ابنها إبراهيم حتى لا يأخذه جنود النمرود بعد الرؤية التي رآها وأخبره الكهنة أن مولوداً سيولد وعلى يديه ينهار ملكه.

صرح بابل (برج بابل)

يوجد صرح النمرود في برس بالقرب من مقام إبراهيم على بعد كيلو متر يوجد والذي قال عنه القرطبي أنه نمرود بنَى صرحاً طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً.

وهذا الصرح هو ما عرف ببرج بابل وكان هدف النمرود من بنائه نفس هدف فرعون موسى حين أمر وزيره هامان ببناء الصرح ليرى إله موسى بظنه قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

ويعرف الصرح بالعلو فيطلق عليه اسم البرج وهو مشهور ببرج بابل وينسب إلى النمرود الذي أمر ببنائه وقد هدم وأعيد بناؤه مرة أخرى في عصر نبوخذنصر.

وكان بناؤه على طراز الزقورة المعروفة عند السومريين وكان مركزاً للمدينة، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان عنه:

وأجمة برس بحضرة الصرح، صرح النمرود بن كنعان بأرض بابل.

والزقورات من كلمة زيجوراتو وتعني «قمة» أي أبراج بنيت في منطقة شنعار (أرض بلاد الرافدين) والبرج يسمى زقورة، والصرح هو أقدم معبد في بلاد الرافدين يقع على بعد ٤٠ كم^{٢} غرب مدينة الناصرية جنوب النهر على بعد ٣٤٠كم من بغداد الآن، مكون من سبعة طوابق فوقها معبد يصعد إليه بسلالم جانبية ثانوية وسلم رئيس.

ويرى الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه إبراهيم عليه السلام أن

نمرود أراد أن يتحدى إله إبراهيم فبنى لنفسه برجاً عالياً وصعد عليه ثم طفق يرمي السماء بالسهام حتى عاد إليه سهم منهم وقد اصطبغ بالبخيخ الأحمر فخيل إليه أنه أصاب مرماه، ولكنه لم يلبث أن سقط على الأرض وسقط معه قومه، ونهضوا من سقطتهم يتصايحون بكلام لا يفهمونه، لأن السماء أرسلت عليهم سهاماً زلزلت البرج وقوضت أركانه وتركتهم في حيرة لا يدرون ما يفعلون.

وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦].

وقيل أيضاً أن النمرود جعل البرج بالإضافة إلى ما ذكره الأستاذ العقاد معبداً ومكتبة، حيث استمع إلى مشورة مجموعة من الحكماء والفلاسفة في عصره بأن يجعله منارة وقبلة لمن أراد التعلم والمعرفة المطلقة وتطوير المفاهيم والسيطرة على عقول النخبة المثقفة في بلاد النمرود، فقد أفهم الحكماء النمرود أنه سيصلون إلى العلم المطلق والمعرفة التي تدور في عقل إله إبراهيم عليه السلام؛ لكن الله عز وجل أتى هذا البيان من قواعده فسقط في عهد النمرود ثم أعيد بناؤه في عصر طاغية آخر هو نبوخذ نصر.

وقد بنى البرج أو الصرح من الطوب اللبن وكسيت الجدران في الخارج بطبقة سميكة من الآجر الأحمر المفخور المثبت بالقار، وتميل الجدران الجانبية إلى الداخل كلما ارتفعت نحو الأعلى حيث الطبقات السبع، وأقدم نقش أثري يتكلم عن البرج يعود إلى زمن النمرود ملك لكش الذي عاش في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد في جنوب وادي الرافدين، وفي متحف اللوفر بفرنسا (باريس) لوح يتكلم عن ايتيم أنانكي وهو معروف باسم لوح «ابساغيل» يصف فيها البرج بأنه كان على قاعدة مربعة إلى ما متوسط الضلع ٢٩٥ قدماً.

وقال عنه المؤرخ هيروديت الذي زار بلاد بابل القديمة قبل سنة ٤٦٠ قبل الميلاد فقال إن ارتفاع البرج يصل إلى ٧٠٠ قدم على مساحة ١٤٤٤,٠٠٠ قدم.

ويتفق وصف هيرودوت مع الوصف البابلي، ويقول هيردويت إن السلم المؤدي

إلى القمة كان يدور حول كل الأبراج من الخارج أي أنه سلم حلزوني والصاعد عليه كان يدور حول المبنى سبع مرات للوصول إلى القمة، ويقول إنه كان في منتصف السلم مكان به مقاعد للاستراحة عليها، وفوق قمة البرج الأعلى مقورة كبيرة بها أريكة كبيرة مفروشة، وأمامها مائدة ذهبية ولم يكن بها تماثيل وتمنع المرأة من المبيت فيه إلا من مواطني المدينة.

وكانت طبيعة التصميم في مدن وادي الرافدين تعتمد النمو العضوي، ولم تكن هناك ساحات عامّة منتظمة الأبعاد، بل فضاءات غير منتظمة وخصوصاً ما ارتبطَ منها بالأسواق والتجمعات التجارية. وكان الناس يرتادون هذه الفضاءات بشكل تُمارَس فيها عمليات البيع والشراء وتبادل الرأي والأحاديث.

وهذا ما عبرت عنه الكتلة الهندسية بدل الفضاءات العامة في كثير من الحالات عن مفاهيم القوة والنفوذ والسيطرة على الأعداء، حيث كانت المباني العامة كالقصور والمعابد تمثل المركز الذي تتجه إليه أنظار السكان، وباتجاهها أو بجوارها تخطُّ الطرق العامة. وهذا من آثار سلطة الحاكم وسيطرته، فقد كُرس فضاء الشارع ليكون جزءاً من منظومة رمزية تعبر عن هيمنة الإله الحاكم بتشكيله الهندسي المسور وتخطيطه بالمباني ذات السلطة التي غالباً ما كانت تجتمع فيها السلطتين الدينية والدنيوية.

ولعل مدينة برس النمرود هي الجزء الديني من مدينة أور البابلية التي تشير بقاياها إلى أنها كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء: المدينة المسورة القديمة والمنطقة المقدسة والمدينة الخارجية.

ومدينة أور هي التي أُنشئت خلال فترة حكم سلالة أور الثالثة (اورنمو)، إذ أن أور بوصفها عاصمة تعتبر مثلاً حيًّا في جميع جوانب حياتها لدول المدن السومرية المستقلة التي انتشرت من الخليج العربي إلى أعالي الفرات.

أُنشئت مدينة أور في الألف الثاني قبل الميلاد.

المدينة المسورة قد شيّدت فوق تل من بقايا الأبنية المختلفة للقرية التي بنيت في الموقع أيام حضارة تل العبيد. وكان تخطيط المدينة ذا شكل بيضوي غير منتظم، وأحيطت

المدينة بسور ضخم بني من الطابوق غير المفخور. وبلغ ارتفاعه حوالي (٨) أمتار وكانت واجهته الخارجية شديدة الانحدار.

أما المنطقة المقدسة فكانت تشغل الجزء الشمالي الغربي من المديـنة وتشتمل على معبـد نـنـار «Nannar» إله القمر.

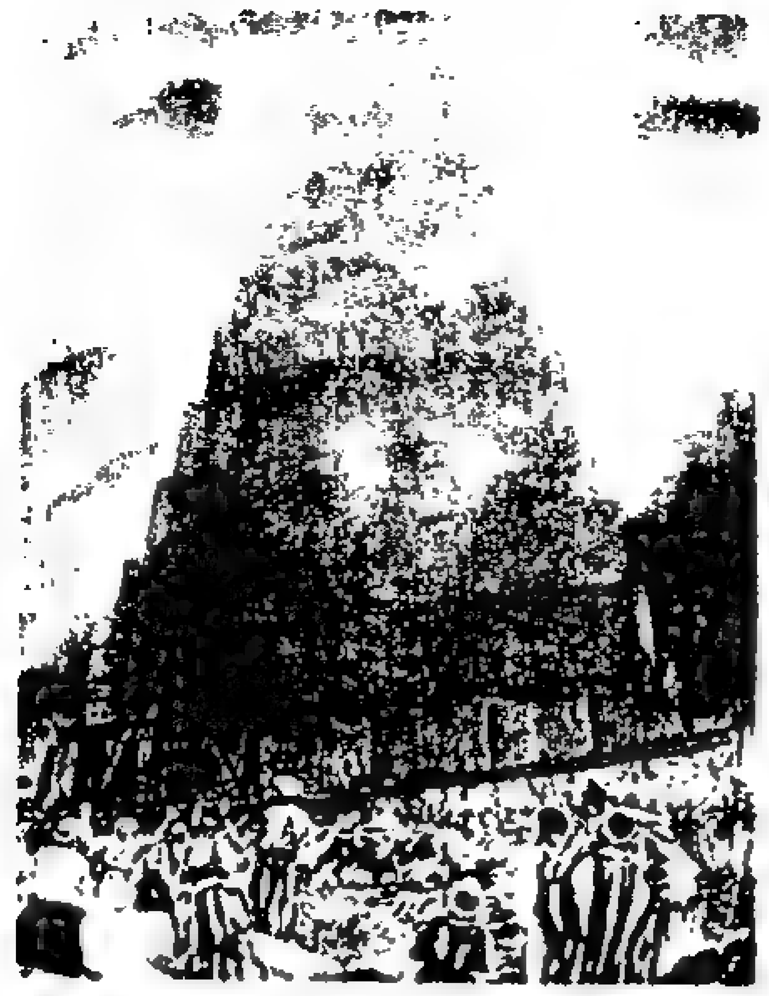
وقد بني هذا المعبد على مرتفع صناعي فوق مستوى الأرض الذي شيدت عليه باقي أرجاء المدينة. وأُحيطت المنطقة المقدسة بسور ضخم من الطابوق وأُقيم برج مرتفع فوق ضريح الإله نـنار الذي اعتبر أقدس المقدسات في المدينة.

كما ذكرنا ذلك عن ذكر برج بابل أو صرح النمرود.

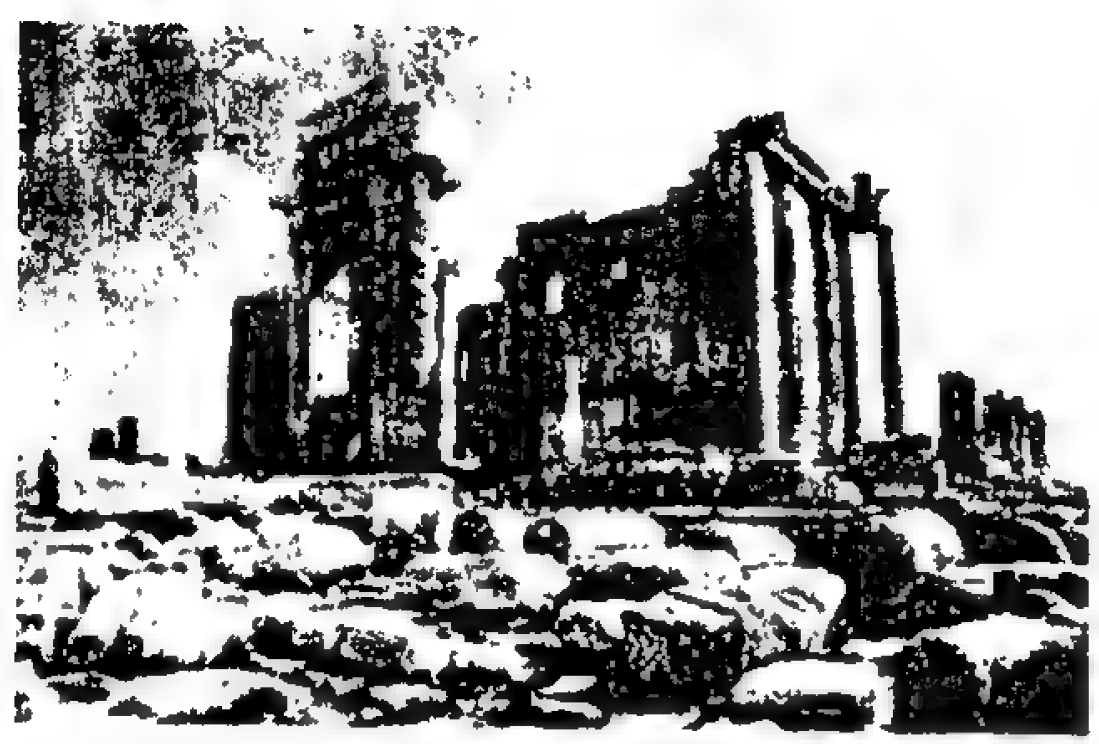
وأمام الضريح فناء فسيح أحيط بعدد من حُجر تخزين الحبوب وبعض المكاتب التي كان يقدم اليها النذور وإيجار الأراضي الزراعية التابعة للإله.

أما بقية المنطقة المقدسة فقد امتلأت بالمعابد وملحقاتها. وقد كانت المنطقة المقدسة هي قلب المدينة حيث توجد الإدارة المركزية ومكتب الضرائب والمحكمة، وحيث يتركز النشاط الاقتصادي بجميع أنواعه.

وتمتاز مباني المدينة الخارجية بصفة عامة بأنها مكدسة إذ أن الأحياء السكنية التي اكتشفت في أور تعطي فكرة عن كيفية تطور هذه المدينة عن قرية. اذ لا يظهر بها أي نظام للتخطيط حيث يلاحظ التخطيط العضوي، فيظهر الفضاء الحضري بشكل غير منتظم بين المساكن، أما الشوارع فهي ضيِّقة غير مرصوفة وكثيرة التعاريج، مغلقة في بعض الأحيان ومغطاة بأسقف. ويقدّر كثير من الباحثين أن مساحة المدينة لم تكن بأكثر من (٧-٨ كيلومتر مربع) وعلى هذا الأساس فإن عدد سكانها تقدر بـ ٥٠٠٠ نسمة، أو ربما أكثر.



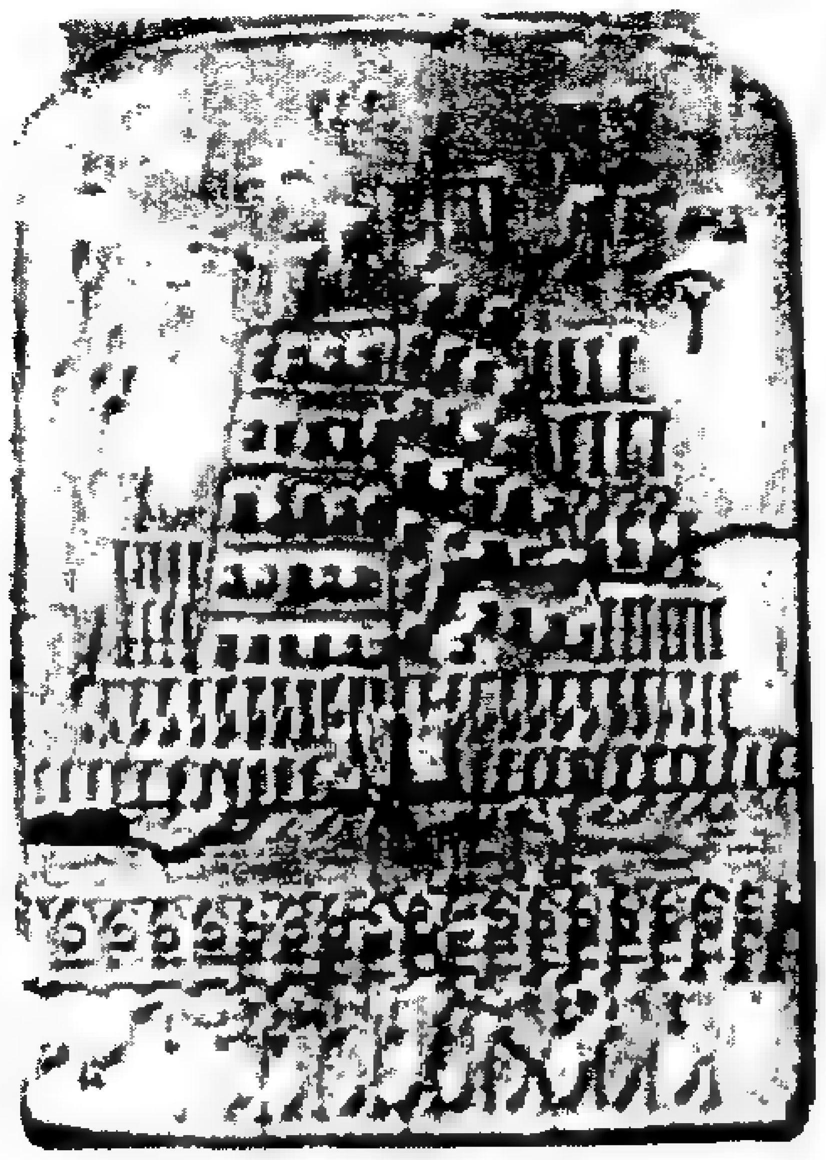
صورة تخيلية لبرج بابل.



آثار مدينة بابل.



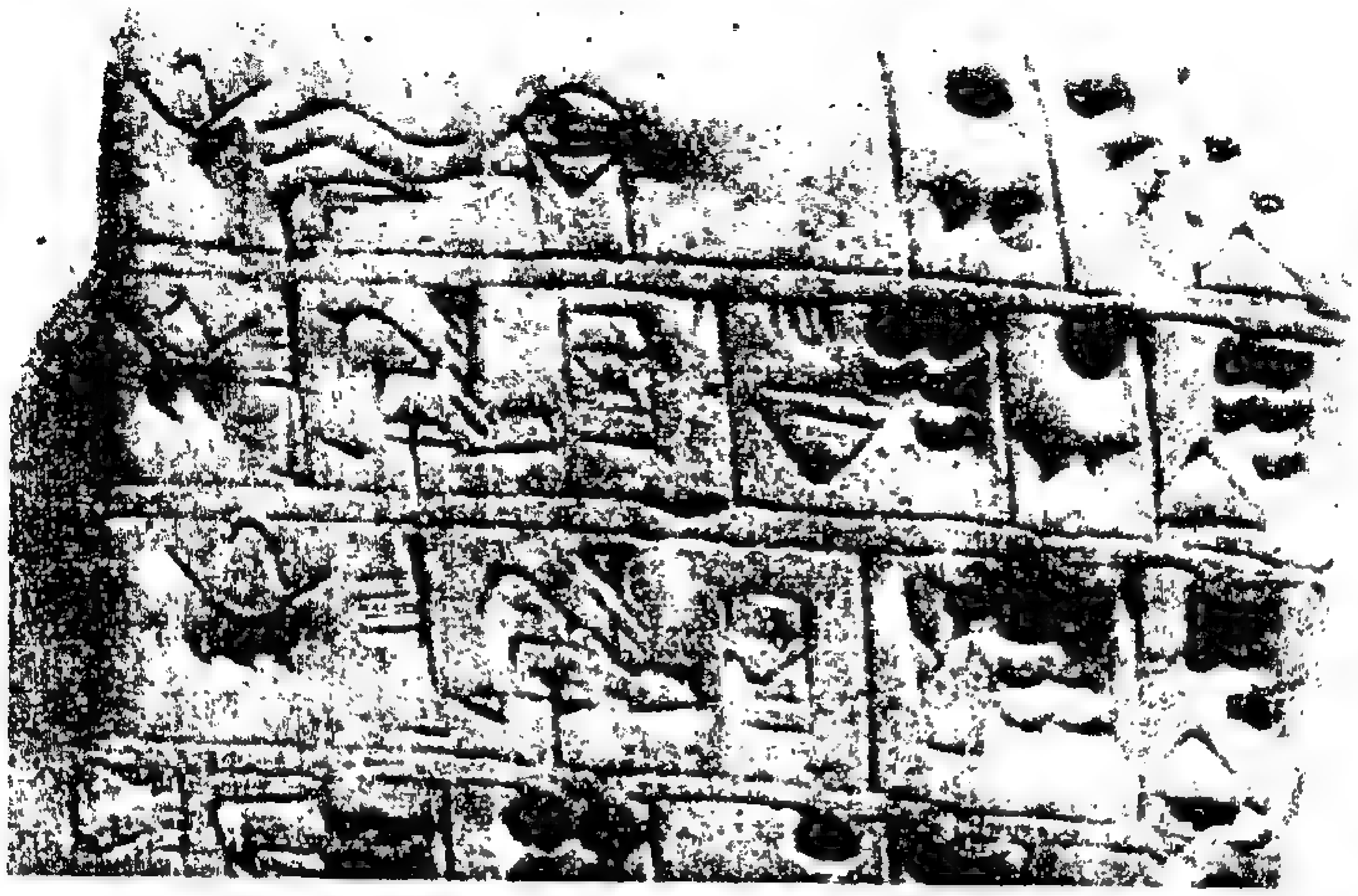
مقام نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في العراق من أرض برس (بورسيا)، وهي قرية في أرض بابل، وتحديداً بين الكوفة والحلة، وبورسيا هو الاسم الأقدم للمنطقة كما يقول المؤرخون وعلى مقربة منه كان (برج بابل) صرح النمرود، وعلى هذه الأرض كانت حادثة إحراق إبراهيم من قبل النمرود ولعل مقام إبراهيم عليه السلام يقصد به بالطبع المكان الذي وضع فيه إبراهيم لحرقه فنجاه الله وليس مكان دفن إبراهيم عليه السلام وهذا هو الأرجح والله أعلم.



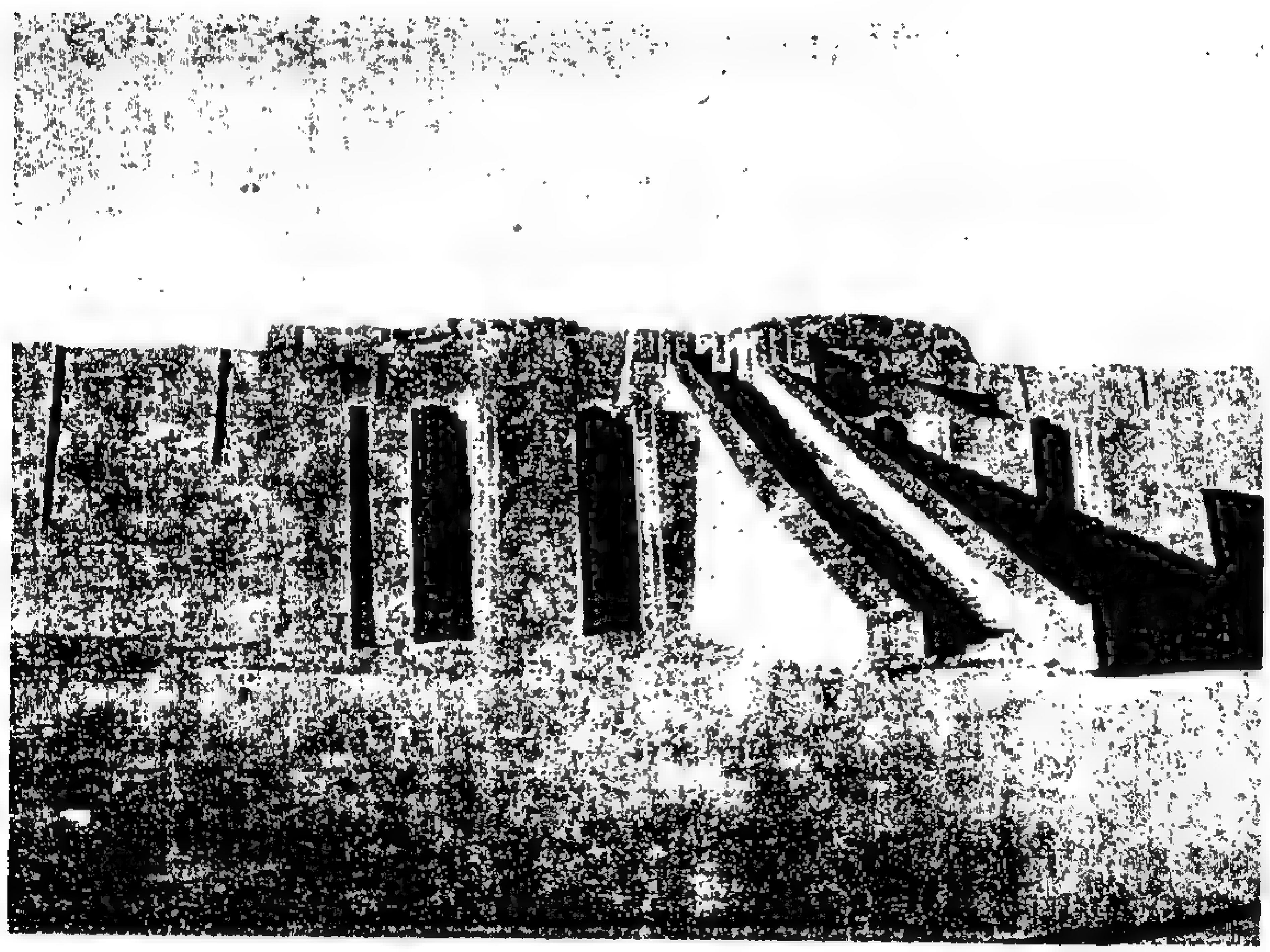
لوحة حجرية من أيام نبوخذنصر أنه يريد أن يبني برج بابل.



لوحة حجرية على نقش للملك بنوخذ نصر البابلي يأمر بإعادة بناء برج بابل.



لوحة قديمة تعود إلى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد وتسمى فيها المدينة باسم باب ايلو أو بابل.



المعابد في بابل (الزقورات).

ذكر بناء البرج عند أهل الكتاب

ذكر العهد القديم في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أنه بعد نهاية الطوفان شرع نسل نوح في بناء برج بابل في سهل شنعار بغية أن يجمعهم مكان واحد من الأرض فلا يتبددون على وجه البسيطة الواسعة. وكان في قصدهم جعل العالم كله مملكة واحدة عاصمتها هذا المكان الذي اختاروه في أرض شنعار وسمي بابل. وليقيموا لأنفسهم اسماً ومجداً دلالة على كبريائهم وتشامخ نفوسهم (تكوين ١١ : ٤).

ولعدم توفر الحجر استعملوا اللبن أي صبُّوا الطين في قوالب وأحرقوا القوالب حتى لا تتأثر بالماء. واستعملوا الحمر بدل الطين والحمر هو المزيج اللزج الذي كان يكثر في بعض هذه البقاع بسبب وجود البترول. والحمر هو القار أو المادة الإسفلتية وعندما تيبس تثبت القوالب.

لكن الله أراد أن تنتشر ذرية نوح عليه السلام في بقاع الأرض لتعميرها. فبلبل الله ألسنتهم، فكفوا عن العمل وتفرقوا فعمّروا الأرض وصارت البقعة اسمها بابل من الفعل «بلبل» العربي، والعبري القريب منه «بلل» وبسبب هذا التشتت والطقس والتربة واختلاف طرق المعيشة نشأت أجناس الناس وتكونت لغاتهم المختلفة.

وليس بالضرورة أن يكون هذا البرج المذكور في سفر التكوين هو نفسه برج بابل الذي بناه النمرود وقام بتجديده نبوخذ نصر وغيره من ملوك بابل.

فقد جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين:

«وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة ٢ وحدث في ارتحال القبائل شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك.٣ وقال بعضهم لبعض: هلم نصنع لبنا ونشويه شيا. فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين ٤ وقالوا: هلم

نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض ٥ فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما ٦ وقال الرب: هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه ٧ هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ٨ فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة ٩ لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض».

ورد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين:

«وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان ٦ وبنو حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان. ٨ وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض ٩الذي كان جبار صيد أمام الرب. لذلك يقال: كنمرود جبار صيد أمام الرب ١٠وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة، في أرض شنعار ١١. ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان. (التكوين: ١٠).

وكما ذكرنا أن ملك النمرود استمر ٤٠٠ سنه، يحكم شعبه بالحديد والنار، عاش بعد الطوفان لمدة خمسمئة عام، واسمه يعني «المتمرد». وكان نمرود ذكيًّا جدًّا، ولكنه لم يعرف الله. وأهمل نمرود كلمة الله، واتبع طريق الشيطان.

فكان يعبد الأصنام ثم جعل نفسه إلها، وطلب من شعبه بأن يعبدوه.

قال يوسيفوس إن نمرود أراد أن يبعد البشر عن الله فبنى البرج ولهذا بلبل الله ألسنتهم، فأصبح الناس يتحدثون بلغات مختلفة، حيث كانت الأرض كلها بعد الطوفان لساناً واحداً وأمة واحدة (سفر التكوين: ١١).

وبنى نمرود عدة مدن كبيرة، وخطط مع بني آدم أن يبني مدينة كبيرة وعظيمة، يعيش فيها جميع الناس، ويصيروا واحداً معاً. وبرجاً كبيراً وعالياً يصل إلى السماء، ليطلع إلى إله إبراهيم عليه السلام ومن بعده فعل فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام أيضاً.

قرّر النمرود بناء برج عظيم يطاول السماء ورأى الفرصة متاحة عندما قدم له حكماؤه الأحد عشر يطلبون منه الإذن ببناء مكتبة ضخمة هائلة دائرية شارحين لهُ طبيعة الحكمة الجديدة التي يبشّرون بها،فينقلون في رفوفها كل ما أنتجه عقل الإنسان وما فكر به، كل ما رآه أمام عينيه وما سمعَ عنه، إلى أن يصلوا إلى المعرفة المُطلقة.

اصغى نمرود بعناية وبحماس وشد انتباهه فكرة المطلق، وظن أن بوصول حكمائه إلى العلم المطلق وظن أنه سيملك نفسَ المعرفة التي تدورُ في عقلِ إله إبراهيم.

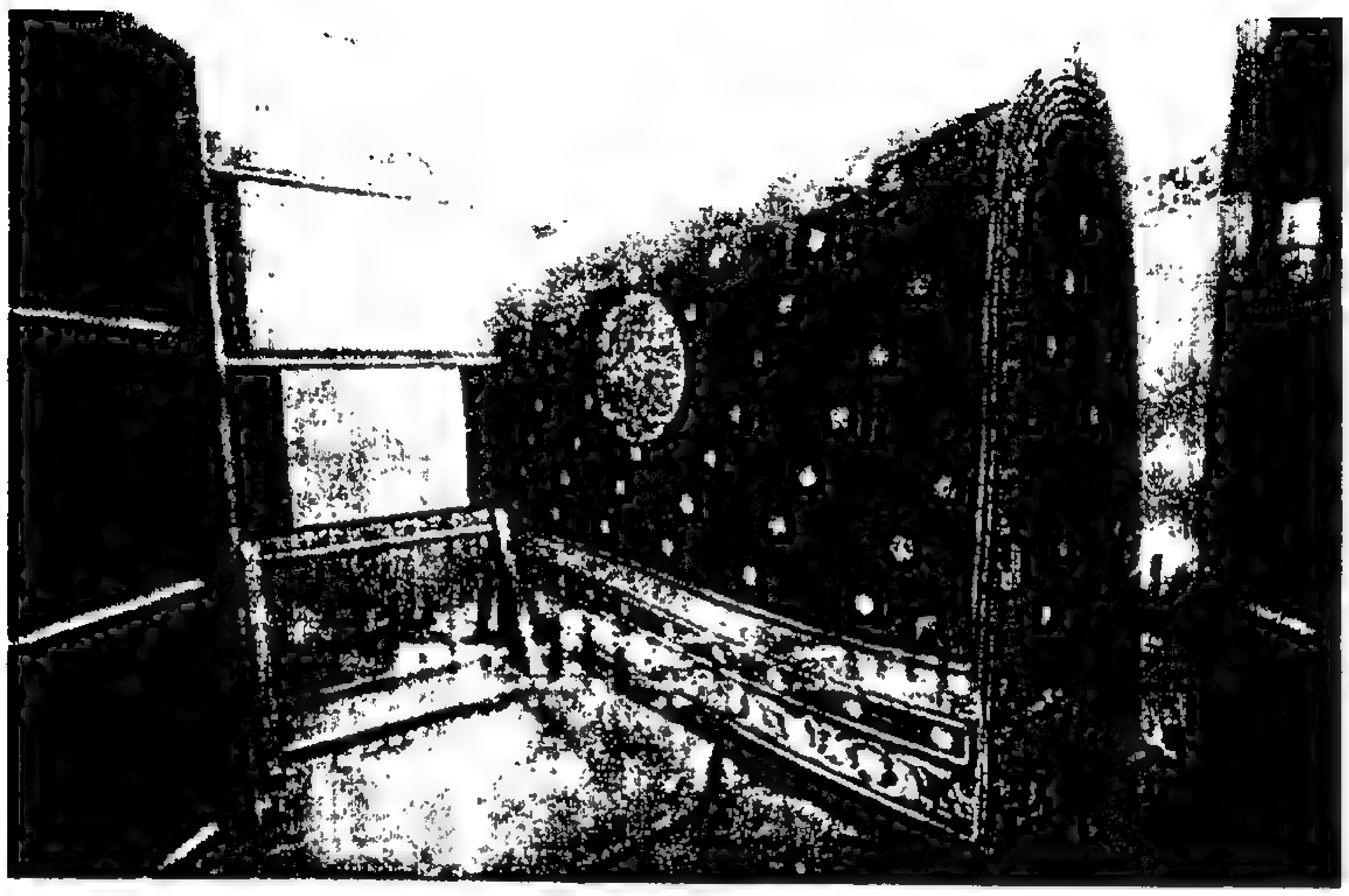
فأطرق رأسه برهة للتفكير ثم نظر إليهم قائلاً: «نعم، أعطيكم الإذن ببناء المكتبة، وسوف أشرفُ على المشروع بنفسي.

سوف نبني المكتبة على مساحة هائلة من الأرض، ولكن وفي نفس الوقت الذي تنهمكون فيه ببحثكم عن العلم والحكمة والمعرفة المطلقة،سوف نبني برجاً على قواعد المكتبة، برجا هائلاً يمتدُّ عالياً إلى السماء، لا ليس إلى السماء، وإنما إلى ما ورائها، وفي اللحظة التي ستصلون فيها إلى العلم المطلق، أنا متأكد أننا سنصل إلى المكان الذي يتواجد به إله إبراهيم» !!

واختار أن يُبنى على قمّة البرج معبد كي (الإلهة الأم – الأرض).

وتذكر الروايات الإنجيلية أن البرج كان آية في الإعجاز والفخامة، حتى إن الربّ اضطر إلى أن يغادر عرشه وينزل إلى الأرض ليرى ماذا كان البنّاءون يصنعون. وعندما أدرك حقيقة الأمر، أرسل على الفور ريحا مدمّرة أطاحت بالبناء الهائل وحوّلته بلمح البصر إلى أنقاض. وهذا بزعمهم وتعالى الله عما يصفون.

وهكذا بدأ المشروع. على رقعة هائلة من الأرض بنيت المكتبة. وبدأ حكماء المملكة بجمع الكتب وتدوين أفكارهم حتى قبل انتهاءِ معمارِها. عندما اكتملت، فاعتكفوا في دهاليزها الملتوية وبدأوا بنهش الكتب.



القبر المزعوم لسيدنا إبراهيم بالحرم الإبراهيمي بفلسطين.

تدمير برج بابل (صرح النمرود)

قال تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦].

سوف نستعرض آراء المفسرين لهذه الآية لنعرف على من هم الذين أتى الله بنيانهم من القواعد:

قال ابن كثير في تفسيره للآية:

قال ابن عباس في قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قال: هو النمرود الذي بنى الصرح؛ وقال زيد بن أسلم: أول جبار كان النمروذ، وقال آخرون: بل هو بختنصر، وقال آخرون: هذا من المثل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره، كما قال نوح عليه السلام: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح : ٢٢] أي احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة، ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٣٣] . وقوله: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ أي اجتثه من أصله وأبطل عملهم، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : ٦٤].

وقوله: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الحشر : ٢]، وقال الله هاهنا: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ [النحل: ٢٧]. أي يظهر فضائحهم وما كانت تجنه ضمائرهم فيجعله علانية كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق : ٩] أي: تظهر وتشتهر، كما في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه (مؤخرته) بقدر غدرته، فيقال: هذه غدرة فلانا بن فلان).

وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رءوس الخلائق، ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرعا وموبخا: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل : ٢٧] تحاربون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم هاهنا؟ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء : ٣٩] ، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق : ١٠]، فإذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة: وحقت عليهم الكلمة وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [النحل : ٢٧] وهم السادة في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل : ٢٧] أي الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله، وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه.

وجاء في تفسير الجلالين:

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمرود بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي هم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

وقال الطبري في تفسيره:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله، فراموا مغالبة الله ببناء بنوه، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها.

وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا: جبار من جبابرة النبط؛ فقال بعضهم: هو نمرود ابن كنعان، وقال بعضهم: هو بختنصر، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم. وقيل: إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم.

ذكر من قال ذلك: - حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج، يعني من مدينته، قال: فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فآمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي. وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور، فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن، فربطهن في تابوت، وقعد في ذلك التابوت.

ثم رفع لهن رجلا من لحم، فطرن، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل. ثم رفع لهن اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء. ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع، فألقى اللحم، فاتبعته منقضات. فلما نظرت الجبال إليهن، وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن، فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[إبراهيم: ٤٦] وهي في قراءة ابن مسعود: «وإن كاد مكرهم». فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان. فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر، يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث، ولم يكن يحدث؛ وأخذ الله بنيانه من القواعد ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض بهم فسقط. فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل. وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية. - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي. عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ قال: هو نمرود حين بنى الصرح. - حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم: إن أول جبار كان في الأرض نمرود، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في

منخره، فمكث أربع مائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، أرحم الناس به من جمع يديه، فضرب رأسه بهما.

وكان جبارا أربع مائة سنة، فعذبه الله أربع مائة سنة كملكه، ثم أماته الله. وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء، وهو الذي قال الله فيهم: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ ... القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله، فراموا مغالبة الله ببناء بنوه، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها.

وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا جبار من جبابرة النبط؛ فقال بعضهم: هو نمرود ابن كنعان، وقال بعضهم: هو بختنصر، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم.

وقيل: إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم ... ذكر من قال ذلك: عن السدي، قال: أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج، يعني من مدينته، قال: فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فآمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي. وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور، فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن، فربطهن في تابوت، وقعد في ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم، فطرن، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل. ثم رفع لهن اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء.

ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع، فألقى اللحم، فاتبعته منقضات. فلما نظرت الجبال إليهن، وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن، فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ وهـي في

قراءة ابن مسعود: «وإن كاد مكرهم». فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان. فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر، يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث، ولم يكن يحدث؛ وأخذ الله بنيانه من القواعد ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض بهم فسقط. فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل. وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية. عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾.

قال: هو نمرود حين بنى الصرح.

عن زيد بن أسلم: إن أول جبار كان في الأرض نمرود، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربع مائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، أرحم الناس به من جمع يديه، فضرب رأسه بهما، وكان جبارا أربع مائة سنة، فعذبه الله أربع مائة سنة كملكه، ثم أماته الله. وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء، وهو الذي قال الله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾.

وأما قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ فإن معناه: هدم الله بنيانهم من أصله. والقواعد: جمع قاعدة، وهي الأساس. وكان بعضهم يقول: هذا مثل للاستئصال؛ وإنما معناه: إن الله استأصلهم. وقال: العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء.

وقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فخر عليهم السقف من فوقهم؛ أعالي بيوتهم من فوقهم.

عن قتادة، قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ إي والله، لأتاها أمر الله من أصلها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ والسقف: أعالي البيوت، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

عن مجاهد: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ قال: مكر نمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه. وعن مجاهد، مثله. وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أن العذاب أتاهم من السماء.

عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يقول: عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا. وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله، فائتفكت بهم منازلهم؛ لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وجد إليه سبيل.

وقال القرطبي في تفسيره للآية:

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي سبقهم بالكفر أقوام مع الرسل المتقدمين فكانت العاقبة الجميلة للرسل ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ قال ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما: إنه النمرود بن كنعان وقومه، أرادوا صعود السماء وقتال أهلها؛ فبنوا الصرح ليصعدوا منه بعد أن صنع بالنسور ما صنع، فخر. كما تقدم بيانه في آخر سورة (إبراهيم). ومعنى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم﴾ أي أتى أمره البنيان، إما زلزلة أو ريحا فخربته.

قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف. وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين، فهبت ريح فألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي. ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سمي بابل، وما كان لسان قبل ذلك إلا السريانية. وقرأ ابن هرمز وابن محيصن «السُّقُفُ» بضم السين والقاف جميعا. وضم مجاهد السين وأسكن القاف تخفيفا؛ كما تقدم في ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ في الوجهين. والأشبه أن يكون جمع سقف. والقواعد: أصول البناء، وإذا اختلت القواعد سقط البناء.

وقوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ قال ابن الأعرابي: وكد ليعلمك أنهم كانوا حالين تحته. والعرب تقول: خر علينا سقف ووقع علينا حائط إذا كان يملكه وإن لم يكن وقع عليه. فجاء بقوله ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب فقال: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما أفلتوا. وقيل: إن المراد بالسقف السماء؛ أي إن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم.

وعلى هذا اختلف في الذين خر عليهم السقف؛ فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم. وقيل: إنه بختنصر وأصحابه؛ قاله بعض المفسرين، وقيل: المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر؛ قال الكلبي. وعلى هذا التأويل يخرج وجه التمثيل، والله أعلم. ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي من حيث ظنوا أنهم في أمان. وقال ابن عباس: يعني البعوضة التي أهلك الله بها نمرودا.

وخلاصة قول المفسرين أن المقصود بالذين خر عليهم السقف وأتى الله بنيانهم من القواعد هو النمرود وقومه والله أعلم.

وصف برج بابل

في البداية هناك فرق كبير بين الأبراج أو القلاع الكنعانية والبرج العظيم في بابل، فلقد كان البرج الكنعاني مجرد بناء مرتفع، يحتمل أنه لم يكن له شكل معين أو صورة معينة، بل كان الأمر متوقفاً على إرادة البنَّاء وطبيعة الأرض التي أقيم عليها، أما برج بابل فكان من طراز اختصت به بابل وأشور.

وطبقاً لكل الروايات، وبناء على أطلال المباني في تلك البلاد، كانت كل الأبراج البابلية مستطيلة الشكل متعددة الطبقات ولها في كل جانب مصعد مائل يصل إلى القمة لأن الطقوس الدينية كانت تجرى فوقه، وكان يعلوه معبد تحفظ به التماثيل والأشياء المقدسة.

وكان لهذه الأبراج عند البابليين اسم معين هو «زيجوراتو» وتعنى «قمة» (زيقورات) أعلى نقطة في جبل، وقد أطلقت هذه الكلمة على قمة «أوت – نابستيم» التي قدم عليها نوح البابلي قرابينه عند خروجه من الفلك (السفينة) عندما انحسرت مياه الطوفان إلى درجة كافية. كما يظن أنهم استخدموها كمراصد لدراسة نجوم السماء، وهو أمر محتمل، ولكن حيث إنها لم تكن ذات ارتفاع عظيم جدًّا، فمن المحتمل أنه في الجو الصافي في سهول بابل لم تكن هناك حاجة إلى الارتفاع فوق مستوى سطح الأرض لرصد الأجرام السماوية.

واختلفت الآراء حول الموقع الجغرافي لبرج بابل، ومعظم الكتاب يتبعون في ذلك التقليد المتواتر نقلاً عن العرب واليهود من أنه معبد «نبو» في مدينة «بورسيبا» ويسمى الآن «برس نمرود»، ولكن هذا البناء لم يشر إليه البابليون مطلقاً على أنه برج بابل،

لسبب وجيه هو أنه لا يقع في بابل بل في بورسيبا، التي كان قد أطلق عليها فيما بعد اسم «بابل الثانية».

أما المبنى الذي يعتبر البابليون أنه البرج العظيم لمدينتهم، فهو «أي - تيمين - أنا - كي» أي «معبد أساس السماء والأرض»، وسماه نبوبولاسار ونبوخذراصر «زيجورات بابيلي» أي «برج بابل» المعبد المشهور في كل العالم والمكرس لمردوخ وزوجتة «زر - بانيتو»، أهم آلهة بابل.

أي إن برج بابل الذي بناه النمرود غير برج بابل الذي أمر ببنائه الملك نبوخذنصر.

وإن برج بابل الذي بناه النمرود يقع في «برس» يقع في القسم الجنوبي من المدينة، على بعد قليل من الضفة اليمنى لنهر الفرات، ومكانه الآن منخفض يوجد فيه الأساس الأصلي المستطيل من الطوب اللبن، وقد أطلق عليه العرب اسم «الصحن» لأنه يشبه الصحن في شكله. ومازال الطوب المحروق الذي استخدمه قدماء البابليين - الذين «كان لهم اللبِن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين» (تك ١١:٣) - مازال هذا الطوب صالحاً للاستعمال وله قيمة تجارية، ولهذا فقد رفع بكل ما فيه من آثار ثمينة. واستخدام - كما يقولون - في ترميم القناة الهندية، ووصلت إلى السوق - على أي حال - بعض الاسطوانات البيضاوية الشكل، فاقتنتها متاحف أوروبا وأمريكا.

والبرج يتكون من ست أو سبع طبقات مبنية فوق مصطبة يعلو قمتها معبد. وثمة لوح يبدو أنه يصف هذا البرج بالتفصيل، وقع في يدي جورج سميث في ١٨٧٦م. وجاء في هذا الوصف أنه كان يتكون من الفناء الخارجي، ويسمى «الفناء الكبير»، كانت مساحته حسب تقدير جورج سميث ١,١٥٦ × ٩٠٠ قدم مربع، ثم فناء أصغر ثم «فناء أشتار وزاجاحا» مساحته ١٠٥٣ × ٤٥٠ قدماً مربعاً، وكان في الفناء ست بوابات تؤدي إلى المعابد، وهي: (أ) البوابة الكبيرة، (ب) بوابة الشمس المشرقة (في الشرق)، (جـ) البوابة العظيمة، (د) بوابة التماثيل، (هـ) بوابة القنال، (و) بوابة منظر البرج.

بعد ذلك نجد فضاء أو مصطبة - كانت محاطة بجدرانه - وكانت مربعة الشكل، وكانت جوانبها تواجه الجهات الأصلية، وكان بجدرانها أربعة أبواب، باب في كل جانب، كان يسمى باسم الجهة الموجود بها، وكان يقوم في وسط المصطبة بناء ضخم.

كانت توجد حول قاعدة البرج معابد صغيرة مكرسة لآلهة بابل الكثيرين، فكان إلى الشرق ست عشرة مقصورة، كانت أكبرها مخصصة لنبو وتاسميتو زوجته وكان يوجد إلى الشمال معبدان مخصصان لإي (أو آي) ونوسكو.

وإلى الجنوب كان يوجد معبد واحد للإلهين العظيمين آنو وبيل (إنليل؟). أما إلى الغرب فكانت توجد المباني الرئيسية، وهي منزل ذو جناحين يتوسطهما فناء يبلغ اتساعه ٣٥ ذراعاً (أو ٥٨ قدماً، حسب تقدير سميث). ولم يكن الجناحان متشابهين في أبعادهما، فكانت مساحة أحدهما ١٠٠ × ٢٠ ذراعاً مربعاً. ومساحة الثاني ١٠٠ × ٦٥ ذراعاً وفي هذه المقصورات الغربية كان يوجد سرير الإله والعرش الذهبي اللذان ذكرهما هيرودوت، مع أشياء أخرى.

ويوجد في الطبقة السابعة معبد للإله مردوخ ويتفق وصف هيرودوت مع هذا الوصف البابلي لهذا المعبد الشهير، حيث يقول هيرودوت إنه كان مربع الشكل، طول ضلعه غلوتان (١٢١٣ قدماً)، وفي منتصفه قام برج مربع الشكل أيضاً، طول ضلعه غلوة واحدة.

ولاشك أن هذا وصف للمصطبة التي كانت تشكل مع الطبقات الست والمعبد الذي كان يعلوها، ثماني طبقات كما وصفها هيرودوت، ويقول إن السلم المؤدي إلى القمة كان يدور «حول كل الأبراج من الخارج»، وهو تعبير يدل - على الأغلب - على أنه كان سلماً حلزونيًّا، أي أن الصاعد عليه كان يدور حول المبنى سبع مرات للوصول إلى القمة ويقول هيرودوت إنه كان في منتصف السلم مكان به مقاعد للاستراحة عليها. وكان فوق قمة البرج الأعلى مقصورة كبيرة بها أريكة كبيرة مفروشة جيداً، وأمامها مائدة

ذهبية، ولم يكن بها أي تماثيل، ولم يكن يبيت بها إلا امرأة من مواطني المدينة يختارها الإِله «حسبما يقول الكلدانيون كهنة هذا الإِله».

ومما يذكر أن العهد القديم عند أهل الكتاب لا يذكر شيئاً عن هدم البرج ولكن بوكارت يذكر أن البرج قد انشق إلى الأساسيات بنار سقطت عليه من السماء، والأرجح أنها رواية عما حدث للبرج في «بابل الثانية» أي «برس نمرود». كما أن يوسابيوس يسجل تقليداً آخر عن أنه قد انهار بفعل الرياح، فيقول: «ولكن لما بلغ عنان السماء، ساعدت الرياح الآلهة وقلبت البرج على بُناته، وبلبلت الآلهة ألسنتهم بعد أن كان الجميع - إلى ذلك الوقت - يتكلمون لغة واحدة».

برج بابل وأبراج أخرى في العصر الحديث

برج بابل الأول الذي بناه النمرود هو رمز للعلو والتكبر والمضاهة والعناد لله عز وجل انتهى أمره بأن أصبح ذكرى، ولكن الإنسان بغروره وأعاد بناء مثل هذا البرج أو الصرح، فقد قارنت صحيفة التايمز بين برج دبي وبرج بابل القديم وقالت إن كليهما معجزة بمقاييس عصره. وأوضحت الصحيفة أن البرج سيكون أعلى بناء من صنع الإنسان في العالم وأعلى بناء يسكنه بشر على سطح الكرة الأرضية على الأقل في الوقت الحالي مشيرة إلى أن البرج يمثل أيضا مدى طموح إمارة دبي وهو يعتبر بحق برج بابل العصر الحديث.

والبرج تحفة فنية رائعة ومثال حي على الذكاء البشري من حيث التصميم والتنفيذ. والبرج مكسو من الخارج بالمعدن والزجاج ويغطي مساحة ١٧ ملعب كرة قدم. وتبلغ قدرة نظام التبريد في البرج ١٣ ألف طن يوميا.

وهناك فارق في حرارة الجو ثماني درجات بين قمة البرج وقاعدته. ويحتوي البرج على ٥٤ مصعدا تنطلق بسرعة تصل إلى ٤٠ كيلومترا في الساعة. وتم استيراد مواد تكسية واجهة البرج من الصين والرخام المستخدم في تزيينه من إيطاليا وأرضياته من البرازيل ويمكن مشاهدة البرج من على مسافة ٦٠ ميلا لارتفاعه حسب وصف الصحيفة.

أوضحت الصحيفة إن التقنيات والتصميم في هذا البرج جديدة تماما برغم أن الفكرة قديمة. وقارنت الصحيفة بين برج دبي في العصر الحديث وبرج بابل في العصر القديم الذي بني بين نهري دجلة والفرات في عصور ما قبل الميلاد زمن النمرود[1].

١- برج خليفة ناطحة سحاب تقع في إمارة دبي بالإمارات العربية المتحدة ويعد برج خليفة أعلى بناء شيده الإنسان وأطول برج في العالم بارتفاع ٨٢٨ مترًا.

وبدأ بناؤه في إمارة دبي بالإمارات العربية المتحدة في ٢١ سبتمبر ٢٠٠٤، وتم الانتهاء من الهيكلة

ومن أشهر الأبراج التجارية العالمية التي شهدت أعظم حدث في مطلع هذا القرن برجي التجارة العالمية في نيويورك بأمريكا حيث تم تدميرهما في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أمام العالم من خلال شاشات التلفاز وقد ربط البعض بين هذين البرجين وبرج بابل القديم.

فقد قام عن ذلك الحادث الهام الحاخام اليهودي مناحيم فرومان، إنه «قدر الانهيار»، وذلك في مقابلة مع إحدى الصحف الروسية، وفقاً لما نقلته وكالة الأنباء الروسية «نوفوستي».

ففي مقابلة مع صحيفة «فريميا نوفوستيه» الروسية، قال فرومان إنه صرح لإحدى الصحف الأمريكية عام ١٩٩٩ بأنه «لا بد من تدمير المركز التجاري العالمي في نيويورك»، مضيفاً أن شخصيات دينية من العالم الإسلامي قالت له إنهم «يعتبرون أن برجيه يرمزان للكبرياء والغطرسة الأمريكية».

وقال: «إنه برج بابل الذي قدر له أن ينهار».

الخارجية له في الأول من أكتوبر ٢٠٠٩، وتم افتتاحه رسميًا في ٤ يناير ٢٠١٠، ليصبح البناءَ الأعلى في العالم حالًا بدل برج تايبيه ١٠١ في تايوان.

بدأ العمل على إنشاء البرج الذي تم بناؤه ليكون في وسط دبي في يناير ٢٠٠٤، وبلغت تكلفته الإجمالية ١,٥ مليار دولار أميركي؛ وتم افتتاحه في ٤ يناير ٢٠١٠ بحضور الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي. ويبلغ طول البرج ٨٢٨ مترًا، بمساحة إجمالية تبلغ ٤،٠٠٠،٠٠٠ متر مربع، ويضم ١٨٠ طابقًا، ويضم كذلك فندقًا يتكون من ٤٠٣ من الأجنحة الفندقية، وفيه ٥٧ مصعدًا كهربائيًا، أما أسرعها فتصل سرعته إلى ما يقارب ١٠م/ ثانية، وللوصول إلى ٥٠٠م تحتاج إلى ٥٥ ثانية، وتمتلكه شركة إعمار العقارية.

ويضم البرج أعلى شرفة مشاهدة مفتوحة للجمهور، وكذلك أعلى مسجد، وأعلى مطعم، وأعلى حوض سباحة، فضلًا عن أرقام تخص مكونات البرج الذي شارك بتنفيذه نحو ١٢ ألف عامل ومهندس منذ بدء إنشائه عام ٢٠٠٤.

بلغت تكلفة المبنى حوالي ١,٥ مليار دولار بإجمالي مساحة مبنية ٥٢٦٧٦٠ مترا مربعا مقسمة إلى ١٧١٨٧٠ مترا مربعا للوحدات السكنية و ٢٧٨٧٠ مترا مربعا للمكاتب. ١٢٤مائتي طابق تضم نحو ١٠٤٤ شقة سكنية قيل إن ٩٠٪ منها بيع رغم تأثير الأزمة المالية العالمية على القطاع العقاري بالمنطقة، بالإضافة إلى شركات وفعاليات تجارية..

وتوضح الوكالة أن فرومان قدم، خلال مقابلة مع صحيفة أمريكية أخرى قبل ١٥ سنة، نصيحة لوزارة الخارجية الأمريكية وهي «أن يدرس العاملون فيها القرآن والتوراة»، مشيراً إلى الوزارة لم تعمل بنصيحته.

وأردف يقول إن نتيجة تجاهل مثل نصيحته هي أن رؤساء الولايات المتحدة «ما زالوا يحاولون إحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط متجاهلين دور الدين».

وكان فرومان قد التقى رئيس الوزراء التركي، رجب طيب أردوغان، في أنقرة.

وأشار إلى أن من أسباب لقائه بأردوغان أن الأخير، أي رئيس الوزراء التركي، يعتبر أحد زعماء العالم القلائل القادرين على إحلال السلام في الشرق الأوسط.

وقال: «أتوقع أن تقترح روسيا مع تركيا سبيلا للوصول إلى السلام في الشرق الأوسط».

وتابع: «والحقيقة أن روسيا مشغولة بمشكلاتها الداخلية حتى إنها لا تنشط على مسرح السياسة في منطقتنا، ولقد قضيت سنوات عديدة في إيقاظ روسيا وإقناعها باحتلال الموقع الزعامي في الشرق الأوسط».[١]

وهناك أبراج أخرى شهيرة في العالم شرقاً وغرباً نذكر منها: برج كوالا لامبور (ماليزيا) وطوله ٤٥٢مترا، وعدد الطوابق: ٨٨، وبرج شنغهاي في الصين وطوله ٤١٢متر وعدد طوابقه ٨٨، وبرج آخر في شنغهاي طوله ٤٩٢مترا وعدد طوابقه ١٠١ طابق، وبرج تايبيه (تايون) وطوله ٥٠٨ ومكون من ١٠١ طابق، وبرج في طوكيو (اليابان) طوله ٦٠٠ متر، وبرج في شيكاغو (إلينوي) طوله ٤٤٣ مكون من ١١٠ طوابق بني ١٩٧٣م، وبرج القاهرة بمصر وارتفاعه ١٨٧ مترا.

وكل تلك الأبراج تشترك مع برج بابل القديم في أنها مكونة من طوابق متعددة بعضها فوق بعض ذات سلالم ترتفع نحو السماء (الزقورات) مع اختلاف النيات في بناء تلك الأبراج تكون نهاياتها أيضاً.

١ – المصدر: شبكة فراس الإعلامية على شبكة الإنترنت.

وقد راود حلم إعادة بناء برج بابل كثير من الملوك منهم بنوخذنصر والإسكندر الأكبر وفيليب المقدوني، وقد استطاع نبوخذنصر بناء برج لبابل ولكن في غير مكان الأول ولم يستطع الإسكندر تحقيق حلمه بناء البرج لموته وأما فليب فقد أصيب بلوثة عقلية.

لقد قصد النمرود وأتباعه من بناء البرج إظهار العلو في الأرض والاستكبار ليكون رمزاً للكبرياء وعبادة غير الله أي أنه تحدياً منهم لله عز وجل كما سيفعل آباؤهم من يأجوج ومأجوج آخر الزمان حيث يمطرون السماء بسهامهم ظنًّا منهم أنهم يستطيعون قتل من في السماء فيأتهم أمر الله بالهلاك الفوري. [1]

---

١ - اقرأ كتابنا يأجوج ومأجوج من البدء إلى الفناء، الناشر دار الكتاب العربي.

التعالي في البنيان من علامات الساعة

لاشك أن التعالي في البنيان سواء بالأبراج وغيرها من علامات الساعة كما ورد في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل بعض من علامات قرب قيام الساعة عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوني فهابوه أن يسألوه».

فجاء رجل فجلس عند ركبتيه. فقال: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال «لا تشرك بالله شيئا. وتقيم الصلاة. وتؤتى الزكاة. وتصوم رمضان» قال: صدقت. قال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله» قال: صدقت. قال: يا رسول الله! ما الإحسان؟ قال «أن تخشى الله كأنك تراه». «فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك» قال صدقت. قال: يا رسول الله! متى تقوم الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها. إذا رأيت المرأة تلد ربتها فذاك من أشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها. في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله.

ثم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وورد في كتاب كَنز العمال للمتقي الهندي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أشراط الساعة

أن ترى الرعاة رؤوس الناس، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتباهون في البنيان، وأن تلد الأمة ربها وربتها).

ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني:

«ومعنى التطاول في البنيان أن كلا ممن كان يبني بيتا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر».

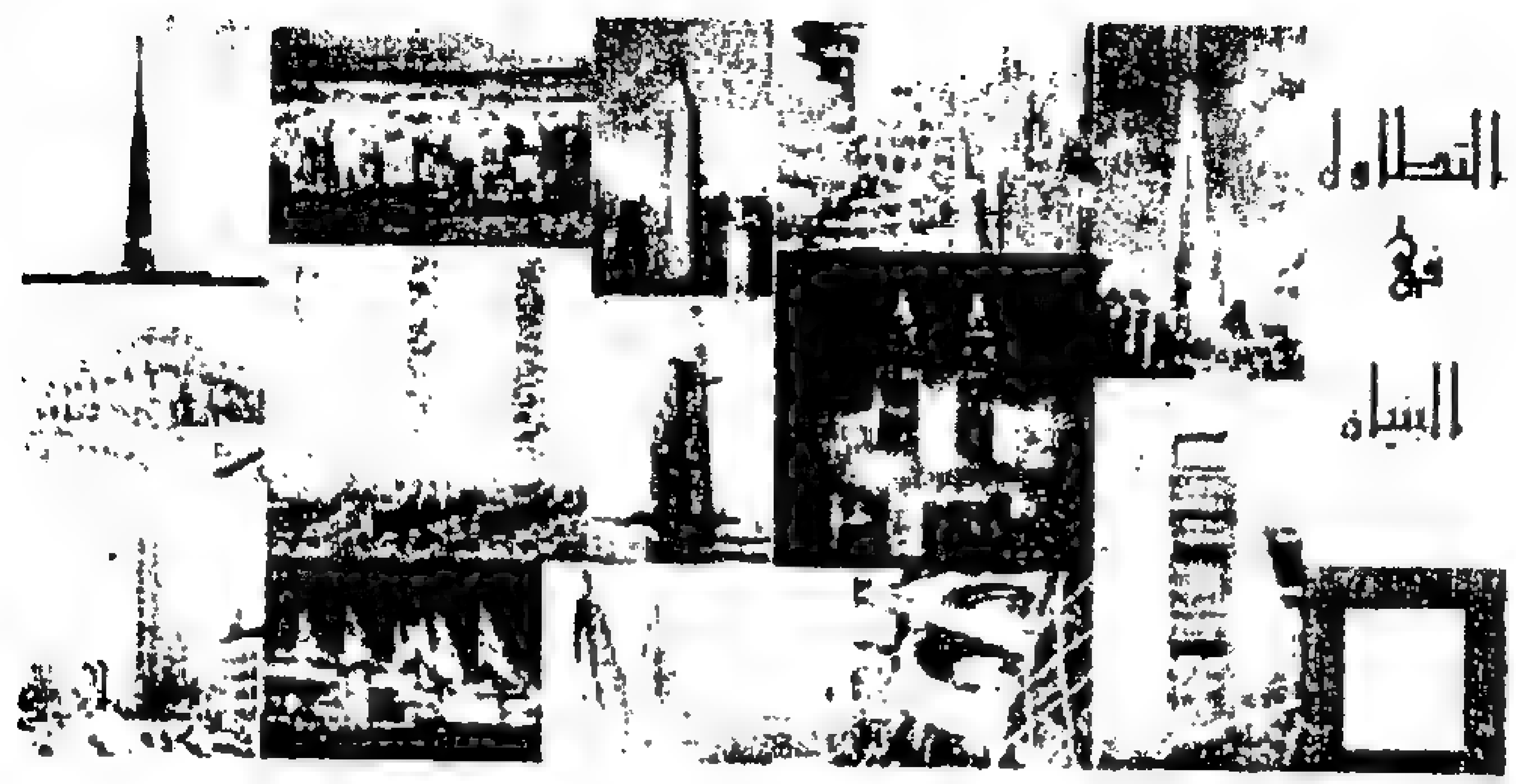
وهكذا الدول تفعل حين ترفع الأبنية وناطحات السحاب.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شريط علامات قيام الساعة:

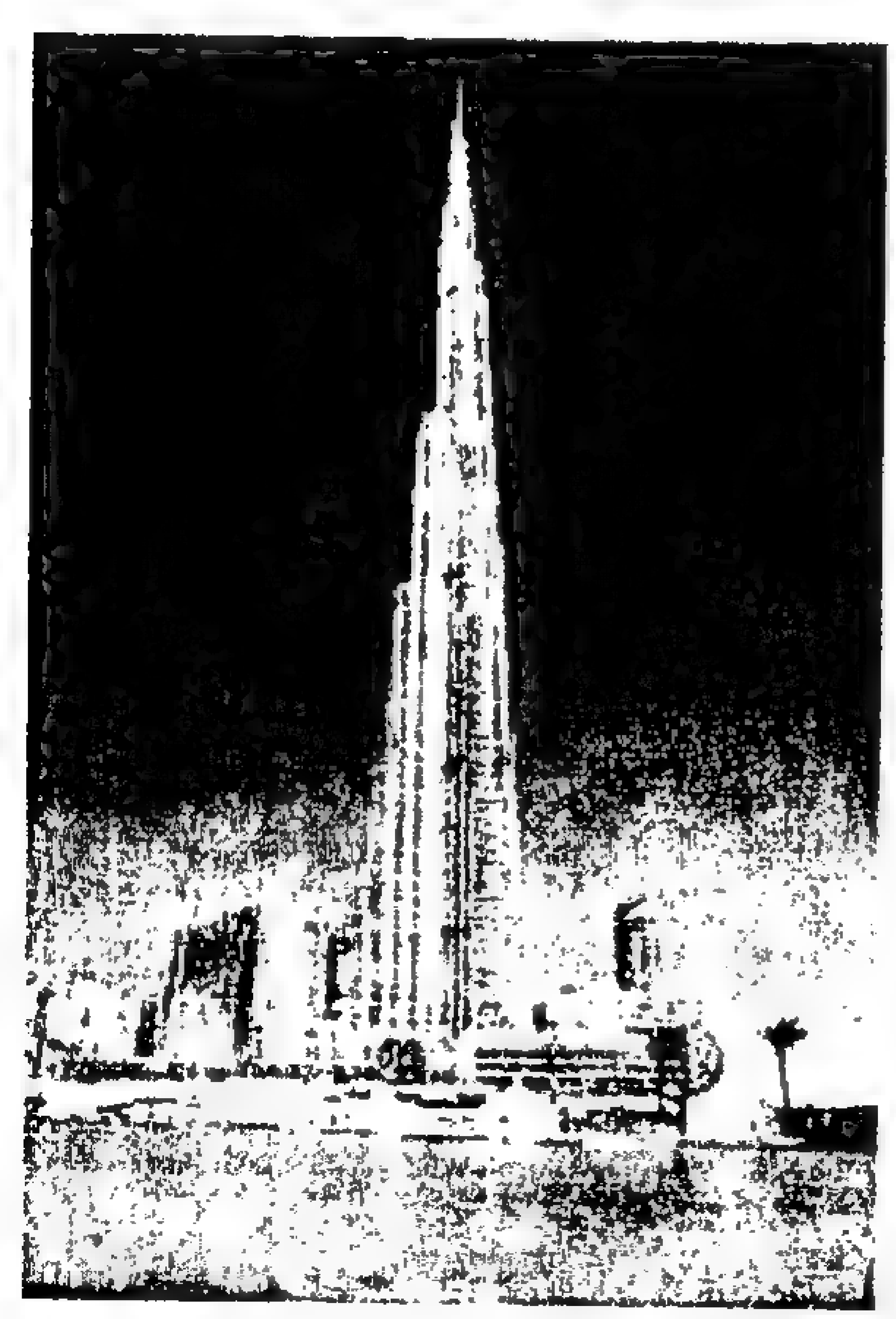
وأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان وإن التطاول في البنيان على نوعين النوع الأول: تطاول نحو السماء بحيث تُشيد العمارات الطويلة التي تناطح السحاب أو قريب من ذلك والنوع الثاني: تطاول بجمال البنيان وتشيده والاعتناء به كل هذا من التطاول وهو دليل على اشتغال الناس في أحوال الدنيا دون أحوال الدين؛ لأن التطاول في هذا يشغل القلب والبدن فيلهو به الإنسان عن مصالح دينه.اهـ

وسُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين: هل وجد التطاول في البنيان أم لا؟

فقال: الله أعلم فإنه قد يوجد ماهو أعظم مما في هذا الزمان،لكن كل أناس وكل جيل يحدث فيه من التطاول والتعالي في البنيان، وكل زمن يقول أهله: هذا من أشراط الساعة، والله أعلم؛ لكن هذه علامة واضحة. اهـ



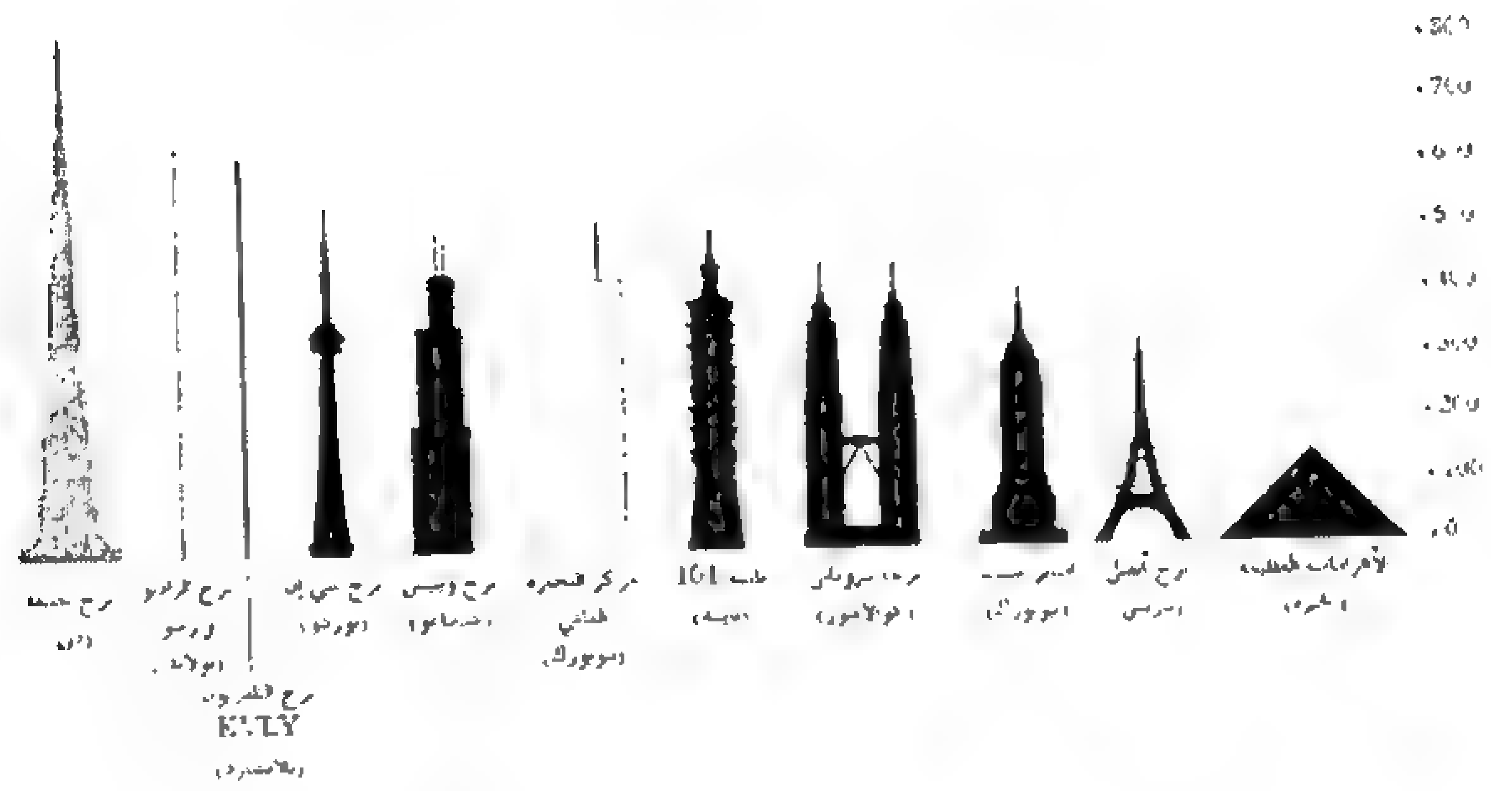
من صور التطاول في البينان.



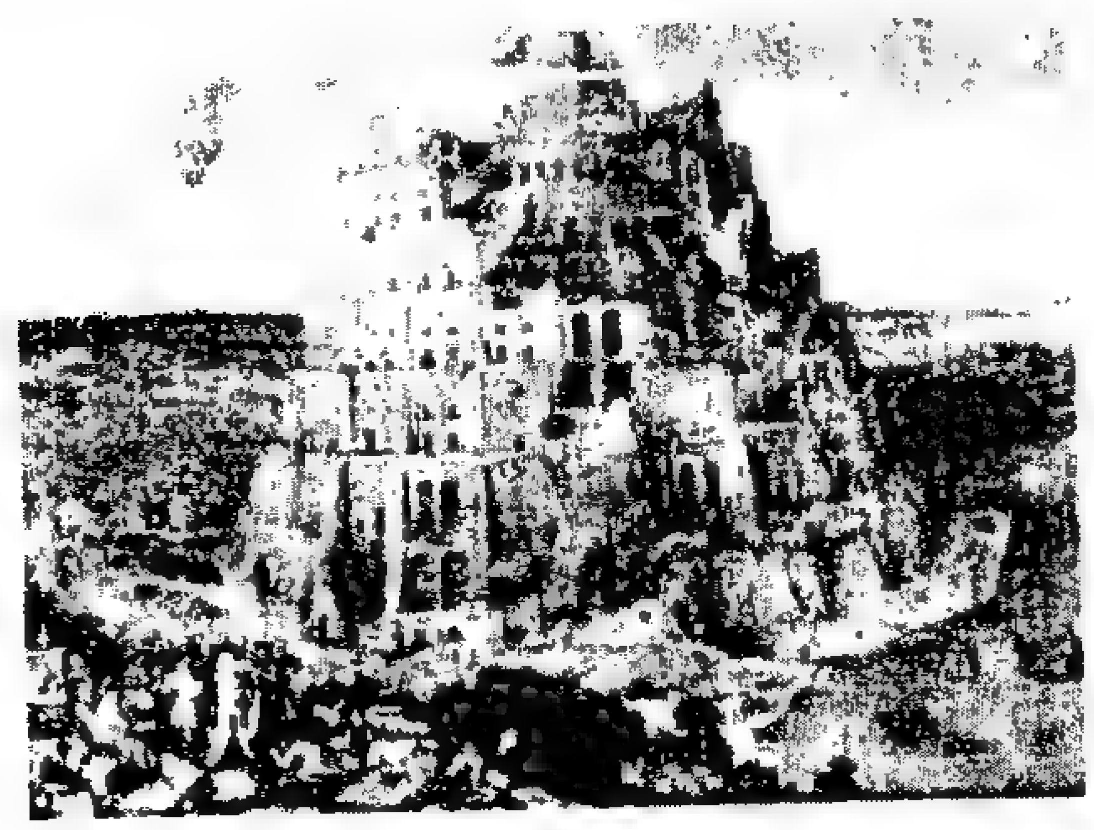
برج دبي.



منظر لبرج خليفة من فندق القصر.



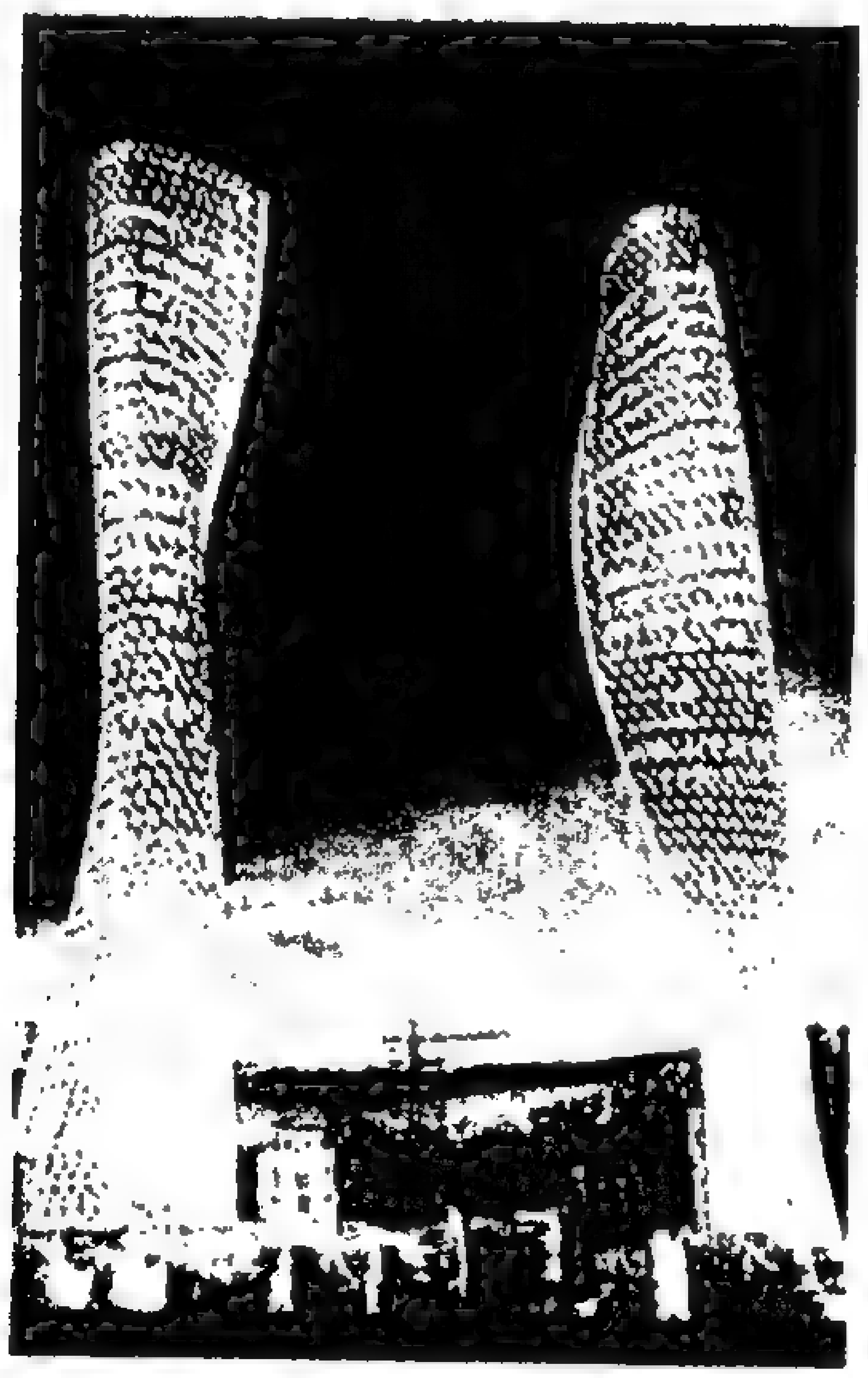
مقارنة برج خليفة ببعض المنشآت الأخرى في العالم.



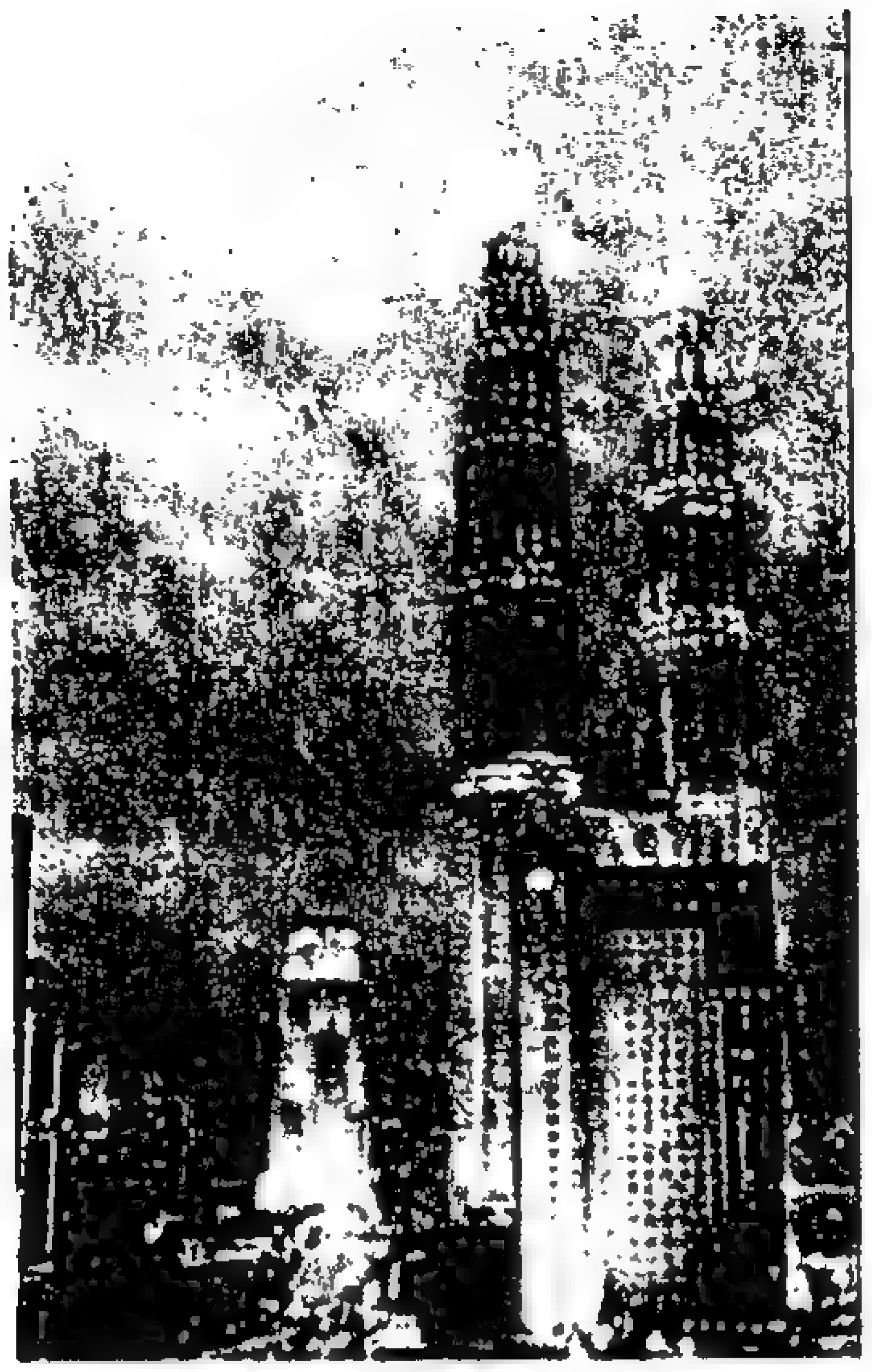
صورة تخيلية لبرج بابل بريشة بيتر برويغيل البكر (١٥٦٣م).



برج دبي (خليفة) الطول: ٨٢٨ متراً مكون من ١٨٠ طابقاً.



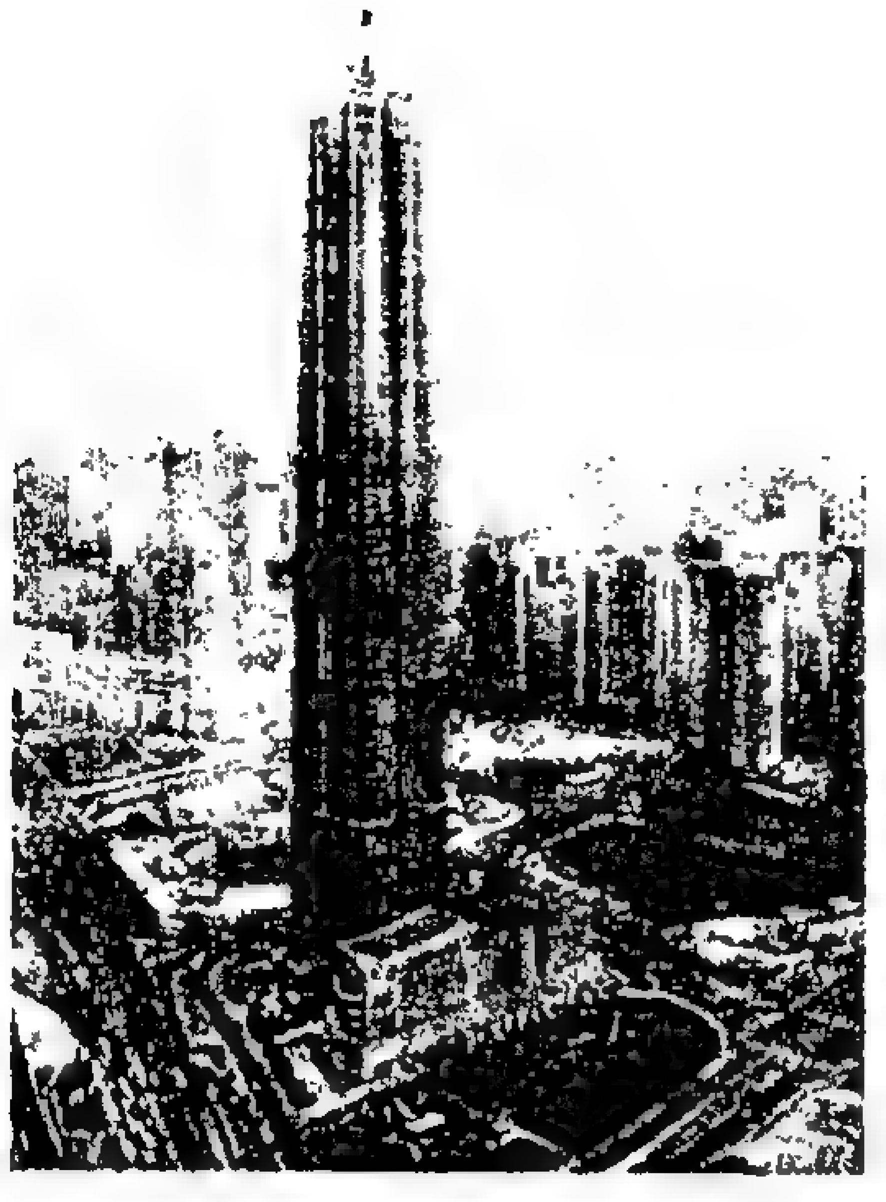
برج مدينة قوانغتشو، الصين شنغهاي. طوله ٨ ,٥١٤ متر مكون من ١٣١ طابقاً.



برج كوالا لامبور ماليزيا وطوله ٤٥٢ متراً وعدد الطوابق: ٨٨.



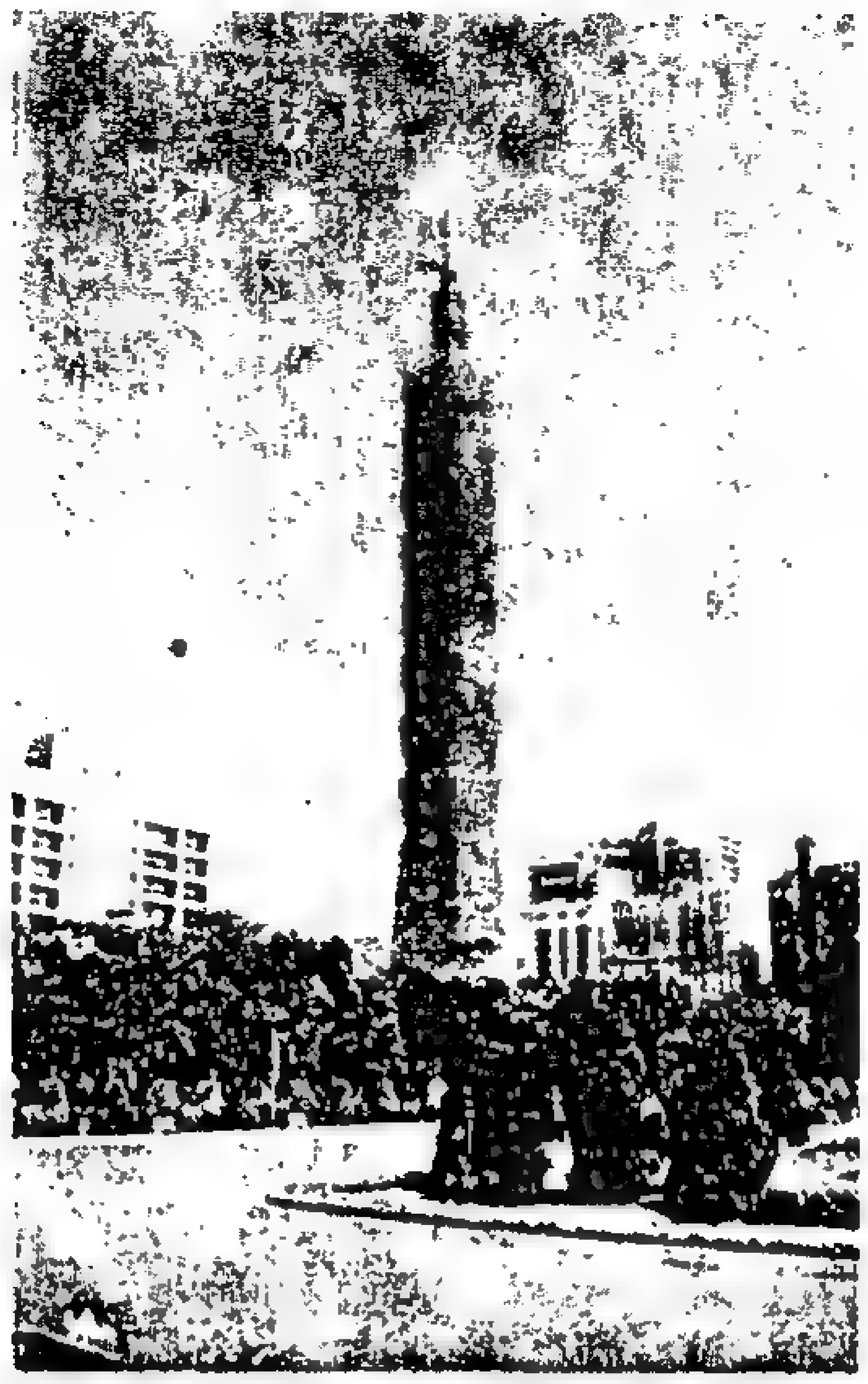
برج إيفيل الشهير في باريس بفرنسا.



شنغهاي الصين طوله ٤٢١ متراً، مكون من ٨٨ طابقاً.



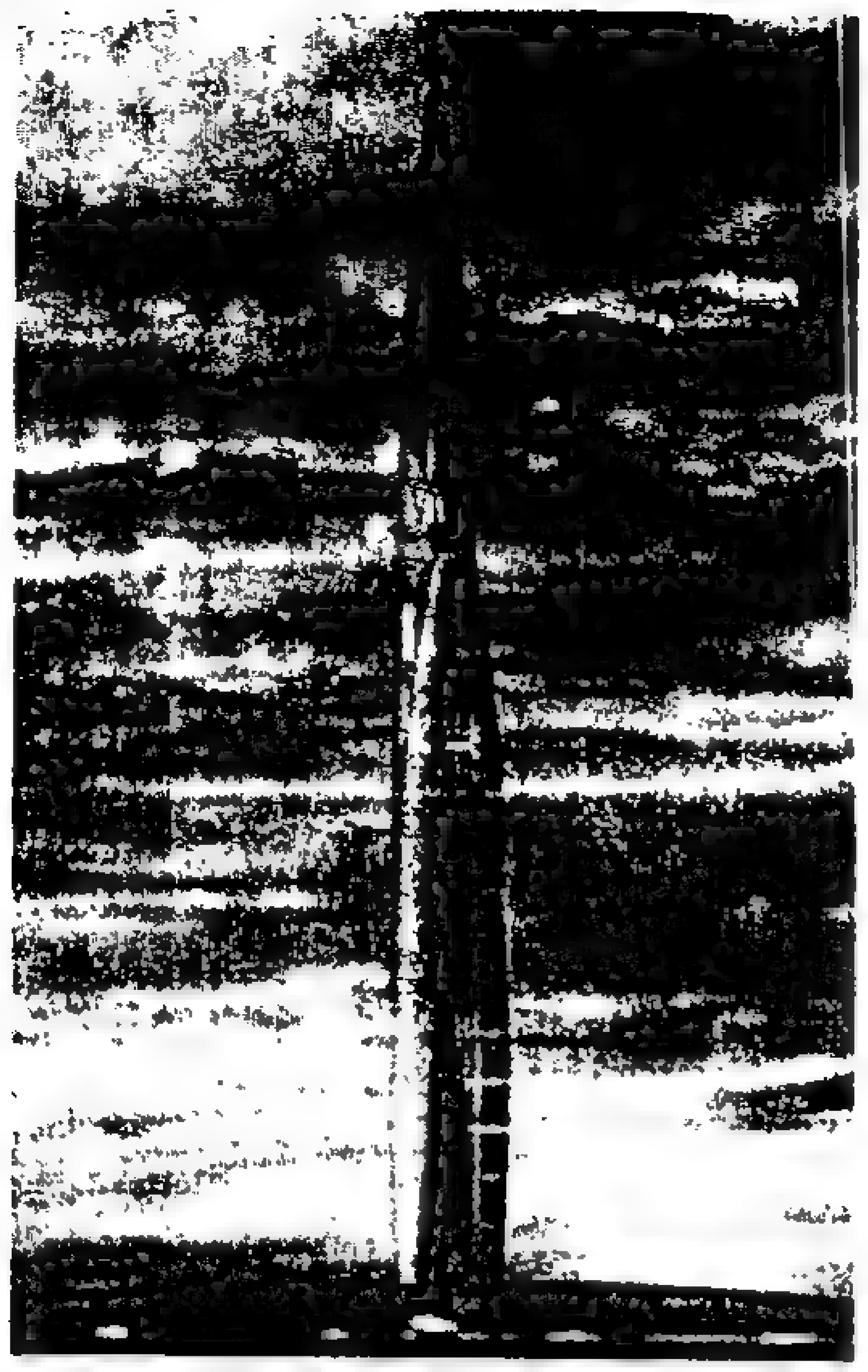
برج آخر في شنغهاي الصين طوله ٤٩٢ متراً، مكون من مائة طابق وواحد.



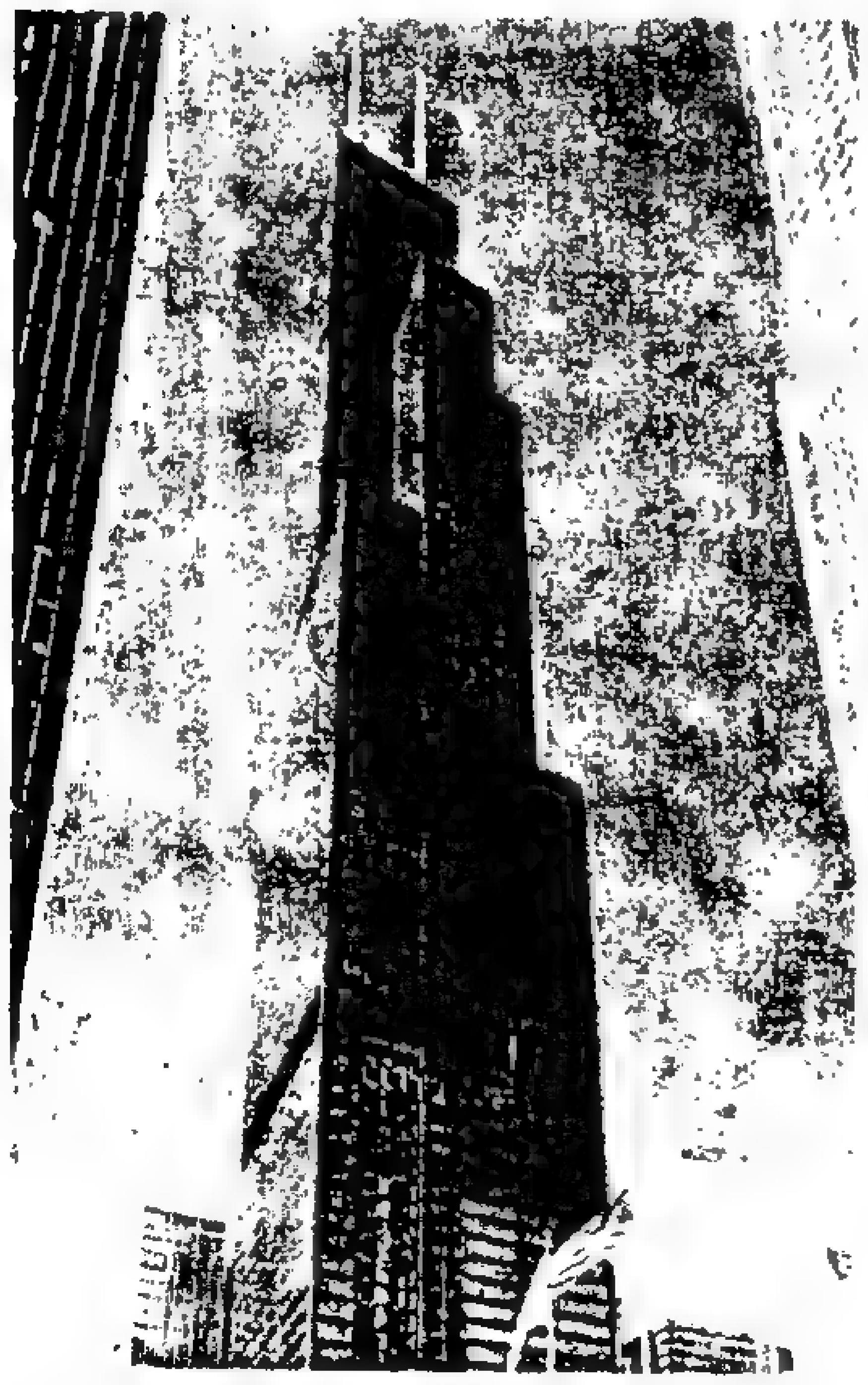
برج تايبيه تايوان طوله ٥٠٨ أمتار مكون من مئة طابق وواحد.



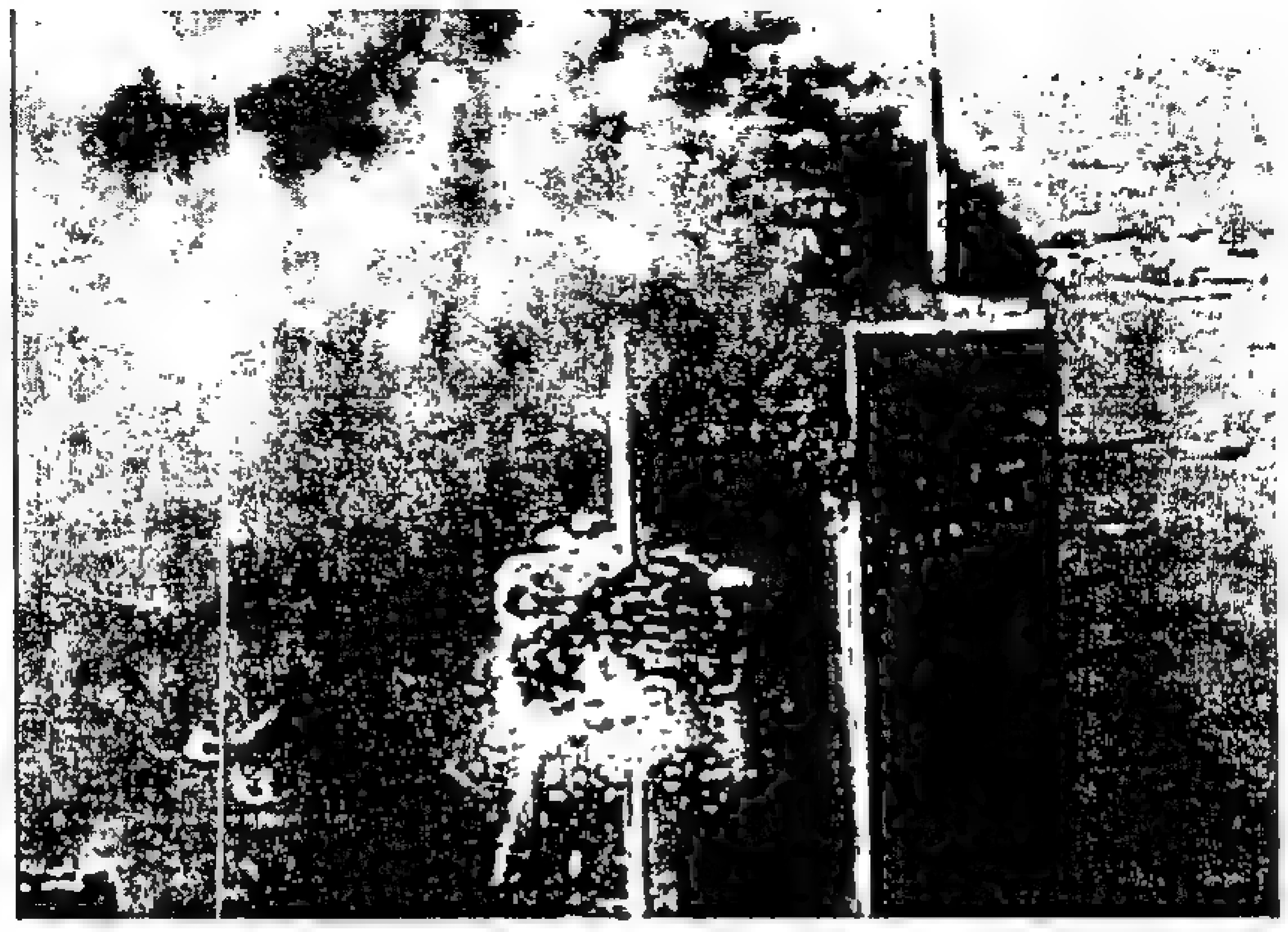
برج طوكيو اليابان طوله ٦٠٠ متر.



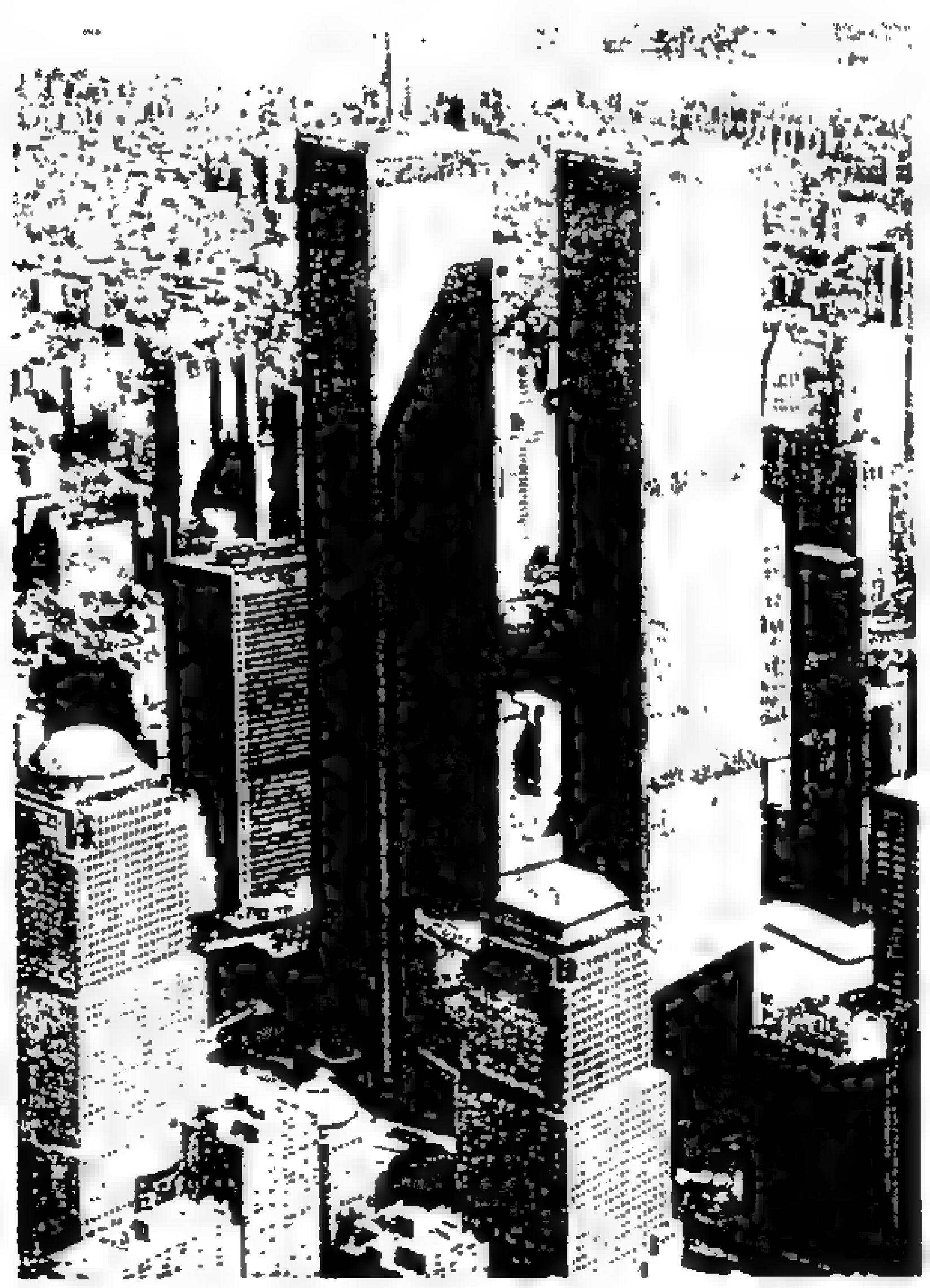
أحد أبراج شنغهاي بالصين.



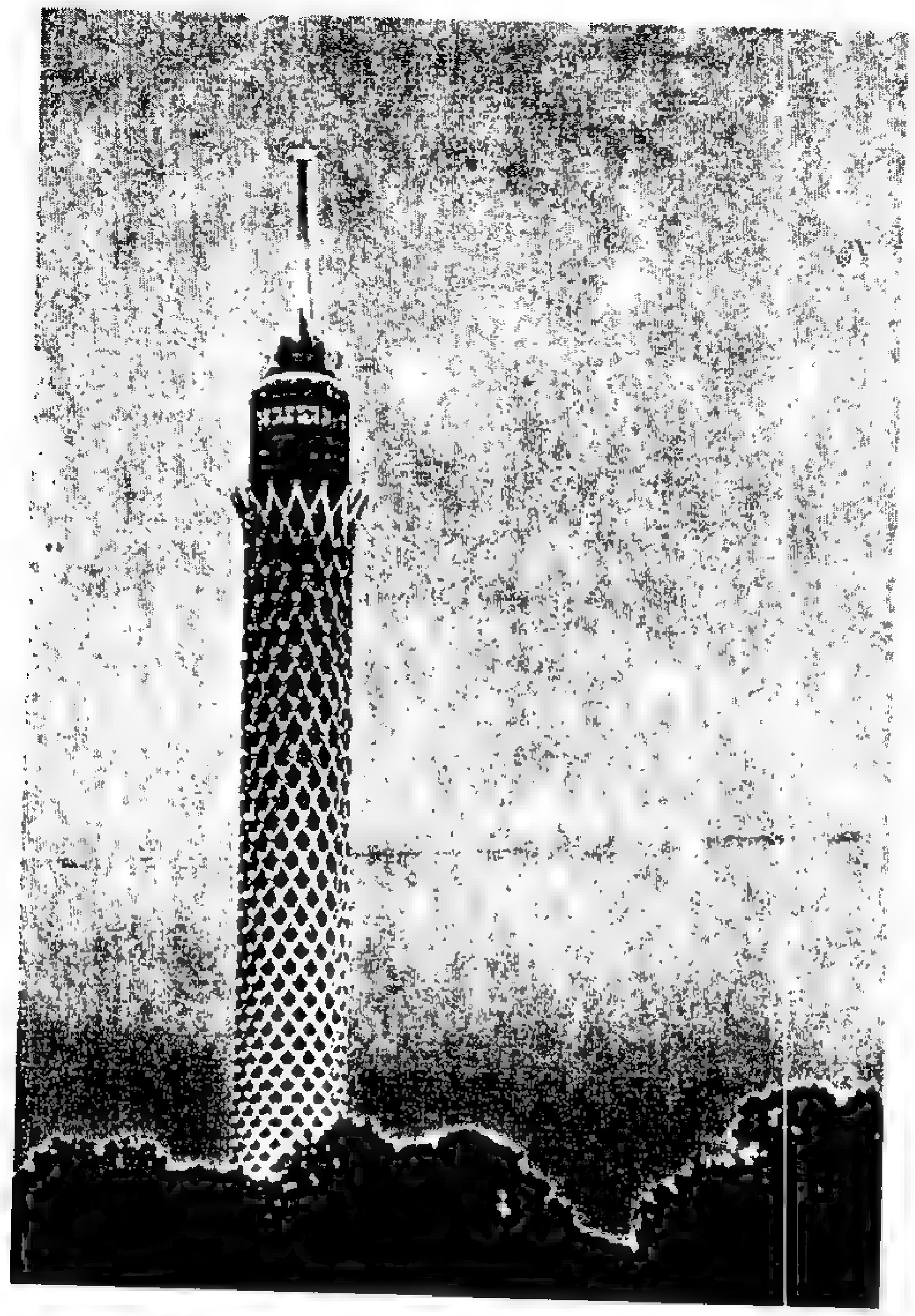
برج شيكاغو إلينوي طوله ٤٤٣ متراً مكون من ١١٠ طوابق بني عام ١٩٧٣م أمريكا.



برجا التجارة العالمي بنيويورك حال تفجيرهما في ١١ سبتمبر ٢٠١١.



برجا التجارة العالمي في نيويورك.



برج القاهرة (ويُطلق عليه أحيانًا: «برج الجزيرة») هو برج يقع في العاصمة المصرية القاهرة، تم بناؤه بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦١ من الخرسانة المسلحة على تصميم زهرة اللوتس المصرية، من تصميم المهندس نعوم شبيب، ويقع في قلب القاهرة على جزيرة الزمالك بنهر النيل. يصل ارتفاعه إلى ١٨٧ متراً وهو أعلى من الهرم الأكبر بالجيزة بحوالي ٤٣ مترا. يوجد على قمة برج القاهرة مطعم سياحي على منصة دوارة تدور برواد المطعم ليروا معالم القاهرة من كل الجوانب.

قلعة النمرود (قلعة الصبيبة)

والصبيبة تصغير من الصبة وهي مربط الخيل، وقد أقيمت تلك القلعة فوق قمة جبل شاهق ذي منحدرات عمودية صعبة، هو جزء من الأعضاء الأولى لجبل الشيخ تتبع قرية «جباثا الزيت» ترتفع عن مستوى البحر بـ ٨١٤ متراً وتطل على بانياس والحولة وهي من المواقع الاستراتيجية القديمة الضاربة في أعماق التاريخ بناها النمرود الجبار.

قام الحكام والملوك من العصر الأيوبي بإعادة بناء القلعة لتكون من الحصون الهامة في مواجهة الغزو الصليبي للشرق العربي.

وتأريخ هذه القلعة مرتبط بذكريات الحروب التي جرت في بلاد الشام وخاصة الحروب الصليبية، وتذكر التواريخ أن الأتابك ظهير الدين طغتكين (٥٢٠هـ -١١٢٦م)كان قد سلمها إلى الطائفة الإسماعيلية لما رأى استفحال أمرهم في حلب ودمشق وأملًا بدفع شرهم ولتسليطهم على الصليبيين، غير أنهم عملوا بالعكس وأبدوا الخيانة حيث أنهم تواطؤوا مع هؤلاء وسلموهم القلعة فاحتلها الملك الصليبي (بلدوين) سنة ١١٢٩م ومنحها إقطاعية لروبينه بروس ولورثته من بعده. وفي سنة (٥٢٧هـ -١١٣٢م) جاء شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري بن طغتكين وهو حاكم دمشق فاستردها، ووضع فيها أحد قواده، لكن هذا الأخير سلمها إلى عماد الدين زنكي صاحب حلب الذي كان خصمًا لآل طغتكين أصحاب دمشق. فقام آخر هؤلاء وهو مجير الدين أبق بن محمد بن بوري واتفق مع الصليبيين على استخلاص القلعة من الزنكي، وزحف جيشه مع جيشهم وحاصر بانياس والقلعة قذفت بالمنجنيقات واحتلوها سنة (٥٤٤هـ - ١١٣٩م) واستلمها الفرنجة بعد أن

طردوا حليفهم مجير الدين المذكور وأرجعوه بخفي حنين، وجعلوا فيها القائد الصليبي انفروي الثاني دوترون نائب ملك القدس «وهذا جزاء من يتحالف مع الأعداء ويمكنهم من أراضي وقلاع بلادنا الإسلامية للنكاية ولمآرب شخصية خسيسة».

وظلت القلعة في أيدي الصليبيين إلى أن جاء الملك العادل نور الدين بن محمود بن عماد الدين الزنكي وشرع يهاجم القلعة والأعداء يردونه ويعيد الهجوم إلى أن تمكن من استعادتها سنة (٥٦٠ هـ - ١١٥٧ م) ويقول مؤلف كتاب القلاع العربية أيام الصليبيين «إن الملك نور الدين كرر هجومه على القلعة في غياب أنفروي الذي كان في حملة على مصر مع الملك أملريك، فأجبرها على الاستسلام بعد حصار طويل لتصبح بيد العرب».

واستقرت القلعة بيد العرب وقد أعطاها السلطان الأكبر صلاح الدين الأيوبي لأحد أولاده وهو الملك الأفضل لما أعطاه بلاد الشام كلها ثم انتقلت إلى يد عمه الملك العادل أبو بكر الذي أقطعها لولده الملك العزيز عثمان حاكم بانياس، ثم انتقلت بعد ذلك إلى ابنه السعيد حسن (وقد أعادا الأب والابن بناء الأبراج التي خربها المعظم عيسى ابن السلطان صلاح الدين لمنع الفرنجة من استخدامها كقاعدة لهجماتهم الشريرة على دمشق، وقد استمرت أعمال الترميم من سنة ١٢٢٦م - ١٢٣٠م، تم في ختامها بناء الحصن المنيع للقلعة بشكلها الذي نراها عليه اليوم، حيث أخذت القلعة شكل التل الذي بنيت عليه، مستفيدة من الانحدارات الشديدة له، التي غدت جزءًا مهمًا من التحصينات.[(١)]

في عام ١٢٦٠م قضى المغول على حكم الأيوبيين، واحتلوا القلعة وعاثوا فيها خرابًا بعد أن سيطروا على بانياس والمنطقة بأسرها. لكن احتلالهم لم يستمر طويلًا، وسيطرتهم على القلعة لم تدم سوى بضعة أشهر، حيث هزم المغول في معركة عين جالوت الشهيرة. وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس أعاد ترميمها وأنشأ منارة لجامعها وبنى داراً لنائب السلطنة، وعمل جسرًا يمشي عليه إلى القلعة.

بعد أن تم طرد الصليبيين من بلاد المسلمين في القرن الثالث عشر، فقدت هذه القلعة

١ - الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الإنترنت.

ذكرها وأهميتها الإستراتيجية، ويقول المرحوم أحمد وصفي زكريا بكتابه الريف السوري «يبدو أنها ظلت مأوى للزعماء الإقطاعيين في أيام السلاطين المماليك والعثمانيين».

وفي ذكر الحوادث التي جرت سنة ١٦١٦م يقول حيدر أحمد الشهابي بكتابه (لبنان في عهد الأمراء الشهابيين) إن محمد باشا الوزير قد أصدر أحكامًا قضت بهدم قلعة بانياس وكذا قلعة شقيف في مقابل أن يصير لحضرة الأمير علي على سنجقية صفد وصيدا، ووعد الأمير يونس بن حرفوش بسنجقية حمص إذا تم هدم القلاع المذكورة.

وجاءت من الشام للهدم معلمون وشرعوا فيه واستمروا في القلعتين مقدار أربعين نهارًا وكان مبتدأ الهدم في واحد وعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة (١٠٢٥هـ) ومنتهاه في ثلاثة عشر من جمادى الأول من نفس العام. وفي حوادث سنة(١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) «أنه في أيام الأمير أحمد والأمير منصور توفي الأمير نجم أمير حاصبيا نيفا عن ستين سنة. فتولى بعده ولده الأمير سليمان، فحصلت الوحشة بينه وبين أخويه الأمير إسماعيل والأمير بشير وأظهرا له النزاع على الولاية فاسترضاهما بأن اقتطع لهما الحولانية وولاهما إياها فنهضا إليها وجددا عمارة قلعة بانياس التي فيها واستوطناها، وقيل إنه لم يكن راضياً عن إقامتهما فيها فدس إلى عثمان الصادق الكرجي والي الشام الذي خرج بعسكر عرمرم عليهما وحصرهما بالقلعة ثم استولى عليها بالأمان ولكنه أمر بهدم ما كان قد جدده الأميران المذكوران.

وفي رواية أخرى يقول المرجع نفسه أنه في سنة (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) أصلح الأمير إسماعيل حاكم حاصبيا قلعة النمرود وعمر ما كان هدم من زمن بيت معن، وسكن فيها فحضر إليه والي الشام عثمان الصادق الكرخي وحاصره مدة وجيزة، وقد كان حين بلغه خروج عثمان باشا من الشام أرسل يستنجد بالأمير منصور الشهابي وقبل أن ينجده سلم القلعة عن يد يوسف آغا ابن جيري، وقبض عثمان باشا على الأمير إسماعيل وأخذ منه خمسة وعشرين كيساً ونهب ما كان فيها من أثاث وذهب ثم أمر بهدمها».

القلعة تنبسط بشكل طولاني على الجبل (المسمى باسمها) بغاية الروعة والهالة،

ويبلغ طولها نحو ٤٢٠ مترًا وعرضها ٦٠ - ١٥٠مترًا بمساحة تقدر بـ ٣٣ دونم، حيث لايمكن الصعود إليها إلا من طرفها الجنوبي في حين أطراف الجبل الأخرى واقفة كالجدران الهائلة.

فإذا دخلت القلعة من بابها الواقع في جنوبها وقعت عيناك على مناظر غاية في الامتداد والروعة، وفي الجهة الغربية تشرف القلعة على بانياس وما ورائها من ربوع فلسطين والحولة وأرض الخيط وسلسلة جبال عامل، وفي الجهة الشرقية الشمالية يقف جبل الشيخ المكلل بالثلوج وبمرتفعاته الهائلة وأعضاده المتدرجة وهنا تشاهد جباتا الزيت وبساتينها ووادي صعب ووادي السكاوي ووادي الدفلة (الدفين) وهذه الأودية تكون مصدر نهر بانياس، وفي الجهة الجنوبية ترى الآكام الذاهبة صعدًا نحو القنيطرة والقرى المتربعة هناك، وداخل القلعة باحة مستطيلة من الغرب الجنوبي إلى الشرق الشمالي بتضاريسها الطبيعية والأحراش الرهيبة وهي ملآنة بأنقاض مباني عديدة وهي: في وسط الباحة بناء يقال أنه (كنيسة) مربع الشكل لا تزال بقايا أعمدتها بقواعدها المثمنة الأضلاع.

وفي القسم الجنوبي الشرقي على امتداد السور هناك ستة أبراج منها ما هو مربع الشكل ومنها ما هو مدور وهذه الأبراج ترتبط ببعضها بجدران تدعى سجوف الخط الدفاعي، بني هذا السور على يد العزيز عثمان ١٢٣٠م أما الأبراج الموجودة فيه فهي من أيام الظاهر بيبرس ما بين عام ١٢٦٠ وعام ١٢٧٧م. وعن يمين الداخل من باب القلعة من طرفها الجنوبي يوجد برج عظيم مربع الشكل شديد البروز شيد زمن السلطان الظاهر بيبرس ١٢٧٥ م متهدم بسبب الزلزال سنة ١٧٥٩م ما خلا قسم كبير من جدار مع درج وثلاثة طوابق للدفاع، ويمكن للزائر أن يصل إلى الطابق الأعلى من سطح مائل معقود يقع وراء سجف الخط الدفاعي فيجد نفسه وسط بهو واطئ مسقوف بعقود ذات زوايا بارزة، وفي هذا البهو عدة منافذ تصل إلى غرفتين تعلوهما نقوش عربية تفيد بأنها مكان قصر السلطان بيبرس، وإلى جانب هذا البرج يوجد صهريج عميق مساحته ٩ م بـ٢٥ متراً مملوء بالماء وله درج ينحدر إلى الأسفل، وإلى جانب الصهريج المذكور

يوجد نافورة مياه للشرب (السبيل) على الجانب الشرقي للخزان بناها السعيد حسن ابن العزيز عثمان سنة ١٢٤٠م.

ثم البرج الثالث ويسمى البرج الجميل على السور الشرقي وهو ذو ثمانية أضلاع وسقف هذا البرج مقبب وهو مدور وبارز إلى الأمام وهو دفاعي وفيه ست كوى مجهزة بمرامي سجوف البرج الرابع مهدمة لم يبق منها سوى قواعد جدرانها.

البرج الرابع مدور ويحتوي على طابق دفاعي معقود وهو مثقوب بمرامي بقي منها اثنتان ثم البرج الخامس والسادس حيث ترتفع الأرض نحو الشمال الشرقي حتى تصل إلى الحصن الكبير ويسمى بالفرنسية دنجوان والطريق إليه عبر جسر خشبي من زمن العزيز عثمان وهو يشرف على القلعة بكاملها (وهو متهدم وأحجاره مبعثرة) وهذا الحصن هو عبارة عن قلعة داخلية مستقلة وهو محصن في جنوبه من ناحية الباحة بخندق وبرجين ضخمين، وفي وسط الحصن بناء مستطيل الشكل يؤلف بذاته الحصن الأخير وهو مستقل عن الحصن الكبير كما يستقل الأخير عن القلعة بذاتها وكان يحتوي على بهو كبير وتحت الحصن يوجد دهاليز معقودة بعضها يصل إلى البرج الأخير وهو أقوى أبراج القلعة وأمتنها وفيه طابق للدفاع وهو عبارة عن بهو مثمن الزوايا، وعلى بعد أمتار إلى شرق البرج يوجد بركة مياه طولها ٥٤ متراً بعرض ٢٦ متراً كان الأهالي يستخدمونها لسقي المواشي والزراعة.

وفي أقصى الشمال الغربي يوجد غرفة طويلة قد تهدمت بالكامل وفيها بهو وله باب سري للخروج وله دهليز تحت الأرض ينتهي بالوادي.

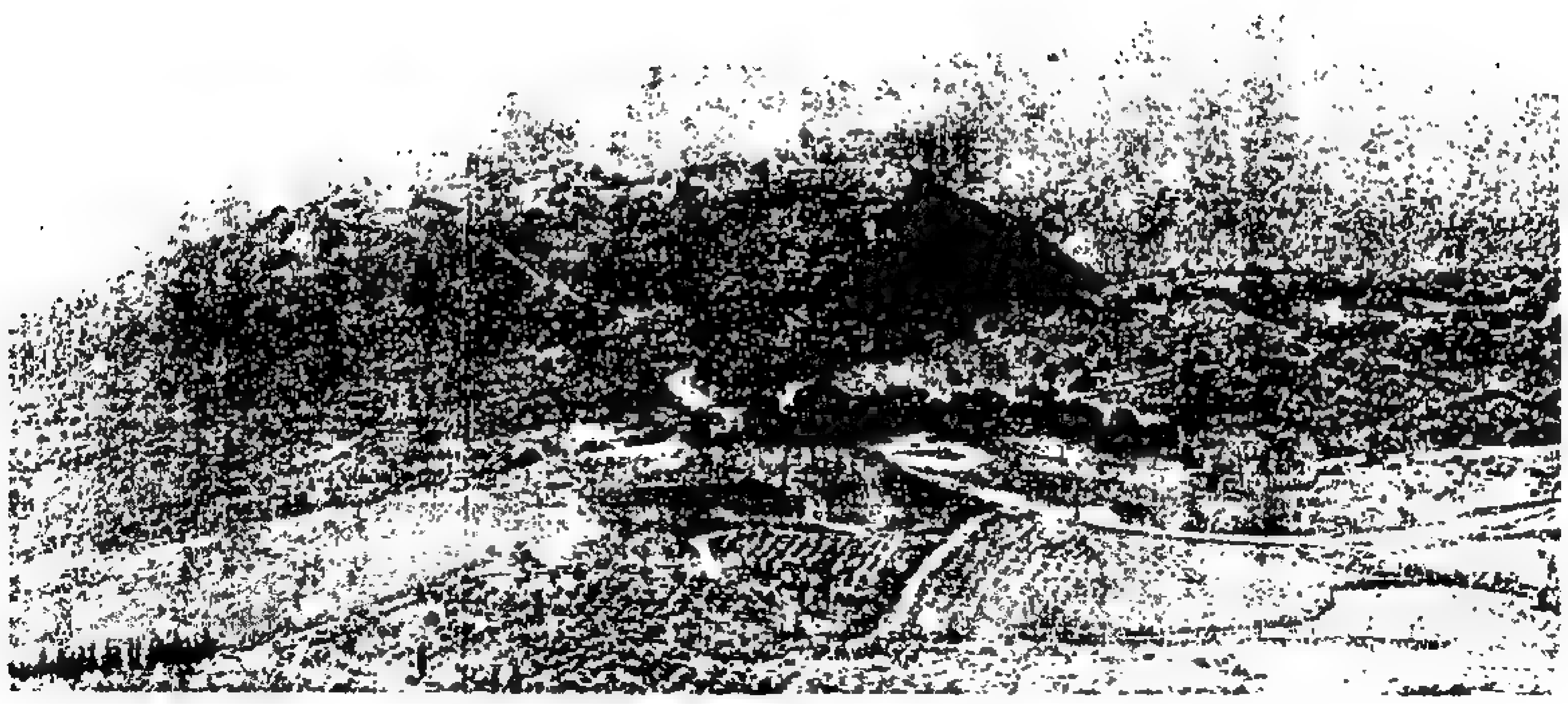
وفي السور الشمالي لا يوجد سوى برج وحيد هو البرج الشمالي، ذلك أن القلعة تشرف على شفا منحدر سحيق يقف وقفة عمودية هائلة تطل على وادي الخشبي يصعب الصعود منه، شيد البرج الشمالي زمن السلطان بيبرس وجدرانه مثقوبة لرمي السهام بالنبال ويوجد فيه سلم يمكن الصعود إلى سطح البرج وفي داخل البرج قاعة كبيرة ويعتقد أنها كانت تستخدم سجنًا في القرن الخامس عشر.

أما في الواجهة الغربية فهناك برج مخرب بالمرة وفي جدار هذا البرج وعند قاعدته ينفتح في أرض الباحة السماوية سرداب محفور في الأرض كان مملوءًا بالأنقاض ويهبط بدرج إلى لحف الجبل وهذا السرداب يتجه بادئ ذي بدء نحو الشمال ثم ينعطف فجأة نحو الشرق، وجدران هذا السرداب مؤلفة من بلوكات منحوتة ومصقولة بإتقان ويعتقد بأنه كان يستخدم كمهرب للنجاة والهروب.[١]

١- المصدر السابق.



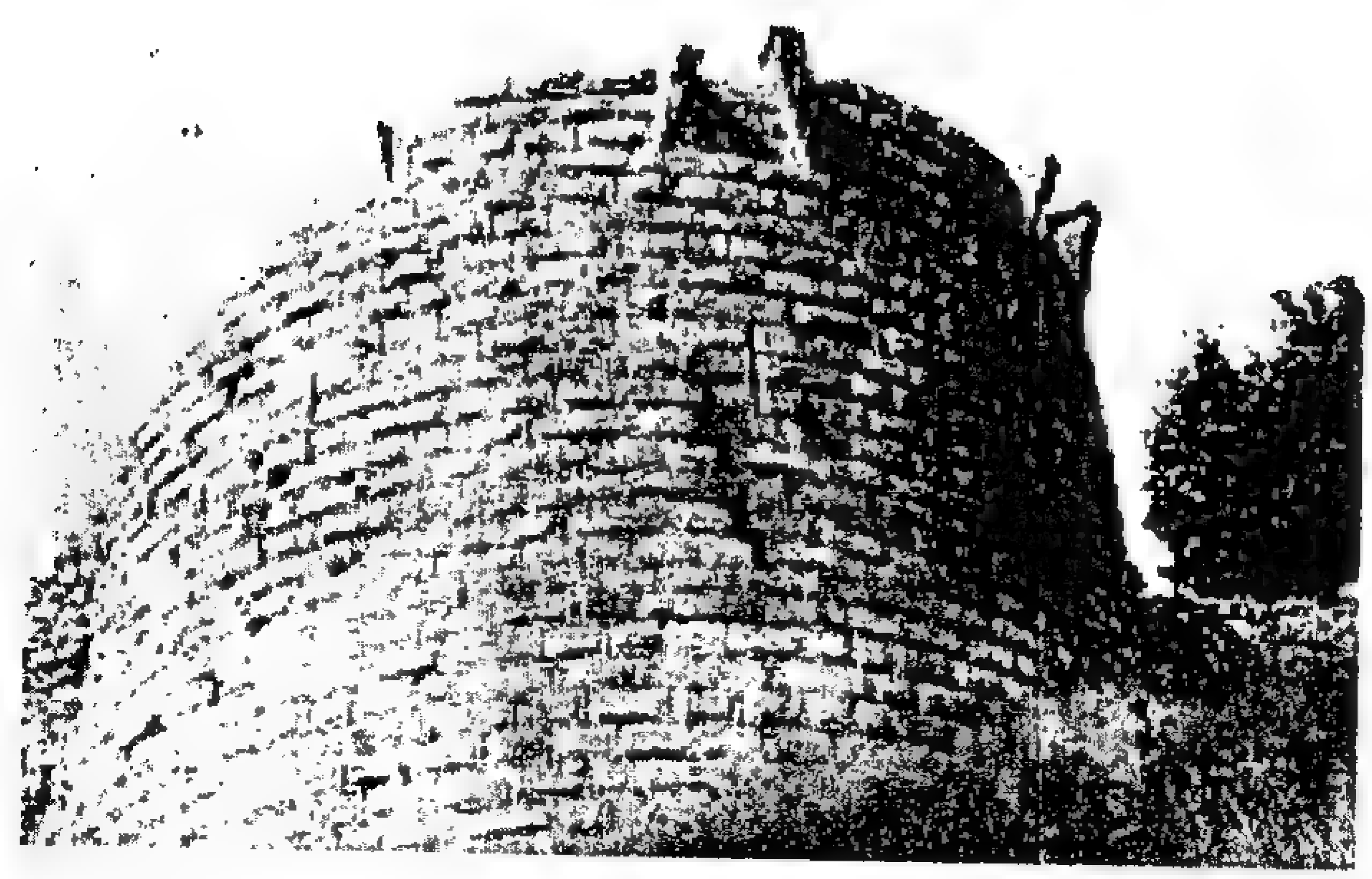
منظر للقلعة من ناحية الشرق.



منظر عام للقلعة على الجولان.



منظر عام للقلعة.



جزء من قلعة النمرود في الجولان.

إسرائيل وسرقة آثار النمرود (والأرشيف) اليهودي العراقي من العراق بواسطة الجيش الأمريكي

كان من أهم أسباب الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ هو سرقة الآثار العراقية القديمة التي تعود للعصر البابلي وعصر النمرود فكانت البداية عندما قامت قوات كوماندوز أمريكية عام ١٩٩١ بإنزال في موقع تل اللحم في محافظة ذي قار هو أقرب مكان للسيطرة على طريقين للخط السريع طريق (بصرة - ناصرية) في الجنوب وجنوبي شرقي العراق، وقامت هذه القوة وبصحبتهم متخصصون بالآثار بالحفر والتنقيب السريع في الموقع وعثروا على كميات من الآثار يصعب معرفة عددها فأخذوها معهم ودمروا جزءاً كبيراً من المتبقي، ولم يكشف إلى الآن عن دوافع وأسباب هذه العملية ونوعية القطع الأثرية التي تم سرقتها!

تلك هي البداية لأكبر عملية سرقة آثار في تاريخ البشرية ثم اتبعها خطوة أخرى قبل الغزو الأمريكي للعراق في ١٠/ ٤/ ٢٠٠٢ حيث وصلت لعالم الآثار العراقي ومدير البحوث في المتحف العراقي في بغداد الدكتور (دوني جورج)، معلومات مؤكدة من بريطانيا تفيد بأن مجموعة من المتخصصين بالآثار في جامعة كامبردج يضعون خطة للاستيلاء على آثار عراقية معينة عندما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بغزوها المتوقع للعراق!

وكان هذا الأمر يتسق مع معلومات سابقة لدى الجهات الأمنية العراقية على خلفية مطالبات غربية مرتبطة بالحركة الصهيونية بالحصول على الأرشيف اليهودي العراقي

الذي يحتوي على قرابة ٣ آلاف وثيقة و١٧٠٠ تحفة نادرة توثق للعهود التي سبي خلالها اليهود في العراق وهما السبي البابلي الأول والسبي البابلي الثاني، إضافة إلى آثار يهود العراق آنذاك وإلى مدد أبعد من العهد البابلي مع أقدم نسخة لـ «التلمود» عرفها العالم، وأقدم نسخة لـ «التوراة» ومخطوطات، الأمر الذي دفع الجهات الحكومية العراقية للتحفظ عليها في مبنى المخابرات العراقية، في حين جرى التحفظ على لقى آثارية ثمينة أخرى في مبنى البنك المركزي العراقي!.[1]

وبعد الغزو الأمريكي للعراق ودخول القوات الأمريكية بغداد في يوم ٢٠٠٣/٤/١٠ قامت مجموعة من ٤٠٠ شخص مسلحين بمختلف أنواع الاسلحة وتحت أنظار وحماية دبابة امريكية كانت تبعد ٧٠ متراً عن مدخل المتحف باقتحام المتحف العراقي من ثلاثة أماكن مستهدفة مخازن التحف الآثارية التي تحوي آثاراً وتحفاً معينة بالإضافة إلى سرقة السجلات والوثائق الخاصة بالآثار السومرية والبابلية التي كانت موجودة في المتحف العراقي.

وبحسب محاضرة ألقاها الدكتور دوني جورج في المتحف الوطني بدمشق ٢٠٠٦، ذكر فيها أن التحقيقات التي أجراها وزملاؤه المختصون بعمل الآثار في ٢٠٠٣/٤/١٣ أي بعد يومين من السرقة أثبتت أن السرقة كانت عملية منظمة وليست عشوائية أو نتيجة أعمال شغب وأن من قام بها مافيا كبيرة وأن هناك تحضيراً وترتيباً مسبقاً خصوصاً أن هناك قطعاً أثرية عديدة وصلت بعد أقل من أسبوعين من السرقة إلى أمريكا وأوربا وهي فترة قياسية تدل على أن من قام بذلك مافيا منظمة وكبيرة جدًّا مضيفاً أن اللصوص فتحوا خزانة كان فيها مجاميع من الأختام لكنهم اختاروا منها ٩ قطع فقط وهي الأغلى فاستنتجنا أن هناك تحضيراً وترتيباً مسبقاً للسرقة!

وفي هذا السياق يؤكد عالم الآثار العراقي «رائد عبد الرضى»: (أن أعمال النهب

١ - المصدر: شبكة البصرة - د. عماد علو على شبكة الإنترنت.

دامت يومين (الخميس والجمعة في العاشر والحادي عشر من نيسان) وبالإضافة إلى (الحواسم) كان هناك لصوص محترفون وخبراء وقد رأيت بعضهم يعتني بالتحف بمهارة المحترفين خوفاً من أن تصاب بعطب ما، حيث وضعوها في صناديق مجهزة أحضروها معهم وأوصلوها إلى سيارات النقل المتوقفة خارج المتحف والتي كانت بانتظارهم).[1]

وكذلك قامت القوات الأمريكية بالاستيلاء على الأرشيف اليهودي العراقي الذي كان موجوداً في مبنى المخابرات العامة العراقية في منطقة الحارثية تحت إشراف د. إسماعيل حجارة أمريكي الجنسية أرسل للإشراف على الأرشيف اليهودي ونقله لأمريكا.[2]

ثم نقل هذا الأرشيف إلى إسرائيل بعد ذلك بثمان سنوات وسط احتفال مهيب حيث أعلنت إسرائيل أنها استعادت الأرشيف اليهودي من الأمريكان وذلك في احتفال أجرته منظمة «العاد» اليهودية معتبرة هذا الحدث بـ «الانتصار الحقيقي للأمة اليهودية»، إذ استعادت جزءا أصيلاً ومهمًّا، وهو الأفضل على الإطلاق، من تراثها!! وأعلنت في هذا الاحتفال الذي أقيم في مبنى أقامته إسرائيل خصيصاً لهذا الغرض في تل أبيب كلف نحو ٣ ملايين شيكل، نظراً للتحصينات عالية التقنية التي صمم بموجبها والتي تضمن السلامة من أية مخاطر سواء الكوارث الطبيعية أو القصف العسكري.

وقد عين (ياد شاغال) - وهو ابن أول عمدة لتل أبيب بعد أن احتلها اليهود مسؤولاً عن نصب الأرشيف اليهودي العراقي الذي تمت سرقته من العراق وتم إصلاح أغلبها بمقر متحف التاريخ الطبيعي والتراث العالمي في واشنطن على يد

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق نقلاً عن أسامة ناصر النقشبندي - مجلة تراثيات عن مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية القاهرة.

أمهر الخبراء العالميين، خاصة أن بعض الوثائق كانت قد تعرضت للضرر في أقبية مقر المخابرات العراقية السابق. يشار إلى أن منظمة «العاد» عملت على سرقة كل ما يخص اليهود في العراق عبر إدخال فرق مدربة من السراق، وبعثة متخصصة لحسابها إلى آثار الوركاء وأور نهبت خلالها آثارا عراقية ثمينة بطرق مبتكرة لا تثير الشكوك بوجود عمليات تنقيب.

وقد أكد النائب العمالي اليهودي موردخاي بن بورات أحد المتحدرين من يهود العراق والباحث في مركز ارث يهود بابل الواقع قرب تل أبيب حسب صحيفه هآرتس الإسرائيلية الحصول على تعليق نادر لسفر أيوب نشر سنة ١٤٨٧ وقسم من كتب الأنبياء المنشورة في البندقية سنة ١٦١٧ من مخازن حصينة لأجهزة الأمن العراقية السابقة.[١]

سرقة كنز النمرود:

قامت القوات الأميركية المحتلة وبدلالة أحد المتعاونين معها بالتوجه إلى موقع تخزين كنز نمرود الخرافي، في أحد أقبية البنك المركزي العراقي والاستيلاء على ٦٥٠ قطعة ذهبية أثرية مختلفة الأحجام لا تقدر بثمن، تظهر نمط الترف الذي كان موجوداً في دولة النمرود. وقامت القوات الأميركية بعرض هذه النفائس الأثرية أمام الجمهور في المتحف العراقي أواخر عام ٢٠٠٣ بحضور الحاكم المدني بول بريمر الذي اعتبر الأمر فتحاً أميركيا كبيراً، قبل أن تبدأ موجودات الكنز الذهبي بالتناقص شيئا فشيئا، حتى اختفت تماما في ظل أجواء الرعب والفوضى التي سادت العراق إبان سنوات العنف الدامية.

ثم توجه فريق أمريكي من المتخصصين بالآثار السومرية والأشورية بالتوجه إلى الموقع الذي اكتشف فيه كنز النمرود عام ١٩٩٢ وتحت حراسة مدرعات أمريكية،

١ - المصدر السابق.

وقامت بعمليات بحث وتنقيب جديدة،، ثم قام فريق التنقيب نفسه بإجراء مسح معمق وتتبع نهر الفرات باحثاً عن أمور لم يكشف النقاب عن أهدافها ومبتغاها. وما يثير الاستغراب تجاهل الإعلام لحادث ظهور واختفاء كنز النمرود ومرور وسائل الإعلام مرور الكرام على حادث بهذا الحجم في الخطورة والأهمية وسط تعتيم مشدد يمنع تسريب ولو معلومة صغيرة عن مصير كنز نمرود الأسطوري.[١]

إن سرقة الآثار العراقية وخاصة الأرشيف اليهودي وكنوز النمرود يدل على محاولة اليهود إحضار أسرار لا يريدون للعالم معرفتها قد أعلن عنها صاحب نظرية الأصل الفضائي للسومريين، التي وضع أُسسها وروج لها عالم السومريات والكتابة المسمارية (زكريا سيتشن) وهو من أصل يهودي روسي أذربيجاني ولد في باكو سنة ١٩٢٠ والذي عاش طفولته وشبابه في فلسطين ثم استقر في نيويورك وكان رافضاً للفكرة الصهيونية بناءً على قناعته السومرية الخاصة، حيث أصدر كتابه لهذه النظرية عام ١٩٧٦ والموسوم (الكواكب الاثنا عشر) وفيه يصف المعرفة والمعجزات التقنية لحضارة سومر القديمة

وتتلخص نظريته بـ (أن السومريين هم من سلالة أناس قدموا من كوكب آخر واحتلوا الأرض وأسسوا أول حضارة في العراق وبعدها في مصر) وتم طرح الكثير من الحجج والتفاصيل المعتمدة على الأساطير والمنحوتات السومرية والأكادية والبابلية التي تدعم فكرته بحقيقة دور هذا العرق الفضائي في نشوء حضارة بلاد الرافدين وثم الإنسانية وطور سيتشن نظريته هذه في ١٢ كتاباً علميًّا تفصيليًّا متخصصاً وكرَّس حياته لها حتى وفاته عام ٢٠١٠. وقام بترجمة الألواح السومرية المكتشفة في بلاد العراق منذ أكثر من ١٥٠ عاماً.

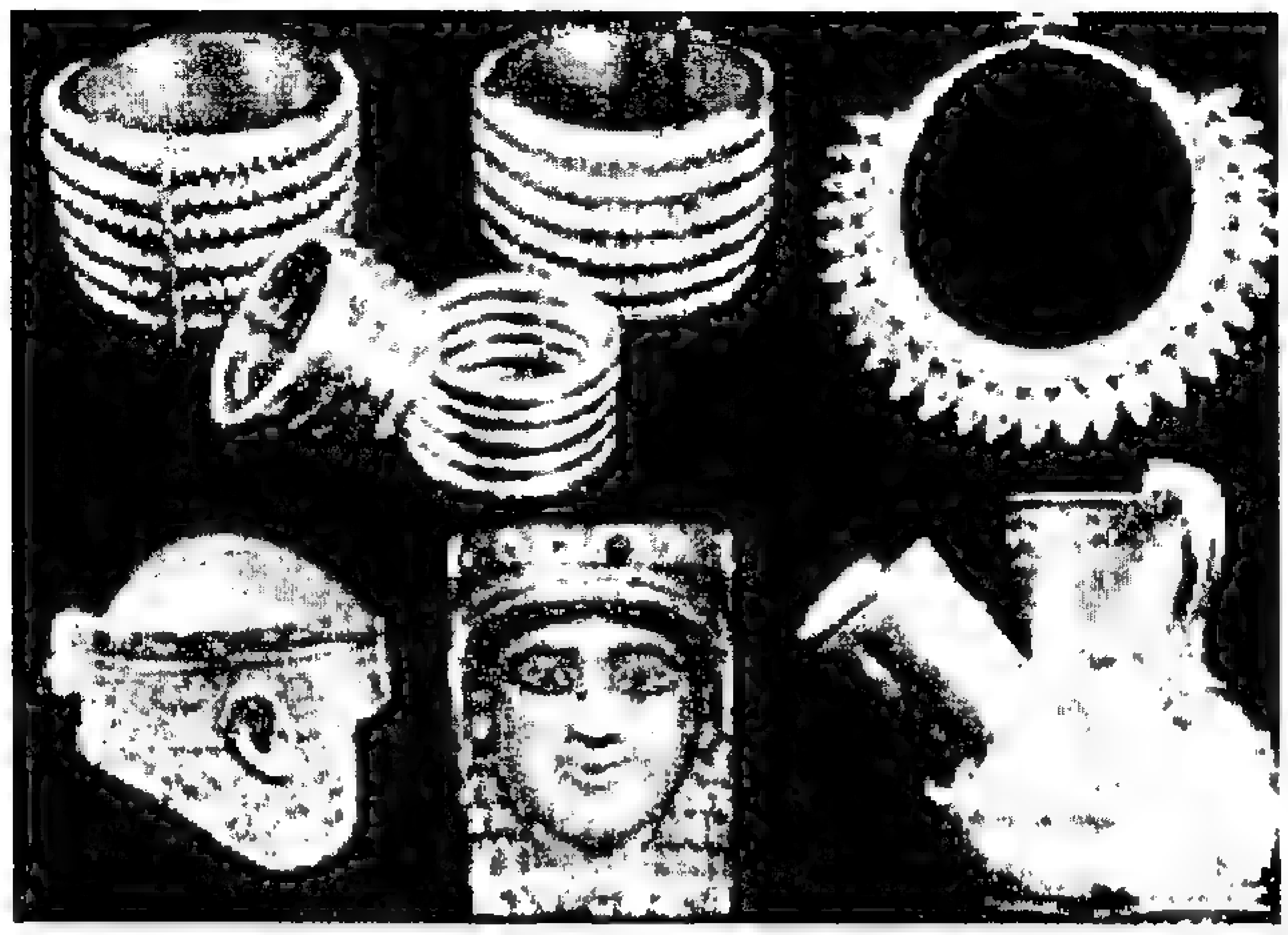
واتخذت نظرية سيتشين أبعاداً وتفرعات علمية ودينية وسياسية عديدة ولها أتباع كثر كان من أبرزهم الكاتب والسياسي البريطاني (دايفيد أيك) ولكنه طورها وأعطاها

---

١ - المصدر السابق.

بعداً سياسيًّا خطيراً. حيث قال إن العرق البابلي أو السومري الفضائي لايزال يحكم العالم من خلال المنظمات السرية العالمية التي أنشأوها مثل التنظيمات الشيوعية والثورية والليبرالية والقومية وغيرها. وأن أعضاء العرق البابلي يتناسلون السلالات الحاكمة. ومن بين أعضائها البارزون في العالم جورج بوش والملكة البريطانية اليزابيث وكيسنجر وهيلاري كلنتون وتوني بلير وويلسن وروكفلر والكثير غيرهم مثل عائلة روتشيلد اليهودية. الأمر الذي أدى إلى اتهامه بأنه معادٍ للسامية.(١)

١- انظر كتاب السر الأكبر - دايفيد أيك (David icke).



من كنوز النمرود الذهبية التي استولت عليها قوات الاحتلال الأمريكي بعد غزوها للعراق ٢٠٠٣م.



كنوز النمرود من الذهب تحت تصرف الاحتلال الأمريكي.



(الأرشيف) اليهودي في العراق تمت سرقته بمعرفة الاحتلال الأمريكي ونقله لإسرائيل.



أمريكا ترفض رد الأرشيف اليهودي إلى العراق.

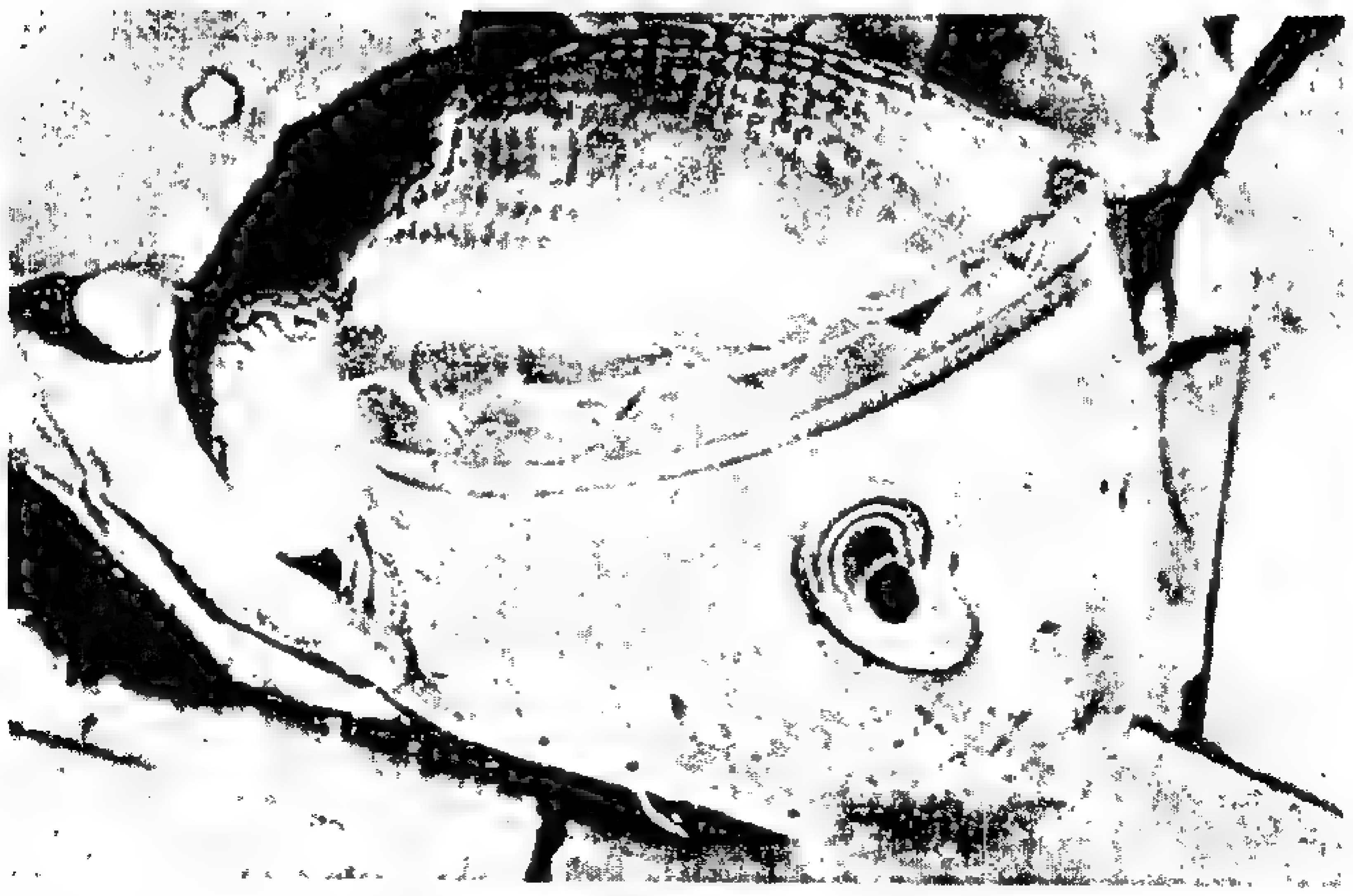




ذهب وكنوز النمرود في أيدي الأمريكان.

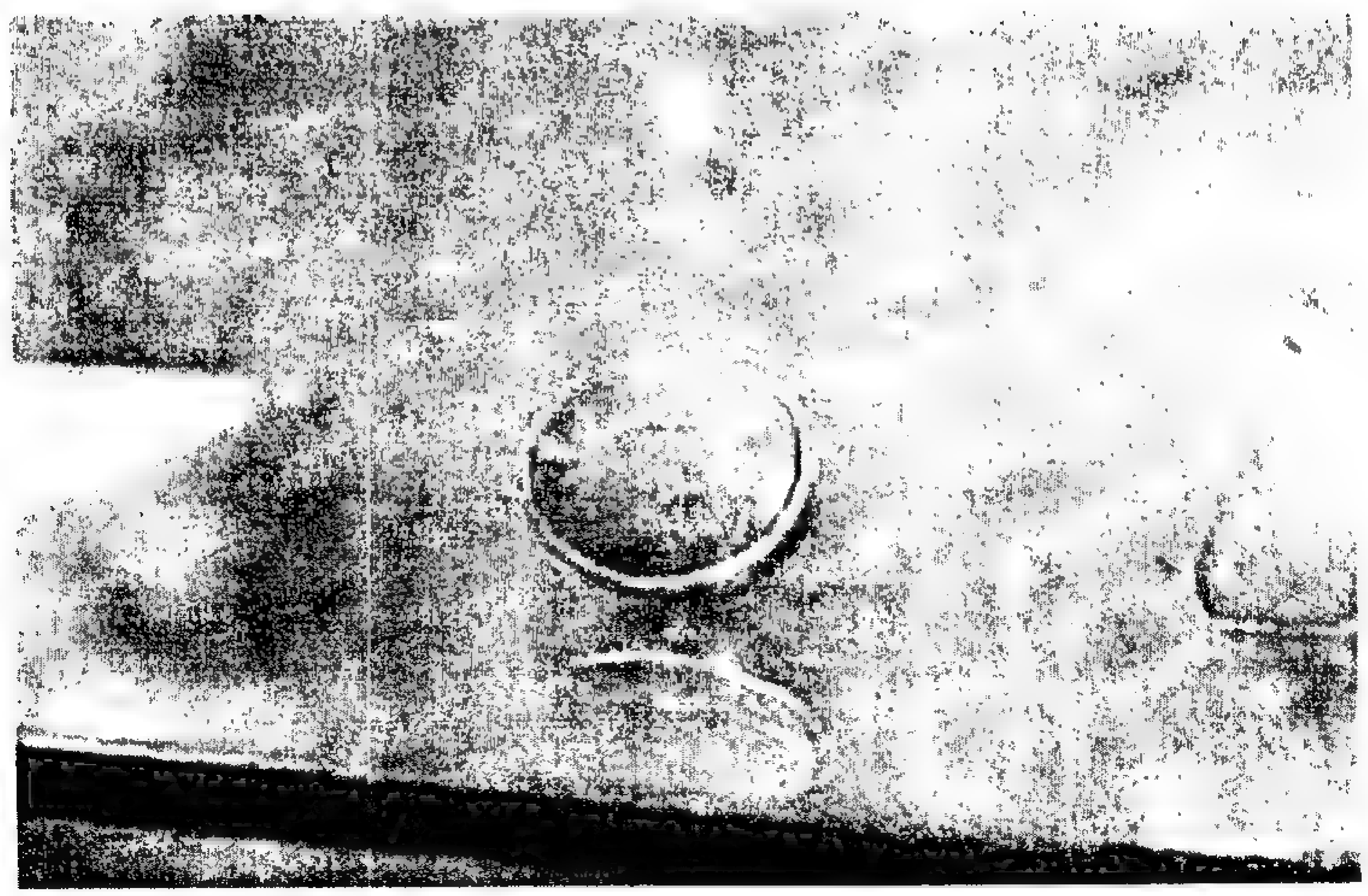


الأمريكان وكنوز النمرود.



كنوز ذهبية من كنوز النمرود.

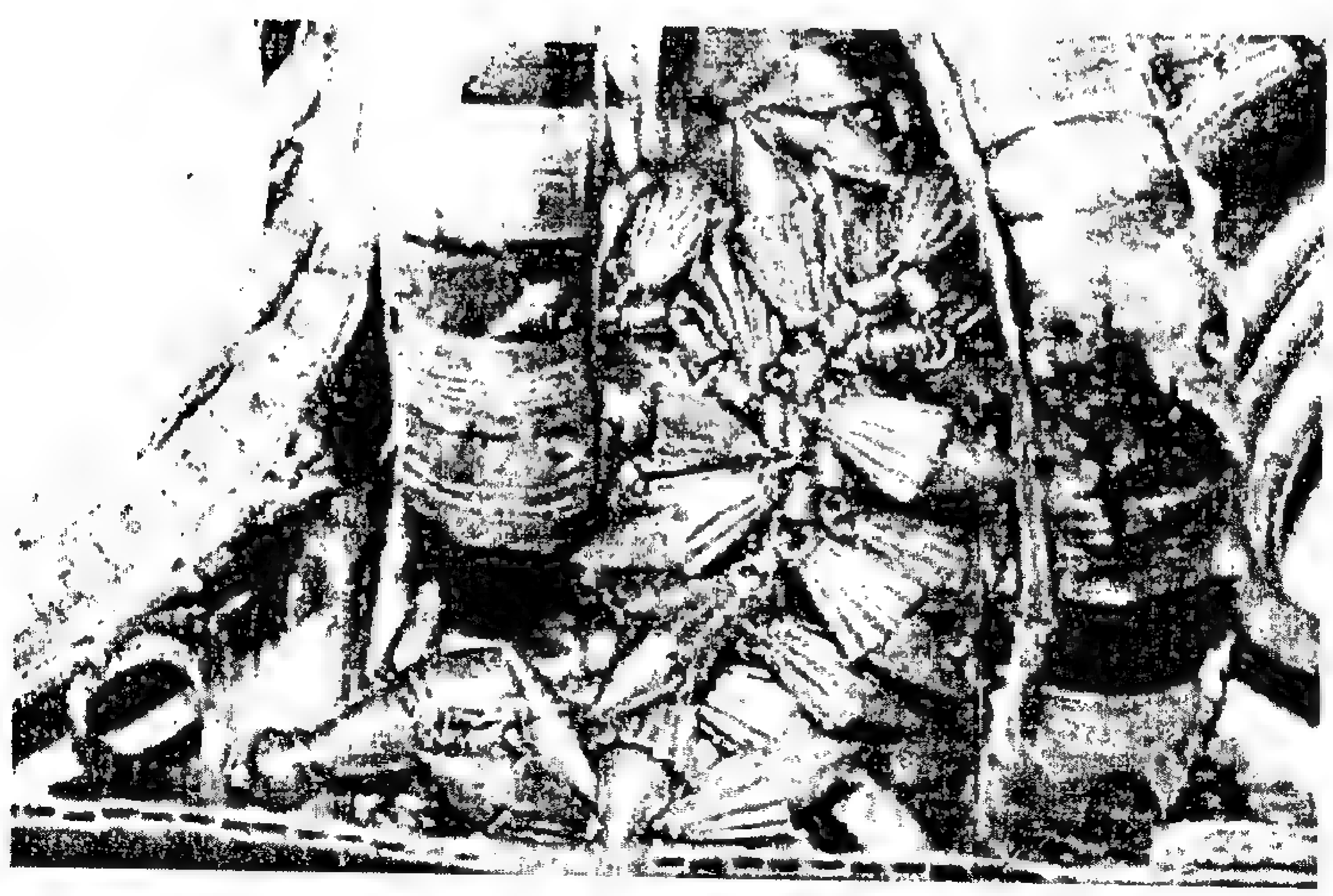




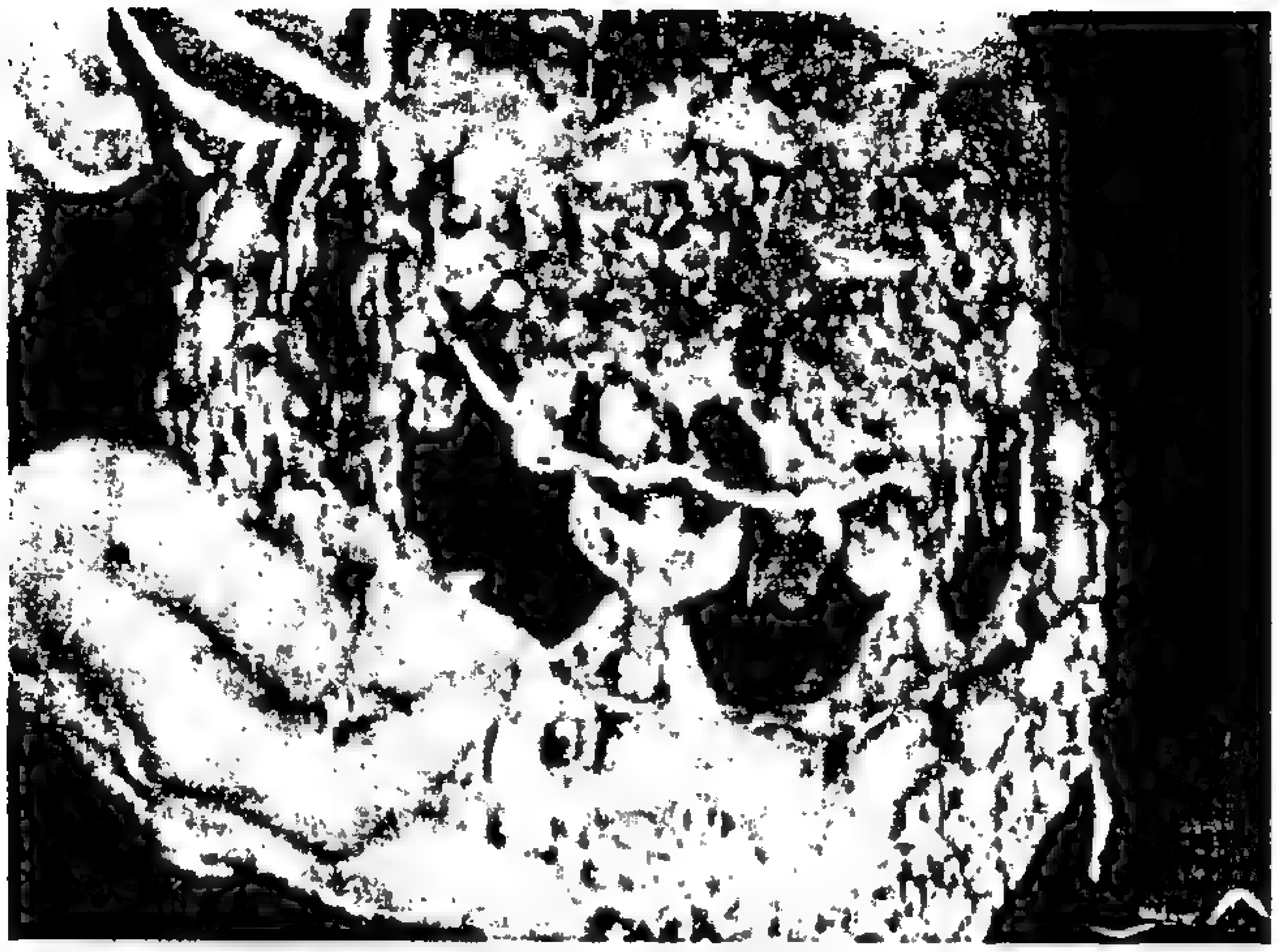
تحف نادرة لكنوز النمرود في العراق.



تحفة من تحف النمرود في المتحف العراقي.



صور من كنوز النمرود التي كانت بالمتحف العراقي إبان الغزو الأمريكي.





كنوز النمرود في العراق.

4

بابل والنمرود والجمعيات السرية

- السومريون وبداية نشاط الجمعيات والأخويات السرية على الأرض.
- النمرود أول من أنشأ النظام العالمي الموحد وحكومة عالمية لحكم العالم.
- النمرود وزوجته سميراميس في أدبيات ورموز الماسونية العالمية.
- النمرود وأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية وشجرة الميلاد.

السومريون وبداية نشاط الجمعيات أول الأخويات السرية على الأرض

المؤامرة على الجنس البشري بدأت حين قتل قابيل أخاه هابيل وكلاهما ابنا آدم عليه السلام من حواء الأم الأولى للبشرية، حينها خرج قابيل من طاعة الله إلى عصيانه وانضم إلى حزب الشيطان الذي سبقه إلى العصيان لله عز وجل، ومن ذرية قابيل ولد المسيح الدجال وذلك قبل نوح عليه السلام وطوفانه وهذا الذي أعتقده.

وقد ذكر البعض من المؤرخين والمفسرين كما ذكرنا أن نوحاً عليه السلام قد تزوج امرأة من نسل ذرية قابيل وأنجب منها ولعل هذه الزيجة قد أنجبت النمرود الذي ادعى الإلوهية وأسس لأول جمعية على النظام الماسوني بعد الطوفان.

فقد ذكر الطبري في تاريخه أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن نوحاً تزوج امرأة من بني قابيل (قابيل بن آدم) فولدت له غلاماً فسماه «بوناظر» ولد بمدينة بالمشرق يقال لها «ملعون شمسا».

ونعود للحديث عن العالم بعد الطوفان.. حيث جاء الطوفان ليهلك قوم نوح الكافرين ومن الثابت تاريخيًّا أن الحضارة السومرية قد سبقت الطوفان وهي سابقة للحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) وغيرها من الحضارات وقد عرف العالم تلك الحضارة حين اكتشف العالم البحاثة «أوستن هنري» الألواح السومرية التي صنعت من الطين قرب مدينة الموصل في العراق عام ١٨٥٠م.

وتحكي هذه الألواح السومرية أن سكان كوكب عملاق أطلق عليه «نبيرو «Nabiru» قد هبطوا على الأرض.[١]

---

١ - اقرأ كتابنا «العراق أرض الفتن والنبوءات» الناشر دار الكتاب العربي.

من أجل إصلاح كوكبهم الذي كان يعاني غلافه الجوي من ثقب لا يعالج إلا الأبخرة الذهبية فهبطوا على أرض العراق.

ولا يزال العلماء يجهلون من أين جاء العرق السومري الذي ظهر فجأة في بلاد ما بين النهرين قبل الطوفان ولم تدم حضارته سوى ألفين من السنين، وكان صاحب حضارة متقدمة وأول شعب عرف اللغة المكتوبة وهي اللغة المسمارية وكانوا أول من بنو القباب والصروح الضخمة (الأبراج) من أور وأوروك ولكش وعرفوا أنظمة الحكم الحديثة.

وفي المتحف الألماني يوجد ختم إسطواني سومري شاهد على تلك الحضارة حيث تظهر ثلاث مخلوقات بشرية، اثنين واقفين والثالث جالس ويبدو كأنه ملك أو كاهن أو إله يقارب طوله لو وقف العشرة الأمتار أي أنه أطول من الآخرين ومختلف عنهم.

كذلك يظهر في طبعة الختم الإسطواني، وبالضبط فوق الرجلين الواقفين، صورة واضحة جدًّا لنظامنا الشمسي، تظهر فيها الشمس في الوسط والكواكب الأخرى حولها وعددها (١١) كوكباً، وهذه حقيقة لم يتوصل لها علماء الغرب إلا قبل ٣٠٠ سنة.

كذلك يظهر كوكب (بلوتو) الذي لم نكتشفه إلا في سنة ١٩٣٠، والذي تم إسقاطه من قائمة الكواكب قبل عدة أشهر بقرار من اتحاد الفلكيين العالمي في براغ، بسبب عدم احتوائه على مواصفات الكوكب.

يظهر في الختم الإسطواني كوكب (نيبرو) الذي ذكره السومريون في ألواحهم، وبصورة دقيقة يقول لنا السومريون بأن هذا الكوكب يقترب من الأرض كل ٣٦٠٠ سنة، وكما نعرف جميعاً فإن هذا الكوكب سيكون قريباً جدًّا من الأرض، حيث يتكهن بعض العلماء بأنه سيصطدم مع الأرض وستكون أكبر كارثة أرضية في التأريخ، أو ربما ستكون نهاية الحياة على الأرض.

ويحدد العلماء زمان نزول الأنوناكي من خلال الألواح السومرية للأرض قبل ٤٥٠,٠٠٠ ألف سنة، ونزلوا في المنطقة بين دجلة والفرات والمعروفة تأريخيًّا باسم أرض شنعار أو (بلاد ما بين النهرين).

منذ ستينيات القرن الماضي تزايدت الادعاءات والإشاعات حول مشاهدة صحون فضائية خصوصاً في أمريكا! وأسست مراكز بحوث ورصدت أموال وأجريت دراسات مختلفة وعقدت مؤتمرات كلها حول موضوع وجود مخلوقات فضائية كانت قد وصلت إلى الأرض في وقت ما.

كما ألفت العديد من قصص الخيال العلمي وجرى صناعة العديد من الأفلام التي تأثرت بشكل واضح بنظرية الأصل الفضائي للسومريين، في وقت متزامن مع اعتقاد روجت له ودعمته الحركة الصهيونية، في الأوساط الغربية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، بأن الحضارة الغربية هي في الواقع امتداد للحضارة السومرية التي اخترعت كل ما يميز الحضارة الغربية الحالية، والتي أسستها المخلوقات الفضائية التي هبطت في العراق وتناسلت مع سكانه وكانت تعرف بحسب الكتابات السومرية بـ(الأنانوكي) وتعني بالسومرية (الذين هبطوا من السماء)، كما أسسوا مستعمرة أخرى في مصر، أسست الحضارة الفرعونية.

ولم يعد (الأنانوكي) إلى كوكبهم بل تنكروا بزي البشر وأسسوا رابطة خاصة بهم تحت اسم (الأخوية البابلية)، التي انبثق عنها عدد من المنظمات السرية والباطنية العديدة التي يشكل اليهود معظم أعضائها، وأن العالم محكوم بهذه المجموعة (البابلية) السرية، حيث يسيطر أعضاؤها على الجمعيات السرية والحكومات والأحزاب. وأن أعضاء هذا (العرق البابلي) يتناسلون السلالات الحاكمة.

وهناك ربط بين نظرية الأصل الفضائي لحضارتي بلاد ما بين النهرين وحضارة وادي النيل حيث إن الاثنين عاش بها بني إسرائيل! وحيث تروج إسرائيل إلى أن بناة الأهرام هم اليهود، كما تدعي ايضاً أن من بنى الجنائن المعلقة في بابل هم اليهود أيضا،الذين جاء بهم نبوخذ نصر إلى بلاد ما بين النهرين في السبي البابلي الأول والسبي البابلي الثاني!

وهذا الربط يشير إلى أن العرق اليهودي هو عرق غير (سامي) أي لا ينتمي إلى نسل سام بن نوح وإنما ينتهي إلى جنس آري جاء من الفضاء الخارجي يسمو فوق البشر ويجب أن يسود من وجة نظرهم وهذا ما يقصدونه من السامية.

النمرود أول من أنشأ النظام العالمي الموحد

وبعد الطوفان اختفى العرق الأنانوكي وظهر الشعب الكلداني كوريث للسومريين على أرض بلاد بابل القديمة، وظهر دولة النمرود الذي ادعى الإلوهية وأسس لنظام الأخوية والنخبة البابلية لحكم العالم وقام ببناء البرج أو الصرح كما ذكرنا، ونادى بحكومة عالمية تحكم العالم تحت زعامته وقد تحقق له ذلك، ويحاول اتباعه إعادة تلك الحكومة العالمية أو النظام العالمي الجديد لحكم العالم تحت زعامة النمرود الجديد القديم الذي تعرفه بالمسيح الدجال.

فقد قام آل روتشيلد وأوبنهايمر وسيسيل رودس والفردميلز وجان سموث وغيرهم من أتباع النمرود الجديد في أواخر القرن التاسع عشر الميلاد يتكوين أخوية تشبه أخوية بابل القديمة عرفت بجمعية الطاولة المستديرة لحكم العالم وإنشاء الحكومة العالمية.

والماسونية تفتخر بأن جذورها تمتد إلى النمرود باعتباره الماسوني الأول على سطح الأرض وأنه ملهم فكرة الماسونية وهو البناء الأكبر الذي قام ببناء برج بابل وهو مخترع فكرة الإله الأب والإله الأم والابن (الثالوث) وتشكل زوجته بالتاريخ القديم والتي تسمى سميراميس بإله الخصوبة.

وهو الذي أثر فكريًا في حضارة الفراعنة وادعاء الفراعنة بالإلوهية ونمرود والفراعنة من التمرد والعلو والتكبر على الخالق عز وجل.

وكان نمرود يحب العلوم وقام على تشجيع العلماء في خدمة عرشه المزعوم كما أنه اهتم بالفلك وبدوران المجموعة الشمسية واهتم بالشمس وبالزهرة ونقلت هذه العلوم إلى مصر وأسست عليها حضارة المصريين القدماء أي أنها امتداد لحضارة بابل القديمة

حيث كان نمرود يحكم كل البلاد في عصره أو أنها خاضعة لسلطانه، وتظهر آثاره في كل من مصر وسوريا والعراق عليها اسم الملك نمرود.

ويرغب الآن الماسونيون ونخبة العالم بالرجوع إلى دولة واحدة ومدينة واحدة وحاكم واحد ولغة واحدة وإظهار قوة الحاكم والفرد، وهذه اللغة هي اللغة الإنجليزية ويساعد الإنترنت في جعل العالم قرية صغيرة، يستغلها أتباع المسيح الدجال لأمور كثيرة منها التجسس على الشعوب المستخدمة للإنترنت ومخاطبتهم ونشر أكاذيبهم.

ويرغب الماسونيون في العودة إلى بابل وتأسيس دولة كبيرة واحدة ونظام واحد تحت حكم حاكم واحد يدعي الإلوهية وقدرته الخارقة، ويوجد تخطيط للماسونية والجماعات السرية خلال الأعوام القادمة لإعادة بناء مجمع وبرج يمثل الرمز الفكري لبرج بابل القديم، إنها المؤامرة الكبرى على العالم المعاصر، سوف تنتهي كما انتهت المؤامرة السابقة القديمة بطوفان مثل طوفان نوح في معناه الرمزي يهلك الله به الكافرين.

فالماسون اليوم يستدعون أفكار أجدادهم البابليين ويتفاخرون بحقيقة أن أول ماسوني كان «تيوبال -كين» والذي كان الحفيد السابع من آدم عليه السلام من طرف قابيل، وهو الرجل الأول الذي ابتكر صناعة المعادن، وهم يعتبرونه أول ماسوني أو مؤسس الفكر الماسوني ويعتبرون النمرود أول ماسوني بعد الطوفان وأنه قام ببناء برج بابل ليكون هيكلاً لعبادة الإله، ذلك كان النمرود، وهو الشخص الأول الذي أراد إنشاء حكومة عالمية واحدة وكان يريد إنشاء منظمة مثل (الأمم المتحدة)، كان لديه تلك الأفكار لحكومة عالمية موحدة فادعى الإلوهية وأفشل الله مخططاته وانهارت الحضارة البابلية وتفرق الناس في العالم، مما أدى إلى انتهاء خطة الحكومة العالمية، ولكن ظلت النية موجودة على مدى مئات السنين تحت العديد من المسميات، وبدأت في الظهور في العصر الحديث وبدعوى أن الماسونيين يقولون: إن الماسونية هي الامتداد المباشر للأديان القديمة السرية، من الطقوس التاريخية القديمة، وأن العالم لا يصلح له إلا نظام عالمي موحد وحكومة موحدة ودين موحد ويدعون لحكم نمرود جديد هو الدجال.

حتى إن جورج بوش الأب الرئيس السابق لأمريكا كان يقول:

«أمامنا فرصة يجب استغلالها من أجلنا ومن أجل أجيال المستقبل، نظام عالمي جديد، نظام يخضع للقوانين وليس لقانون الغاب، حكومة عالمية لتقود الأمم، عندما نستطيع ذلك وسوف نستطيع ذلك، لدينا فرصة حقيقية لإقامة هذا النظام العالمي الجديد».

ولهذا فإننا نجد رموز وعلامات المتنورين الماسونيين موجودة في كل أنحاء أمريكا، على ظهر ورقة الدولار على اليسار فوق الهرم مكتوب مشروعنا الآن نجح أو مشروعنا توج بالنجاح، فما هو هذا المشروع؟، وأسفل الهرم عبارة «نظام عالمي جديد».

فالنظام العالمي الجديد هو هذا المشروع الذي يسعى هؤلاء إلى تحقيقه منذ القدم وليس مشروعاً حديثاً كما يظن الكثيرون فالمؤامرة قديمة قدم الإنسان.

فالنظام العالمي الجديد الذي تدعو إليه الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها في القرن الثامن عشر الميلادي ليس مشروعاً جديداً فقد تحقق هذا المشروع زمن النمرود وزمن نبوخذنصر على أرض بابل وتحقق أيضاً زمن سيدنا سليمان عليه السلام وزمن ذي القرنين، وهو نظام قائم على السيطرة على دول العالم والتحكم فيها بواسطة حكومة موحدة وزعيم أو ملك أو رئيس واحد، لكن الأمر الأهم هو توحيد الأديان، والدعوة لعبادة الشيطان التي يدعو إليها أتباع النمرود والدجال، فكل من النمرود ونبوخذنصر كانا كافرين دعوا لعبادة غير عبادة الله وأما سليمان وذو القرنين فقد دعيا إلى عبادة الله عز وجل ويبقى رجل خامس يملك الأرض آخر الزمان وهو المهدي من ذرية النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم يكون ظهوره قبل خروج الدجال الذي يدعوا أنصاره إليه بوصفه زعيماً وملكاً للنظام العالمي الجديد الذي تدعو إليه أمريكا وأعوانها من الماسون.

والنظام العالمي الجديد أو الموحد قد ظهر قديماً بعد الطوفان، والطوفان بمعناه العام هو نهاية نظام حاكم ودمار للأرض ومن عليها، وبمعناه الخاص يقصد به طوفان نوح العظيم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم، وهناك من يرى أن الطوفان تكرر على الأرض،

فهو مذكور في أدبيات الأمم السابقة مثل طوفان «فينوس» الذي أغرق الأرض وهرب الناس منه إلى أعالي الجبال وإلى باطن الأرض ثم خرجوا بعده.

وقد ذكرت الألواح السومرية طوفاناً دمر الحضارة السومرية بعد صراع بين الأنوناكيين الذين جاءوا من الفضاء وبين الجنس المهجن الذي تم انتاجه على الأرض وهذا حسب الألواح السومرية.

ويرى البعض أن طوفان نوح عليه السلام قد عمَّ الأرض وأغرق وأهلك كل من عليها إلا من ركب السفينة التي صنعها نوح عليه السلام بأمر ربه، وأن الذرية الباقية من بعد نوح جاءت من نسله من أولاده الثلاثة سام وحام ويافث لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

ولكن هناك من يرى أن طوفان (نوح) لم يعمَّ الأرض وإنما كان خاصًّا بقوم نوح عليه السلام ولهم في ذلك أدلتهم وقد ذكرنا ذلك في كتابنا «طوفان نوح عليه السلام»[١]

وأهم تلك الأدلة أن الله لم يرسل نوحاً إلى الناس كافة وإنما أرسله إلى قومه كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١][٢]، وأن النبي الوحيد الذي أرسل إلى الكافة هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما عن استمرار ذرية بني البشر من نسل نوح عليه السلام فهناك من يرى أن نسل آدم استمر في غير ذرية نوح عليه السلام ممن كانوا على السفينة لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وكما ذكرنا فإن مدينة بابل القديمة ومملكتها ظهرت بعد الطوفان ويذكر ديفيد إيكه في كتابه السر الأكبر أن المدارس والأخويات السرية أسست فيها وكانت بابل معهد المعتقدات الدينية التي وضعت منذ ٦٠٠٠ سنة للسيطرة على العالم والتحكم فيه من قبل الشيطان الأكبر وأعوانه.

١- اقرأ كتابنا «طوفان نوح العظيم» الناشر دار الكتاب العربي.
٢- المرجع السابق.

لقد بسط النمرود الأول سلطانه على بلاد ما بين النهرين وما حولها وبنى المعابد والهياكل لعبادته في بابل وفي بعلبك في لبنان وشمل ملكه بلاد آشور ومصر حيث ذكر أن فروعنا كان أخاه ويحكم باسمه.

وقد عرفت تلك الجمعيات السرية التي أنشأها النمرود على أرض مملكته بالأخوية البابلية التي هي أساس الماسونية العالمية الآن، وكان كل من نمرود وزوجته سميراميس أهم الرموز في تلك الأخوية البابلية حيث يرمز للنمرود بالسمكة وزوجته سميراميس بالحمامة.

جاء في كتاب (إمبراطور كل الأرض)، أو خفايا النظام العالمي الجديد.. للكاتب الأمريكي ف.ي كرلوف. أن اللاعبين الأساسيين في السياسة العالمية الآن هي أربعة: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، واليابان والصين بعد خروج الاتحاد السوفيتي من اللعبة، بعد استقطاع أقاليم منها فقد بقيت تتفرج على اللاعبين بحذر وعلى رقعة الشطرنج أحجار ثانوية قد تحرك بعضها روسيا وهي البيادق الصغيرة فالعوامل الحاسمة في اللعبة أولا تأتي بالقدرات الاقتصادية والعلمية والعسكرية.

وأن السر في الصراع العالمي يكمن من السيطرة في الاحتياطات النفطية المكتشفة في العالم والتي لا تتجاوز ١٤٢ مليار طن منها ٩٢,٥ مليار طن وتشكل ٦٥٪ تكمن في دول الشرق الاوسط. أي منطقة الصراع هي بلاد بابل ومملكة النمرود القديمة.

وكما أن الأنانوكيين جاءوا من الفضاء الخارجي لأرض بابل من أجل النفط والذهب جاءت أيضاً أمريكا لنفس السبب.

الولايات المتحدة تنتج من أراضيها نصف احتياجها من النفط المقدر ٤٥٠ مليون طن من النفط سنويا أي ما يعادل ٦,٥ ملايين برميل يوميا، بينما تستورد النصف المتبقي من احتياجها من النفط أي ١٢,١٣٪ من استهلاكها بواقع ١٠٠ مليون طن سنويا من دول الخليج العربية – وتستورد ٣٨٪ من احتياجاتها من دول أمريكا اللاتينية ضمنها

المكسيك ١٩٪ وفنزويلا ١٥٪ ومن كندا ١٦٪ ومن السعودية ١٦٪ ومن العراق ٧٪ ومن الكويت ٣٪ ومن أفريقيا ٥٪ ومن بريطانيا ٣,٥٪.

ومن أجل ذلك الذهب والبترول تحاول الولايات المتحدة الأمريكية إحياء إمبراطورية «النمرود» تحت مسمى جديد وهو النظام العالمي الجديد.

لقد حاول المسيح الدجال تجسيد فكرة النظام العالمي الجديد من خلال إنشاء اتحاداتٍ عالمية من أشهرها «عصبة الأمم» التي تُعَد سلفاً لمنظمة الأمم المتحدة. وقد أشار الرئيس الأمريكي الأسبق «جورج بوش الأب» إلى ارتباط مَهامِّ الأمم المتحدة بالنظام العالمي الجديد عندما عرَّف «النظام العالمي الجديد» بأنه «نظام تلعب فيه أممٌ متحدة» موثوق بها دورَ حفظ السلام وفاءً بوعد ورؤية مؤسسي الأمم المتحدة».

فالنظام العالمي الجديد إذن هو «أممٌ متحدةٌ» لها حق التدخل عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا في سيادة أي دولة لا تنصاع لهذا النظام الصليبي. وقد أشار إلى هذا الدور الاستبدادي «ستانفيلد تيرنر» عضو «مجلس العلاقات الخارجية» ومدير الـ CIA الأسبق عندما علَّق على أزمة العراق قائلاً: «هنا أحد الأمثلة؛ ألا وهو الوضع القائم بين الأمم المتحدة والعراق؛ حيث تتدخل الأمم المتحدة عامدة في سيادة دولة مستقلة... هذه سابقة رائعة ينبغي أن توظَّف في كل الدول». وها هو النظام العالمي الجديد يوظفها فعلاً في العديد من دول العالم، وسيظل يوظفها مع الأمم حتى يتم القضاء على كل قوة يمكن أن تقف في وجهه.

ومن أهم أهداف النظام العالمي الجديد جعل السلاح العسكري في حوزة الولايات المتحدة وتدمير القدرات العسكرية للأمم ونزع السلاح بحجة منع الفوضى ونشر السلام. وقد أصدرت وزارة الداخلية الأمريكية عام ١٩٦١م خطة بعنوان «التحرر من الحرب: برنامج الولايات المتحدة لنزعٍ شاملٍ وكاملٍ للسلاح في عالم مُسالم» تطرَّقَت فيها إلى ثلاث مراحل لنزع السلاح من الأمم، وتسليحِ الأمم المتحدة في المرحلة

الأخيرة؛ عندها «لن تمتلك أيُّ دولةٍ القوة العسكرية لمواجهة قوة السلام التابعة للأمم المتحدة التي ستتزايد قوَّتها تدريجيًّا».

لكن أمراً بالغ الأهمية ينبغي أن يشار إليه هنا وهو أن «النظام العالمي الجديد» أو «الأمم المتحدة» أو «الحكومة العالمية» تخطط لجعل القدس عاصمة لها تحت ستار حل القضية الفلسطينية. وهذا ليس سرًّا، بل هو حلم مؤسسي «عصبة الأمم» السابقة للأمم المتحدة. تقول الكاتبة «إيديث ميلر» في كتابها «الثيوقراطية الباطنية» الذي نُشر بعد وفاتها عام ١٩٣٣م: «إننا على علم بأن اللورد روبرت سيسيل» (رئيس اتحاد عصبة الأمم) قد تنبأ في خطاباته التي ألقاها في الولايات المتحدة داعماً عصبة الأمم بأنها في نهاية أمرها ستجعل من القدس مقرًّا رئيساً لها».

قد يظن البعض أن الهدف الأسمى للمخططات الماسونية هو الاستيلاء على أرض فلسطين والقدس من أجل تتويج ملكهم الدجال وإعادة ملك النمرود ولكن الحقيقة هي أن الهدف الأسمى هو حكم العالم وإعادة بناء مدينة بابل القديمة لحكم العالم فالهدف هو بابل وليس القدس.

وأملُ العودة إلى «الهيكل» لا يزال يدغدغ مشاعر الماسون الذي يخدمون المسيح الدجال الساعي إلى استعادة ملكه وإعادة بناء الهيكل على أرض بابل ولا مانع من إقامته على أرض فلسطين وأرض أخرى في المملكة الموحدة.

وقد أعرب بريجنيسكي حين عرض خطة سلام في مقال له لصحيفة واشنطن بوست يقترح فيه حلًّا للقضية الفلسطينية يتلخص في دولتين تَقتسِمان القدس بينما توضع «البلدة القديمة» التي تضم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة تحت وصاية الأمم المتحدة.

وقد قام أوباما بزيارة القدس والمنطقة وعرض هذا الحل الذي هو خدعة في حقيقة الأمر.

وليس غريباً أن نسمع مثل هذه الأطروحات من رجل صرَّح بأنه بمثابة عضوٍ شرفٍ في التنظيم اليسوعي الصليبي؛ لكن الغريب هو أن تكون هذه المبادرة المقترحة هي عين

ما دعا إليه «أحمد قريع» أمام البرلمان الأوروبي في «ستراسبورغ» بقوله: «ما لم نتوصل إلى اتفاق حول القدس، فإني أعلن أن القدس بشِقَّيها الشرقي والغربي ينبغي أن تكون قدساً دولية موحدة... فلا تكون عاصمةً لإسرائيل أو فلسطين فحسب، بل عاصمةً للعالم أجمع».

إن محاولات أتباع الدجال شغل الرأي العام العالمي نحو تدويل القدس أو جعلها عاصمة للكيان الصهيوني إنما هي محاولات لجذب هذا الرأي العام نحو الهدف الأسمى وهو استكمال المشروع الأمريكي الدجالي من احتلال العراق ومحاولاتهم إحياء مملكة النمرود الموحدة والتي تضم بلاد العراق والشرق الأوسط كله.

إن هذه الخطة التي طرحها «بريجينسكي» ليست وليدة الساعة، بل هي مبنية على «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١» عام ١٩٧٤م. لكن الجديد هذه المرة هو لغة الاستعلاء في التعامل مع من يرفضها من الطرفين. يقول «بريجينسكي» في مقاله: «ينبغي على إدارة أوباما - إذا ما رفض الإسرائيليون أو الفلسطينيون الموافقة على الصيغة الأساسية [للخطة] كنقطة انطلاق للمفاوضات - أن تكون مستعدة للاستمرار في مبادرتها بوسائل مختلفة... وبناءً عليه فإن على الإدارة [الأمريكية] أن تُبلغ الطرفين أنه إن رُفِض العرض من أحدهما أو كليهما فإن الولايات المتحدة ستطلب تأييد مجلس الأمن لخطة السلام هذه، وهي خطوة كفيلة بأن تولِّد ضغطاً عالميًّا على الطرف المتمرد».

وهذا يعني بأسلوب أكثر تبسيطاً أن على الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) أن يقبلا سيادة الأمم المتحدة أو «النظام العالمي الجديد» على البقاع المقدسة في القدس طوعاً أو كرهاً فليس ثمة خيار آخر إلا الخيار العسكري بإشراف «مجلس الأمن».

وبعد فرض الوصاية وتدويل القدس «يقوم مجلس الوصاية [التابع للأمم المتحدة] بتعيين حاكم للقدس يكون مسؤولاً أمامه، ويكون هذا الاختيار على أساس كفايته

الخاصة دون مراعاة لجنسيته» كما ينص «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١».

وبعد الانتهاء من قضية القدس يكون الهدف التالي هو بابل واستعادة بناء برجها القديم وحكم العالم من خلاله بعد بناء الهيكل البابلي.

النمرود وزوجته سميراميس

في أدبيات الماسونية

يرى الكاتب دايفيد إيكه أن النمرود وزوجته سميراميس من السلالة المهجنة أي ثمرة الزواج بين البشر والزواحف القادمين من الفضاء الخارجي (الأنوناكي) وكان يطلق عليهم الجبابرة ذوو البشرية البيضاء.[1] وهؤلاء كانوا يألهون أنفسهم ويدعون بني البشر لعبادتهم وقد اتخذت الجمعيات السرية (الأخوية البابلية) التي هي أساس الماسونية العالمية الحالية كلًّا من النمرود وزوجته سميراميس إلهين تحت أسماء مختلفة فكان يرمز للنمرود بالسمكة وزوجته بالحمامة.

وقد ذكر قصة النمرود مع إبراهيم عليه السلام وجداله ومناظرته له حين ادعى الألوهية قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

وكان النمرود قد أخذ شكل أورسز السمكة على الشكل نصف إنسان أو نصف سمكة عند أصحاب الأخوية البابلية ثم الأخويات السرية ويرمز ذلك إلى كدونه هجينا نصف آدمي ونصف زواحف وكذلك سميراميس التي أخذت رمز السمكة التي تثير عند البابلين وفقاً لمعتقداتهم الشهوات الجنسية فأصبحت رمزاً لإلهة الحب وأضيف لها رمز الحمامة بصفتها الروح القدس لديهم، فظهرت سميراميس على صورة حمامة تحمل غصن زيتون، بالإضافة إلى أن اسم سميراميس يعني حامل الغصن.

---

١ - انظر السر الأكبر - دايفيد إيكه.

ولا عجب أن نجد نقش الحمامة على صولجانات الملوك في بريطانيا، لأن ملوكهم من أتباع الأخوية البابلية القديمة.

وقد عرفت «سميراميس» عندهم بملكة السموات أو «ريا» «Rhea» أم الإلهة العذراء لدى البابليين القدماء وعند الماسونية الحالية والماسونية الكنعانية وكذلك عبدت سميراميس باسم عشتروت صاحبة الأبراج نسبة إلى برج بابل الذي شيده النمرود في بابل.

ويرى دايفيد إيكه أن فكرة صلب المسيح ودفنه وقيامته بعد ثلاثة أيام مأخوذة من المعتقدات الدينية البابلية التي تقول إن «فينوس» الذي عرف باسم «تموز» قد صلب ودفن من كهف وبعد ثلاثة أيام من دفنه تدحرجت الصخرة التي وضعت على باب الكهف، إلا أن جثته قد اختفت.

وكذلك عندهم إن النمرود قد حمل لقب «بعل» أي السيد، وهذا اللقب موجود عندنا في الأدبيات الشعبية حيث يطلق على الزوج لقب «البعل»، وكذلك يطلق على سميراميس لقب «بعلتي» أي سيدتي وتترجم بالإيطالية باسم «مادونا» وباللاتينية «بميا دوميا»، ويقال إن النمرود لعب دور الإله الأب «ونيتوس» ابن سميراميس في آن واحد معاً وأن غصن الزيتون يرمز إلى ذرية سميراميس.

وخلال الاحتفال بذكرى وفاة «فينوس» أو «تموز» وقيامته بعد ثلاثة أيام يتم صناعة الكعك المحلي المنقوش عليه الصلبان الشمسية وقد اعتاد البريطانيون على فعل ذلك في عيد الفصح وهو العيد المستمد من المعتقدات البابلية، وقد أدخل الفاطميون هذه العادة في مصر فترة حكمهم وأصبح عمل الكعك المحلي من طقوس عيد الفطر في مصر وفي الأفراح أيضاً وكلها عادات قديمة لا علاقة لها بالإسلام.

وقد استدل ديفيد إيكه بذلك كله على أن الكنيسة والأخوية البابلية كيان واحد، ويقول أيضاً: يرمز النسر الماسوني ذو الرأسين الذي ينظر أحدهما صوب اليسار والآخر صوب اليمين أوشرقاً وغرباً إلى النمرود في دور «إنانوس».

وتعتبر التضحية بالبشر من أهم ركائز العقيدة البابلية أو الأخوية البابلية والتي أخذها عنهم اليهود ويمارسونها حتى الآن من أجل طقوس دينية نص عليها التلمود اليهودي وهي طقوس خاصة بديانة المسيح الدجال ويقوم بها أتباعه في كل دول العالم من أدائها سواء علموا بذلك أم لم يعلموا، ويتم ذلك عن طريق سلطات القهر في الدول المتخلفة في العالم الثالث بحجة القضاء على الإرهاب أو فض الاعتصامات بطريقة دموية.

والتضحية بالبشر من أجل الطقوس الدينية في الأخويات البابلية كان أمراً عاديًا وهو من الضروريات حيث يطلب الكهنة أن يأكلوا من هذا اللحم والشرب من دمه وصنع الفطائر منه للأتباع وقد ورثت جماعة الدريو في بريطانيا طقوس إحراق الأطفال في بطن تمثال على شكل رجل ضخم من الأخوية البابلية.

ومما ذكره إيكه أن الكنيسة الرومانية تحتفل بعيد القديس يوحنا وهو يوافق الاحتفال بعيد «تموز» البابلي بعد قيامته والذي عرف باسم «أوان» الإله السمكة «OANNES» الذي يعتبر وجهاً آخر «ليوحنا».

والأخوية البابلية متورطة في الطقوس الخاصة بعبادة الشيطان التي تمارسها جمعات عبادة الشيطان في دول العالم المختلفة ومنها طقوس ذبح الأطفال وإشعال النار والرقص حولها.

إن علاقة الماسونية بالأديان، في حقيقة الأمر، هي علاقة تنافر، من ينتسب للماسونية يبقى على دينه الأم ولكن يتشدد بهذا الدين حتى الموت، لكن ما خفي كان أعظم، يقولون إن الله ثالث ثلاثة وأن الهيكل المزعوم هو هيكل النمرود وأن الولاء فقط لله وليس لأحد غيره، كما يمارسون السحر الأسود ويقضون وقتهم بالخزعبلات.

الماسونية بمعنى آخر تنسب إلى الاستيطان، وبالفعل هم أتباع بني صهيون، فهم يرددون علاقتهم بالهيكل المزعوم وأن نبي الله موسى هو وريثه. هذه محض أكاذيب للتضليل والتعتيم إذ إنهم لا يستخرجون الهيكل بل يبنونه للإله المزعوم وهو بمعنى آخر الأعور الدجال (النمرود).

أما عن مصدر التمويل فإنهم هم من يتحكمون في أمور المال والثقافة والسياسة في العالم في شتى المناحي.

وأما عن جيشهم وجناحهم العسكري فهم فرسان الهيكل فرسان الملك وعصابات المافيا فرسان الهيكل.

والسرية الكبيرة التي يتمتع بها أتباع هذه المنظمة هى السر وراء نجاحها في جذب العديد من الشخصيات المهمة، إذ يقوم من يريد الانتساب إلى هذه المنظمة بطقوس غريبة تصل لدرجة الإلحاد، ولكن الأهم من ذلك هو قسم اليمين الذي يحرم على المنتسب أن يترك الجماعة، ومن يخرج عن المنظمة يكون مصيره القتل.

ما يحدث من تغيرات على صعيد العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ليس إلا جزءا لا يتجزأ من عمل إجرامي وغير أخلاقي بثته هذه المنظمة كالسم في جسد العالم لاستغفاله وتحقيق أهدافهم المسمومة بطرق ملتوية، خيوطها متشابكة ولكن الذي لفت انتباه العالم إلى خطورتها هي عملية القتل الشهيرة سنة اثنتين وثمانين لرئيس أحد أكبر البنوك في ايطاليا شنقا بطريقة مشابهة لما يوجد في عقيدة وكتاب الماسونية وصنفت الحادثة على انها انتحار!!

ومن رموزهم الهامة وما يعرف بنجمة داود وهي لا صلة لها بنبي الله داود عليه السلام.

فالنجمة السداسية تعتبر من أهم وأقوى الرموز في علوم السحر والشعوذة، وكانت الديانات الوثنية القديمة تقدس الارتباط بين الذكر والانثى، وكانت تربط الجنس ببعض طقوسها الدينية، خاصة طقوس عبادة نمرود وسميراميس، أو عشتار وبعل، أو افروديت فينوس وباخوس. وما زالت هذه الممارسات مستمرة حتى الآن في الديانات الوثنية الحديثة وعبادة الشيطان في كل طقوسها.

وكان رمز الذكر القديم يمثل بشكل مثلث رأسه للأعلى كرمز للعضو الذكري، ورمز الأنثى كان بشكل مثلث متجه للأسفل، وباجتماع الرمزين أي باتحاد الذكر والانثى ينتج، النجمة السداسية.

وكانت النجمة السداسية ترمز للآلهة «مولوك»، و«رمفان»، و«زحل» الذي كان يرمز له بالنجمة السداسية، وكان الإله الأكبر عند الكلدانيين.

أيضاً رمز النجمة السداسية كان مستخدما من قبل المشعوذين، ولا يزال حتى الآن يستخدم في السحر والعلوم الشيطانية لاستدعاء الجان والأرواح الشريرة.

وأخوية فرسان الهيكل الذين ينتمون إلى الأخوية البابلية والماسونية العالمية وهي جمعية تأسست من تسعة أفراد في بدايات القرن الحادي عشر الميلادي لحماية أخوية صهيون (Sion) هذه الأخوية (فرسان الهيكل) قد اتخذت شعارها الصليب الأحمر على خلفية بيضاء وهو صليب النار أو رمز الشمس لدى الفينيقيين وهو شعار سلالات النخبة الذي يعود إلى أخوية بابل التي شعارها الشمس أو بمعنى أدق عبادة الشمس التي هي النمرود وزوجته سميراميس.

وسميراميس ترمز أيضاً في أدبيات الماسونية القديمة والحديثة إلى القمر أو الطاقة الأنثوية بأشكالها المختلفة وإلى الأم التي أنجبت بلا زوج.

ويقع محفل الأم العظمى سميراميس وايزيس في لندن في شارع (Great Queen) «المملكة العظمى».[1]

وكلمة صهيون تعني الشمس باللغة السنسكرتية (Siona) وجماعة فرسان الهيكل هم جنود الدجال وجيشه المعتمد الآن في حروبه على الإرهاب العدو الافتراضي أو كلمة السر التي يقصد بها الإسلام في العصر الحديث ولهم دولة مستقلة ليس لها أرض أو شعب مقرها الفاتيكان ولها سفارات في دول عديدة منها مصر[2] وتعرف «بدولة فرسان مالطا» وقد اشتركوا في الحروب الأمريكية على الإرهاب في دول متعددة مثل أفغانستان والعراق والصومال تحت اسم شركة بلاك ووتر وغيرها.

ومن شعارات الفرسان والأخويات الماسونية راية بيضاء وسوداء على شكل مربعات

١- السر الأكبر - ديفيد أيكه.

٢- اقرأ كتابنا دولة فرسان مالطا وغزو العراق - الناشر دار الكتاب العربي القاهرة - دمشق.

ترمز للظلام والنور وكذلك من شعاراتهم العظام والجمجمة وكذلك برج المراقبة الذي يرمز إلى برج بابل ومنه أيضاً الشكل الهرمي.

والمربعات البيضاء والسوداء ترمز إلى قوة الشرطة الماسونية التي هي لباس وشعار الشرطة في بريطانيا وأمريكا ودول أخرى وهذا دليل على خضوعهم للماسونية والدجال وفرسن الهيكل.

وكذلك شعار الجمجمة والعظام ترمز إلى الطقوس السحرية الخاصة بالسحر الأسود الذي يعتمد على التضحية بالبشر في طقوسه وتجد هذا الشعار على بازيليك القديس بطرس ومفاتيحه المتصالبة في الفاتيكان، وهناك جمعية وأخوية باسم الجمجمة والعظام في أمريكا تضم النخبة من أخوية بابل على مقربة من جامعة «يال» في نيوهامن في كونكيتكوت بالولايات المتحدة الأمريكية وقد خرجت أكثر من رئيس للولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً منهم جورج بوش الأب والابن.

وأما شعار برج بابل أو برج المراقبة فهو شعار أخوية شهود يهوه الأمريكية الأصل والتي خدعت الكثيرين بأنها جمعية مسيحية، ولا فرق بين البرج والهرم في الرمز عند الماسون.

ورمز الشمس أيضاً من أهم الرموز عند قدماء المصريين (الفراعنة) وهو عندهم رمز الإله الذي أراد الفرعون أخناتون توحيد عبادة الإله بفرض عباد آتون إله الشمس على المصريين بدلاً من آمون وانتهى به الأمر للقتل منتحراً.

والأخوية البابلية القديمة هي أول من عرفت عقيدة التثليث حيث استخدمت زهرة الزئبق كرمز للثالوث البابلي: نمرود والملكة سميراميس وتموز.

وقد اعتقدت السلالات الملكية في أوربا أنها من سلالات مملكة بابل الآرية واستوحت تيجانها من الخوذة ذات القرون التي كان يضعها النمرود على رأسه ثم أصبحت فيما بعد عبارة عن عصبة معدنية لها ثلاثة قرون ترمز إلى النفوذ الملكي والسلطة الإلهية على شكل زهرة الزئبق.

والقرنان يرمزان إلى قرنْي الشيطان الذي هو السيد المعبود عندهم، فكل الأخويات المنبثقة من أخوية بابل الآرية تعتمد عبادة الشيطان والدجال والعياذ بالله.

والتضحية بالبشر وسفك الدماء من ركائز الديانة الشيطانية البابلية، ولهذا فهم يقيمون الحروب المدمرة ويقتلون البشر تقرباً للشيطان الأكبر.

ومن الأسماء التي حملها نمرود اسم تموز واسم مولوخ السحلية الطائرة ومن طقوسهم حرق الأطفال أحياء تكريماً لهذين الإلهين تموز ومولوخ!!

ومن الآلهة التي راج ذكرها في طقوس عبدة الشيطان المتعلقة بالتضحية بالأطفال الإله كروتوس المعروف في الأساطير اليونانية والذي عرف بأنه باني البرج وهو نسخة أخرى من النمرود.

وموضوع عبادة الشيطان يحتاج إلى تفصيل أكثر ليس مجاله هنا.

النمرود وأعياد الميلاد رأس السنة الميلادية وشجرة الميلاد

بالإضافة إلى الرموز توجد الأعياد البابلية التي دخلت إلى الديانات الأخرى كالمسيحية وظنها أتباع تلك الديانة أنها من عقائدهم لكنها في الحقيقة مستجلبة من عقائد النمرود الوثنية مثل عقيدة التثليث مثلاً والصلب والفداء.

ففي كتيب صغير بعنوان «الحقيقة المجردة» يقول مؤلفه «هربرت أرمسترونج»: من أين جاءنا عيد الميلاد، من الكتاب المقدس أم من الوثنية؟

تقول دائرة المعارف إن كلمة عيد الميلاد لم ترد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ولم تنقل عن الحواريين وإنما تسربت إلى المسيحية من الوثنية.

ويضيف الكاتب:

بما أن الاحتفال بعيد الميلاد إنما جاء عن طريق الكنيسة الكاثوليكية، ولم يكن مرتكزاً إلى أية سلطة سوى سلطة تلك الكنيسة فدعونا نقرأ ما تقوله دائرة المعارف الكاثوليكية عن هذا الاحتفال في طبعة ١٩١١ م وهذا نصه:

«لم يكن عيد الميلاد واحداً من الأعياد الأولى للكنيسة الكاثوليكية، وأول دليل على هذا الاحتفال إنما جاء من مصر.. فقد تحولت العادات الوثنية الخاصة ببداية شهر يناير في التقويم الروماني القديم، تحولت إلى عيد الميلاد، ويعترف أول الآباء الكاثوليك بالحقيقة التالية: لم يسجل الكتاب المقدس أن أحداً كان يحتفل أو أقام مأدبة كبيرة بمناسبة يوم ميلاده، إن الآثمين والخطائين -مثل فرعون وهيرود- هم وحدهم الذين يجعلون من يوم مجيئهم إلى هذا العالم مناسبة للابتهاج العظيم».

أما دائرة المعارف البريطانية فهي تقول في طبعة ١٩٤٦ م:

«.. ولم يوجد - أي عيد الميلاد - لا المسيح ولا الحواريون ولا نص من الكتاب المقدس بل أخذ - فيما بعد - عن الوثنية»).

وينقل «هربرت أرمسترونج» عن دائرة المعارف الأمريكية في طبعة ١٩٤٤ م قولها:

«وفي القرن الرابع الميلادي بدأ الاحتفال لتخليد ذكرى هذا الحدث أي ميلاد المسيح، وفي القرن الخامس أمرت الكنيسة الغربية بأن يحتفل به إلى الأبد في يوم الاحتفال الروماني القديم بميلاد «سول»، نظراً لعدم معرفة ميلاد المسيح معرفة مؤكدة».

ويقول الكاتب:

إن المسيح لم يولد في الشتاء بأدلة من الأناجيل مفادها أن الرعاة كانوا يحرسون أغنامهم ليلاً وقت ميلاد المسيح، وهو أمر لم يكن يحدث في فلسطين شتاء، وإنما قبل منتصف أكتوبر!!

ويضيف «هربرت أرمسترونج» عن دائرة معارف تشاف-هيرزج الجديدة للمعرفة الدينية قولها:

«ليس باستطاعتنا أن نقرر بدقة إلى أي مدى اعتمد تاريخ الاحتفال بعيد الميلاد على احتفال «بروماليا» الوثني وتاريخه هو الخامس والعشرون من ديسمبر، الذي كان يلي احتفال «ساتورناليا» الذي كان يمتد من السابع عشر من ديسمبر إلى الرابع والعشرين منه، أي على مدى أسبوع كامل، وأيضاً على الاحتفال بأقصر يوم في السنة وبالشمس الجديدة، فقد كان احتفالا «ساتورناليا» و«بروماليا» الوثنيان راسخين بشدة في العادات الشعبية بحيث إنه كان من الصعب على المسيحيين أن يتجاهلوهما.. ولذا كانت لهذين الاحتفالين ببهرجهما وصخبهما ومرحهما وبهجتهما شعبية كبيرة بحيث إن المسيحيين سعدوا حين وجدوا سبباً لكي يواصلوا الاحتفال بهما مع إحداث تغيير طفيف في روحهما وأسلوبهما، وقد احتج الوعاظ المسيحيون في الغرب وفي الشرق الأدنى على الطريقة العابثة التافهة التي تم الاحتفال بها بمولد المسيح، بينما اتهم مسيحيو ما بين

النهرين - دجلة والفرات - أخوانهم الغربيين بالوثنية وعبادة الشمس باتخاذهم هذا الاحتفال الوثني عيداً مسيحيًّا».

يجب أن نتذكر أن العالم الروماني كان وثنيًّا، وكان المسيحيون قبل القرن الرابع الميلادي قلة من حيث العدد - وإن كانوا يتزايدون - وكانت الحكومة والوثنيون يضطهدونهم، ولكن بتنصيب قسطنطين إمبراطوراً، وهو الذي اعتنق المسيحية في القرن الرابع واضعاً إياها بقدم المساواة مع الوثنية، بدأ مئات الألوف من سكان العالم الروماني يقبلون المسيحية التي أصبحت وقتها ذات شعبية، وعلينا أن نتذكر أن هؤلاء الناس نشأوا وترعرعوا في خضم العادات والتقاليد الوثنية التي كان أبرزها هذا الاحتفال الوثني الذي يقام في الخامس والعشرين من ديسمبر، والذي كانوا يستمتعون به، والذي لم يكونوا راغبين في التخلي عنه.

ونفس هذا المقال الوارد في دائرة معارف تشاف - هيرزج يشرح كيف أعطى اعتراف قسطنطين بيوم الأحد (يوم الشمس) كان يوم عبادة الشمس عند الوثنيين، وكيف أعطت تأثيرات العقيدة المانوية (وهي ديانة فارسية يقوم على الصراع بين النور والظلمة) والتي كانت ترى أن ابن الإله هو والشمس شيء واحد، كيف أعطى هذان الأمران - اعتراف الإمبراطور قسطنطين بيوم عبادة الشمس، وتأثيرات المذهب المانوي - وثنيي القرن الرابع الذين كانوا يبحثون عنه لتسمية الخامس والعشرين من ديسمبر، وهو تاريخ مهرجانهم الوثني الذي يحتفلون فيه بمولد الشمس الإله، لتسميته عيد ميلاد ابن الإله.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هو أصل عيد الميلاد أو عيد الشمس عند الوثنيين؟

والإجابة كامنة عند أهل بابل وعند النمرود نفسه فقد كان النمرود طاغية شريراً أظنه المسيح الدجال نفسه في أحد ظهوراته على العالم وقد ذكرنا أنه من نسل قابيل بن آدم وذكرنا أيضاً أن نوحاً تزوج بامرأة من نسل قابيل وأنجب منها كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه.

ويقال إنه تزوج أمه التي كان اسمها سمير أميس، وبعد موته المفاجئ نشرت

سمير أميس عقيدة شريرة مفادها أن نمرود ظل على قيد الحياة في شكل كائن روحي، وادعت أن شجرة مخضرة اخضراراً دائماً نبتت ذات ليلة في جذع شجرة ميتة، وهو ما يرمز إلى انبثاق حياة جديدة من الميت نمرود، وزعمت سمير أميس أن نمرود يزور تلك الشجرة الدائمة الاخضرار في ذكرى عيد ميلاده من كل سنة ويترك فوقها هدايا، وكان تاريخ ميلاد نمرود الخامس والعشرين من ديسمبر، وهذا هو الأصل الحقيقي لشجرة عيد الميلاد.

ونجحت سمير أميس في خططها لكي تصبح «ملكة السماء المقدسة» وأصبح نمرود-تحت أسماء عديدة - «ابن السماء المقدس».

وعلى مر العصور أصبح نمرود في طقوس العبادة الوثنية هذه هو المسيح الدجال ابن بعل إله الشمس، وفي هذا النظام البابلي أصبحت الأم والطفل- سميراميس ونمرود الذي ولد مرة أخرى - أصبحا محور تلك العبادة، أي محور عبادة المسيح الدجال نفسه التي سيخرج آخر الزمان ليدعي الإلوهية مرة أخرى.

وقد انتشرت عبادة «الأم والطفل» هذه في أنحاء العالم، وتعددت أسماؤها في البلدان والأقطار المختلفة، ففي مصر سميا «ايزيس وأوزوريس» وفي آسيا «سيبيلي وديويس» وفي روما الوثنية «فورتشيونا وجوربيتربور»، وفي اليونان والصين واليابان والتبت وجد مثيل «للأم والطفل» قبل ميلاد المسيح بزمن طويل.

وهكذا استطاع أتباع المسيح الدجال أو النمرود والدجال من اختراق المسيحية وتضليل أهلها.

ومن الأمور الوثنية التي توجد في احتفالات عيد الميلاد الكريسماس في الغرب تلك الشجرة الخضراء التي يعلقون عليها الهدايا، وهذه العادة أيضاً وثنية الأصل فقد كانوا يعلقون على شجرة يقولون إنها مقدسة رموزهم وعلاماتهم.

إن الوثنيين القدامى كانوا يحتفلون بالشجرة المقدسة وكانوا يسمونها شجرة الحياة ويعلقون عليها الذهب والفضة وصوراً وتماثيل الحيوانات وكذلك يزينونها بالشرائط

والزهور، ثم يوقدون العديد من الشموع ويحيطونها بها، ويرقصون حول الشجرة احتفالا بالعيد وخلال الرقص يتركون الشموع تحترق إلى الفجر ومن هنا جاءت عادة شجرة نويل عند المسيحيين.[١]

ويعود أمر هذا الدمج بين احتفالات وطقوس أعياد الميلاد في المسيحية الغربية وبين المعتقدات البابلية وعبادة النمرود الأمر يرجع إلى الإمبراطور «كونستانتان العظيم» الذي كان يعي جيدا الدور الذي كان يلعبه الدين في روما القديمة. وقرر منح دين المسيح الذي حاربته روما طويلا مكانة دين رسمي في الإمبراطورية، بعد أن تكاثر أتباعه من الرومان أنفسهم؛ وهكذا جلب الأمن الداخلي للإمبراطورية. وأرغم «كونستانتان» جميع وثنيي بلاده على اتخاذ أسماء مسيحية بما أن الدين الجديد أصبح هو الدين الرسمي للدولة.

وأصبح من الضروري توحيد الديانتين حتى يتجنب النزاعات والصراعات التي قد تؤدي إلى حرب أهلية. فكان مؤتمر «نيقا» الشهير في سنة ٣٢٥ بعد الميلاد الذي حضره الرهبان من الجانبين وتم فيه الاتفاق على المزج بين الديانتين بإدخال عقائد قريبة من الشرك في الدين الموحد مثل عقيدة التثليث وغيرها من العقائد.

فأصبحت بذلك كنيسة روما تعج بالرهبان الوثنيين الذين أضبحوا يحملون أسماء مسيحية ويتبعون المسيح الذي حرفت ديانته. فكانت فرصتهم لتمسيح عقيدتهم الوثنية. وهكذا تم إدماج المعتقدات والشعائر التعبدية البابلية.

هكذا استطاع المسيح الدجال بواسطة أتباعه اختراق المسيحية كما فعل مع غيرها من الشرائع الأخرى.

١- بابا نويل بشكله الحالي وبهداياه للأطفال فلم يتم إدماجه في المعتقد المسيحي إلا في بداية ثلاثينيات القرن العشرين. فقد تم ابتداع هذه الشخصية ذات اللباس الأحمر والأبيض وتم الترويج له من طرف شركة «كوكاكولا». وهي التي دفعت في اتجاه تعميمه بحيث أصبحنا نراه في مختلف بلاد العالم، حتى الإسلامية. ولا زالت مزايا «بابا نويل» وعطاياه للأطفال وكذلك قدراته العجيبة يتم الترويج لها بشكل مكثف من طرف السينما العصرية.



صورة للنمرود عند الأخويات السرية والماسونية نصف إنسان ونصف سمكة.

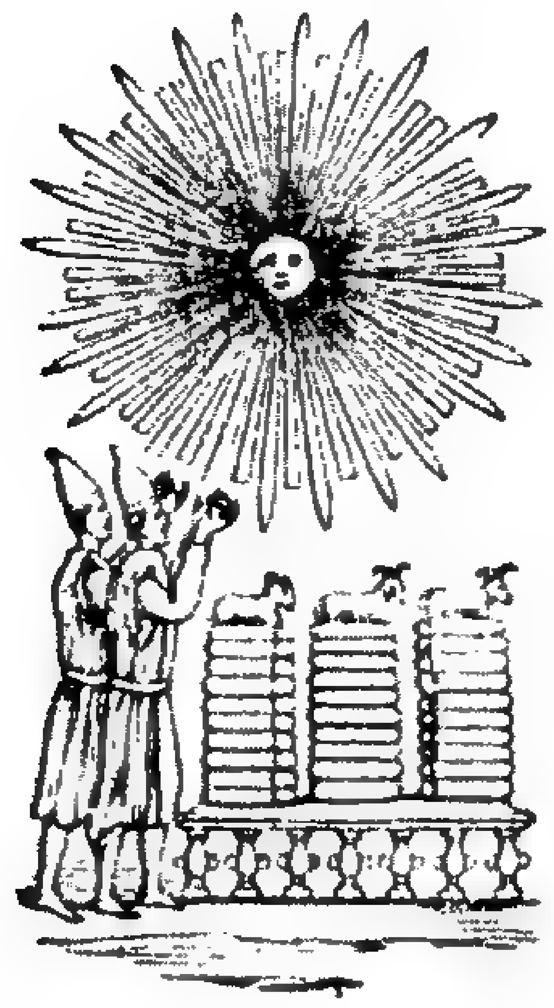


نقش آشوري للملك النمرود.

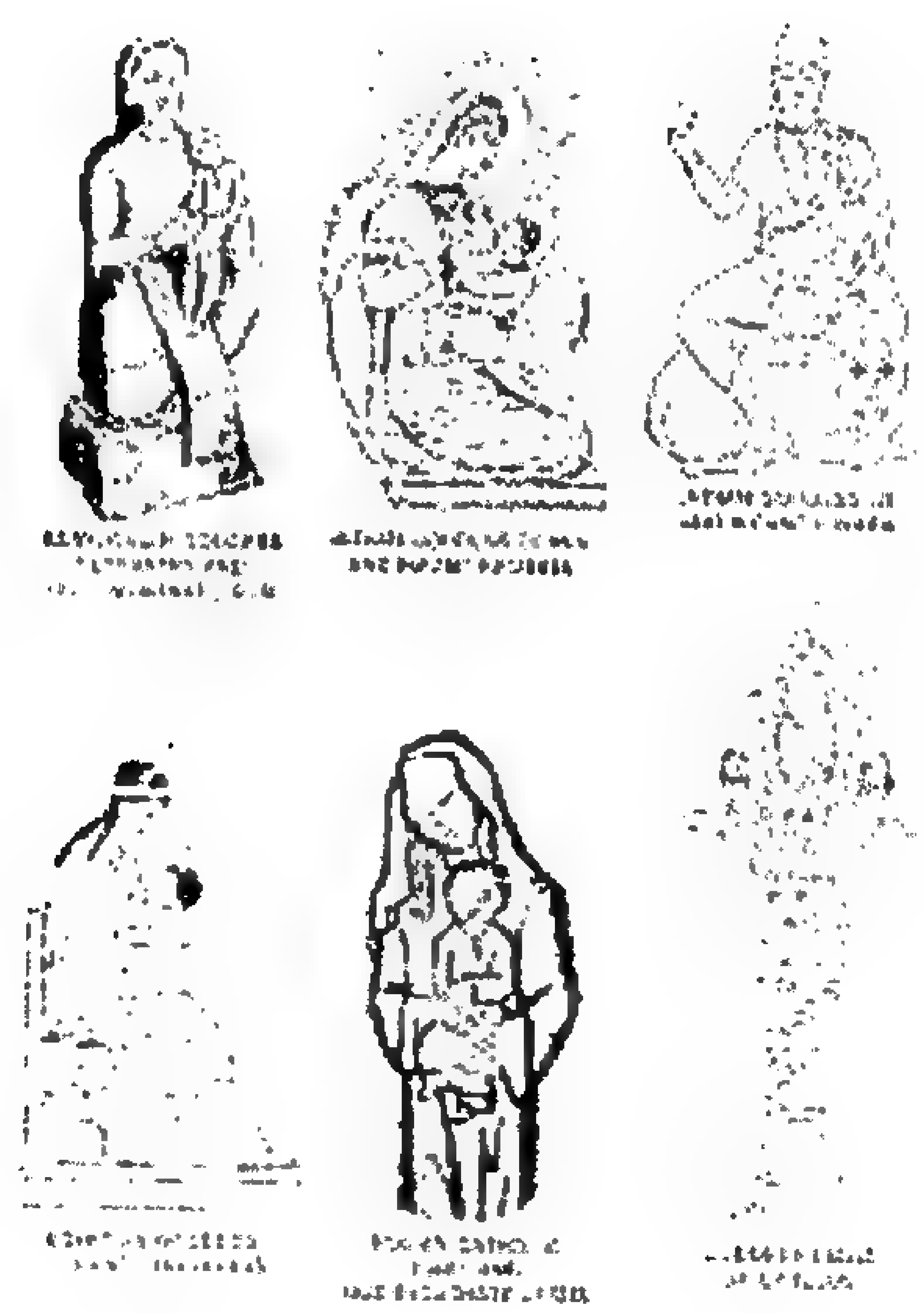


رسم إيطالي بصور سميراميس رمز الأمومة وهي تحمل تموز أشبه بالسيدة مريم العذراء.

Fig. 38.



النمرود والملكة سميراميس إلهة شمسية عند البابليين القدماء وعند الماسون الآن.



الجمعيات السرية الآرية تعتبر أم حورس العذراء وزوجة إله الشمس أوزيريس هي التي ترمز إلى أم الإله وتعتبر إيزيس نسخة من الملكة سميراميس زوجة النمرود الذي يعتبرونه إله الشمس.



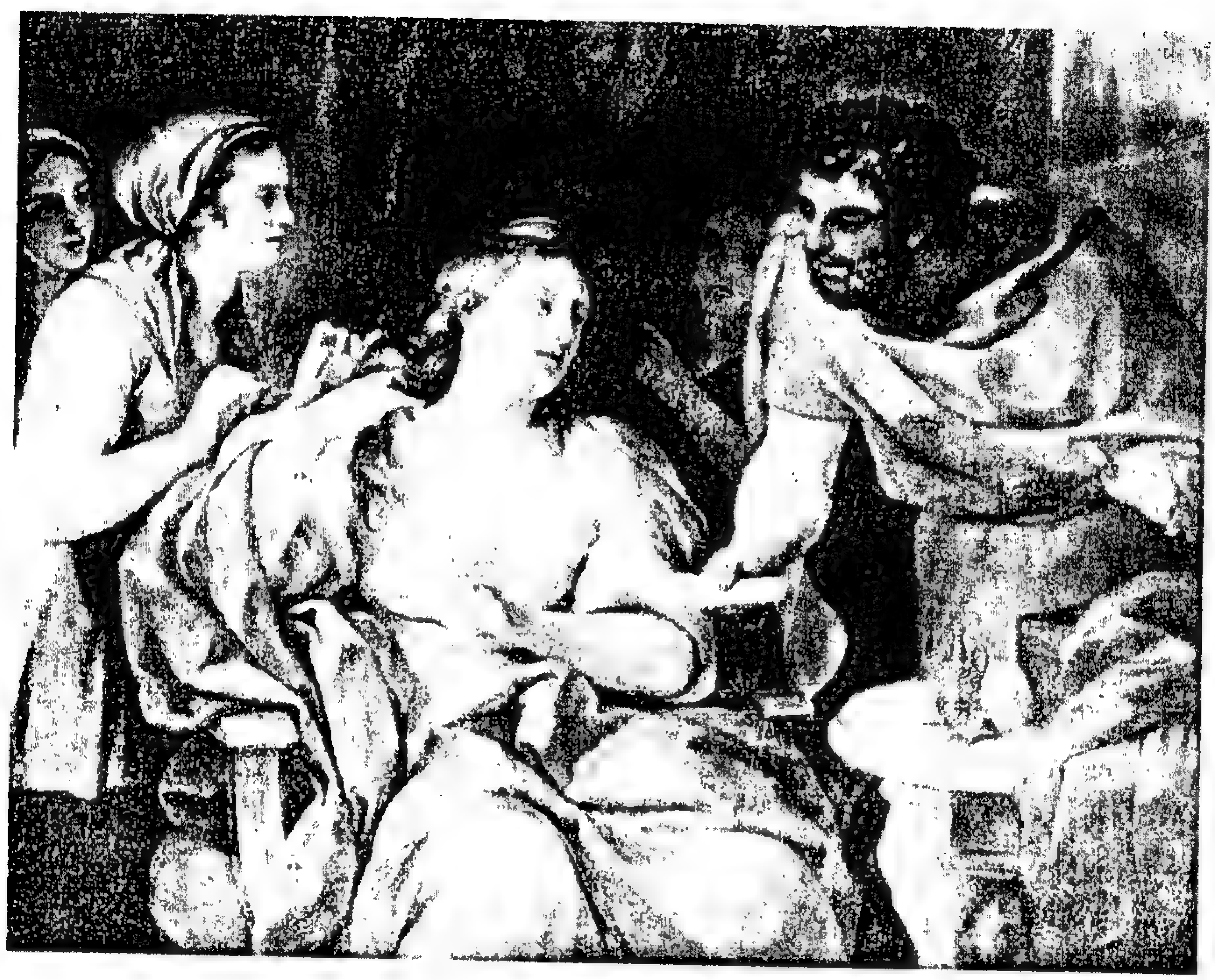
الصورة توضح أسطورة الملكة سميراميس عند البابليين القدماء وأسطورتها وكيف أنها آلهة الشمس عندهم وعند الماسون أيضاً.



نصب أو منحوتة للملكة سميراميس هي مزينه بالحلي الذهبية الملكية.



شجرة الميلاد.



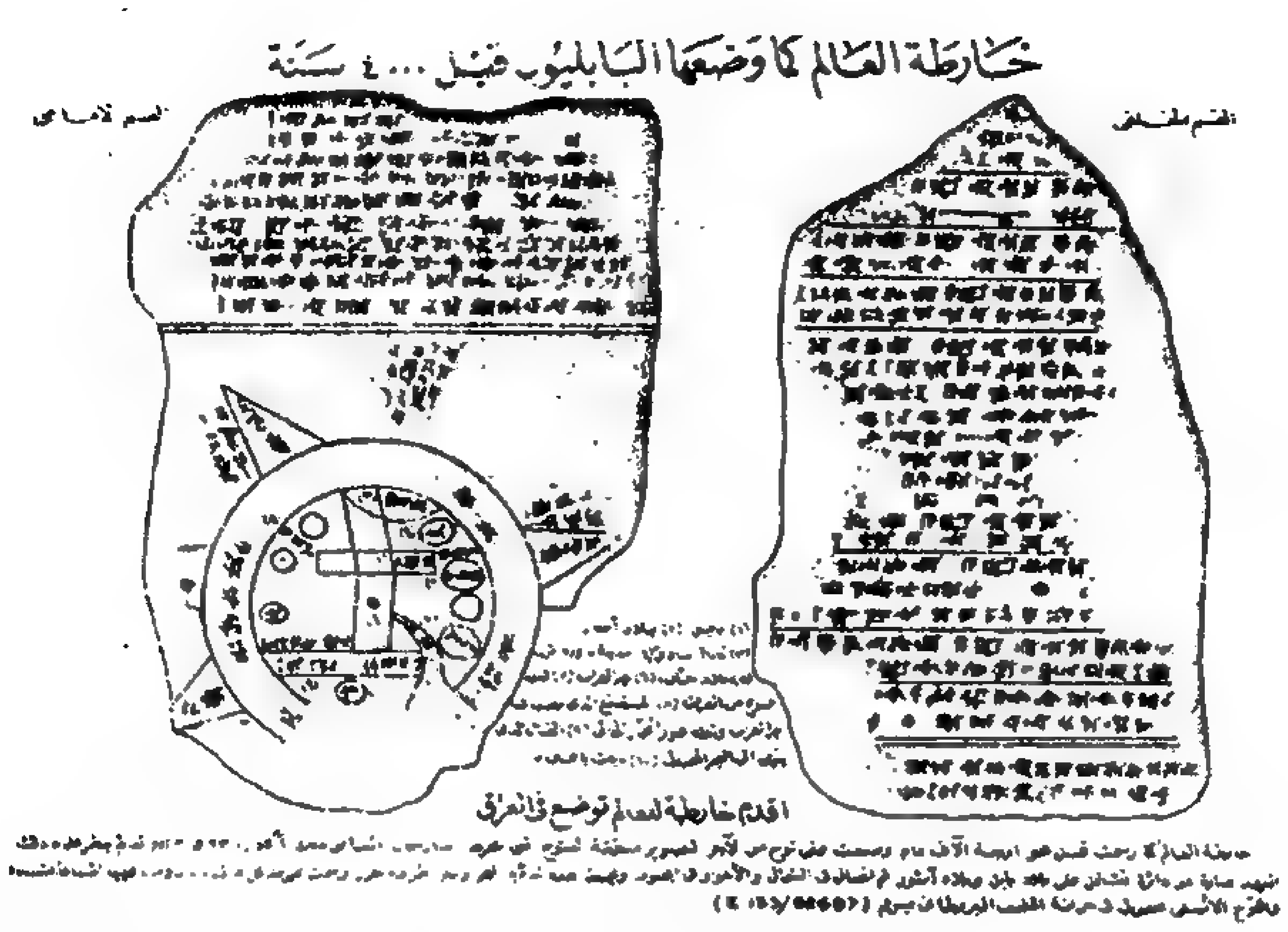
لوحة زيتية توضح الملكة سميراميس تتسلم رسالة.



الملكة سميراميس في منحوتة على الطابع الإغريقي.



شعار أخوية العظام والجمجمة في أمريكا.



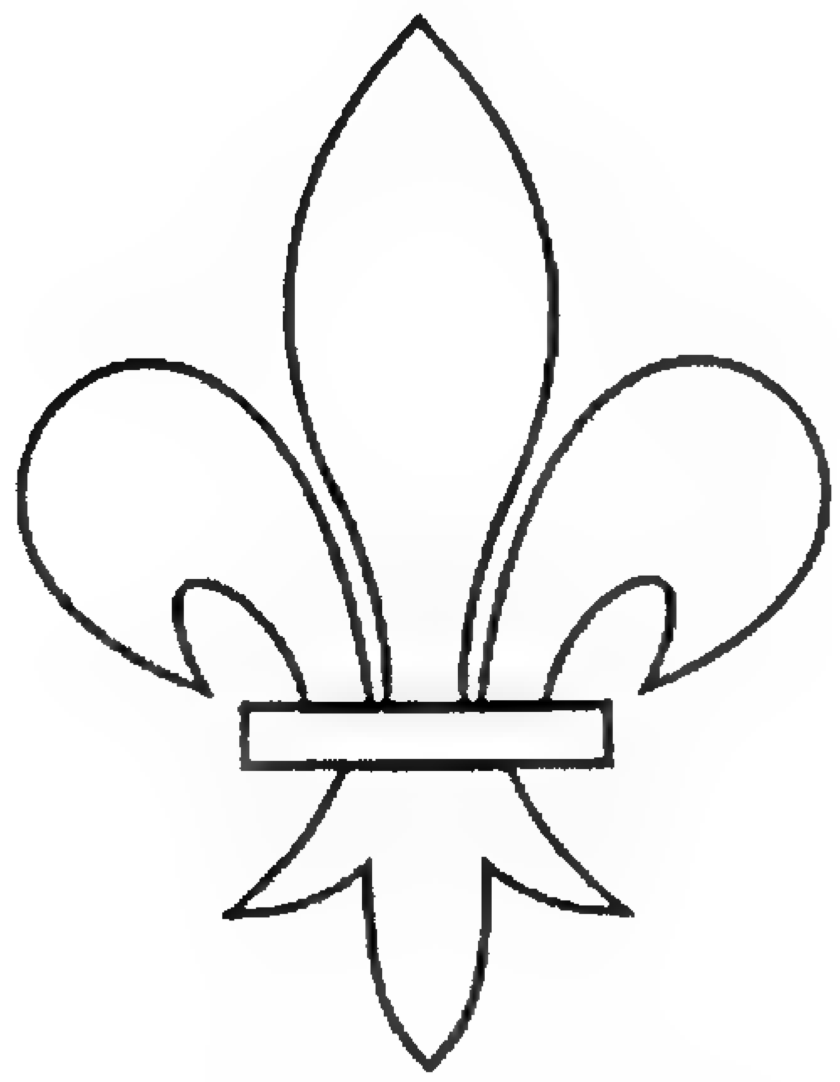
خريطة توضح العراق قديماً (بابل وأشور) والعراق حالياً وأهم المدن الأثرية هناك.



صورة توضح أسطورة الملكة سميراميس البابلية.



أنقاض مملكة كوماجين في جبل النمرود.



زهرة الزنبق أحد رموز تمثل الثالوث البابلي (نمرود - سميراميس - تموز).

كلمة أخيرة

النمرود هو المسيح الدجال

سؤال يطرح نفسه بعد ما عرضناه من أمر النمرود، هل النمرود هو نفسه المسيح الدجال؟ أم إنه يشبهه في أمور عدة منها ادعاؤه الإلوهية وإنه سعى لحكم العالم وأنشأ دولة موحدة أو حكومة موحدة ونظام عالمي موحد؟

وللإجابة على هذا السؤال نعود قليلًا لأوصاف الدجال وهل من الممكن أن يكون حاضرًا في الزمن البعيد وحتى الزمن الأخير؟

نعم الدجال عاش الزمن الأول القديم للبشرية فهو قديم ومن المنظرين كما ذكرنا ذلك في أحداث سابقة لنا والدليل أن كل الأنبياء قد أنذروا قومهم الدجال كما قال صلى الله عليه وسلم ورواه أصحاب السنن حيث قال:

«أنذركم الدجال، فإنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد أنذره أمته، وهو كائن فيكم أيتها الأمة». [1]

وقال: «أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر أمته». [2]

وقال: «إني لأنذركموه، ما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذره نوح قومه».[3]

أي أن الدجال كان موجودًا منذ الزمن البعيد، فهو حقيقة فالأنبياء لا ينذرون أقوامهم بالأوهام فهم ينذرون أقوامهم بأمر ربهم من خطر يداهمهم متوقع، وهذا يعني أمرين إما أن الدجال كان متوقع أن يظهر في أي زمان وأن له ظهورات كثيرة متعددة أي أنه قد ظهر أكثر من مرة في زمن الأنبياء؟

١- رواه أحمد في المسند وفي رواية «ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته به أنذره نوح والنبيون من بعده».

٢- المرجع السابق.

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (متفق عليه).

ولأن من عاداتي أني أعرض رأيي واستنتاجاتي ولا أفرضها، فإني أرى أن المسيح الدجال أو الدجال كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة قد ظهر في عصور قديمه زمن الأنبياء السابقين على النبي صلى الله عليه وسلم بأشكال مختلفة ولم يبقَ إلا ظهوره الأخير في هذه الأمة وهو الأخير في شكل المسيح أي يدعي نفسه المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام.

ولهذا حين تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن ظهورات الدجال في العصور القديمة قبله ذكره بوصفه الدجل ولم يسمه، لأن أسماءه ستكون متعددة حسب كل زمان يظهر فيه، أما حين تحدث عن ظهوره الأخير فذكره باسم المسيح الدجال. (١)

١- الدجّال: الكذّاب، من الدَجَل والتغطية، وسُمّي الكذاب دجّالاً لأنّه يغطي الحقَّ بالباطل، أو هو المُموِّه، فالدجّال يُلبس على الناس ويموّه لهم، وقيل سُمّي دجّالاً من دَجَلَ إذا ساح في الأرض.

وفي (لسان العرب) والدَّاجِل: المُمَوِّه الكَذَّاب، وبه سمي الدَّجَّال.

والدَّجَّال هو المسيح الكذاب، وإنما دَجْلُه سِحْره وكَذِبُه. ابن سيده: المسيح الدَّجَّال رجل من يَهُود يخرج في آخر هذه الأُمة، سمي بذلك لأَنه يَدْجُل الحَقَّ بالباطل.

وفي (القاموس المحيط) الدُّجَيْلُ، كزُبَيْرٍ وثُمامَةٍ: القَطِرانُ.

ودَجَلَ البَعيرَ: طَلاهُ به، أو عَمَّ جِسْمَهُ بالهِناءِ.

ومنه: الدَّجَّالُ المَسيحُ: لأَنَّه يَعُمُّ الأرضَ.

أو دَجَلَ: كذَبَ وأحْرَقَ، وجامَعَ، وقَطَعَ نَواحِيَ الأرض سَيْراً، أو مِن:

دَجَّلَ تَدْجيلاً: غَطَّى وطَلَى بالذَّهَبِ لتَمْويهِهِ بالباطِلِ،

أو مِنَ: الدُّجالِ: للذَّهَبِ أو مائِهِ، لأنَّ الكُنوزَ تَتْبَعُهُ،

أو من دُجَّلِ الناسِ: لِلُقَّاطِهِم، لأنهم يَتْبَعونَهُ.

ودِجْلَةُ، بالكسرِ والفتح: نَهْرُ بَغدادَ.

قال أهلُ اللغة: الدَّجل: تمويهُ الشَّيء، وسُمّي الكذّابُ دجّالاً.

ومن الباب الدّجّالة: الجماعة العظيمة تحمل المتاع للتجارة.

ويقال دَجَّلْتُ البعير، إذا طلَيته بالقَطِران؛ والبعير مدجَّلٌ.قال ابنُ دريد: كلُّ شيءٍ غطّيته فقد دجَّلتَه.

وإليكم هذا الحديث الجامع الشامل عن الدجال وظهوره في الأمة المحمدية آخر الزمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة.

فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم.

وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينا وشمالا. يا عباد الله! أيها الناس! فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي. إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول: «أنا ربكم» ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب. وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم. وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: «أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟» فيقول: «نعم» فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: «يا بني اتبعه فإنه ربك».

وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين ثم يقول: «انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه» ثم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث: «من ربك ؟»

فيقول: «ربي الله وأنت عدو الله. أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم».

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح

مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعا. وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

قيل: فأين العرب يومئذ؟

قال: هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس. وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح. فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفه ثم يقول له: «تقدم فصل فإنها لك أقيمت».

فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: «افتحوا الباب» فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج.

فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا. ويقول عيسى: «إن لي فيك ضربة لن تسبقني» فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: «يا عبد الله المسلم. هذا يهودي فتعال اقتله».

فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في (فم) الحية فلا تضره وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى

يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات. قالوا: يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: لا تركب لحرب أبدا قيل: فما يغلي الثور قال: تحرث الأرض كلها.

وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا يبقى ذات ظلف إلى آخر الحديث. (صحيح الجامع - الألباني).

عن نافع عن ابن عمر قال - قال رسول الله أراني في المنام عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما ترى من الرجال لمة قد رجلت ولمته تقطر ماء واضعا يده على عواتق رجلين يطوف بالبيت رجل الشعر فقلت من هذا فقالوا المسيح ابن مريم ثم رأيت رجلا جعدا قططا أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على عواتق رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا هذا المسيح الدجال. (رواه أحمد في المسند).

فالدجال شخص من ذرية آدم خلقه الله لابتلاء وامتحان البشر كما خلق إبليس لتلك المهمة وهو من الجن أي لا يراه الإنسان العادي، فإبليس شيطان الجن الأكبر والدجال شيطان الإنس الأكبر، وكلاهما من المنظرين لوقت يعلمه الله تعالى.

وقد ذكر البعض اجتهاداً منهم أن الدجال هو قابيل بن آدم عليه السلام الذي قتل أخاه هابيل وهرب بعد قتله وله ذرية، ولكنني أرى أنه أحد أحفاد قابيل والله أعلم.

وكذلك أرى أن الدجال له أكثر من ظهور على مر التاريخ منها ظهوره بعد الطوفان وتأسيسه لمملكة عالمية وادعاؤه الإلوهية فظهر باسم الملك النمرود، وله ظهورات أخرى لا مجال لذكرها هنا، وآخر ظهور له يكون باسم المسيح حيث يدعي كذبًا أنه المسيح ابن مريم، ولهذا يكون مهلكه على يد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ومن مقدمات ظهور الدجال الأخير سيطرته على العالم بوساطة أتباعه من اليهود والصهاينة وغيرهم من الماسونية العالمية التي تحكم العالم الآن باسمه وتحت دعوى تحقيق النظام العالمي الجديد والحكومة العالمية ومن خطواتهم العملية إقامة الاتحاد الأوروبي وتوحيد العملة النقدية لدول الاتحاد تمهيدًا لإلغاء نظام العملات الورقية.

وقبل إلغاء نظام العملات النقدية يقوم أتباع الدجال بصناعة انهيار اقتصادي للعالم ثم إعلان نظام اقتصادي أي عالمي موحد، وفي هذا يقول دافيد سبانجلير مدير المبادرة الكوكبية للأمم المتحدة: لا أحد سيدخل النظام العالمي الجديد ما لم سيتعهد بعبادة إبليس، فلا أحد سوف يدخل ما لم سينال تكريسًا شيطانيًّا لهذا العصر الجديد.

وأدوات هذا النظام العالمي الجديد هي : جيش دولي موحد وقوة شرطة دولية وبنك دولي موحد، وحكومة خاضعة للأمم المتحدة ودين عالمي موحد بعد إلغاء كل الديانات الحالية والسيطرة على الزراعة وغذاء العالم.

ومن لا يوافق على هذا النظام الجديد العالمي سيتم سجنه في سجون تحت الأرض.

يقول ديفيد روكفلر متحدثًا في الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ «نحن على أعتاب تحول عالمي وكل ما نحتاجه هو أزمة عالمية مناسبة حتى تقبل جميع الدول بالنظام العالمي الجديد».

لكننا نؤمن أن الحق سوف ينتصر في النهاية مهما فعل الباطل ومهما ظن البعض أنه في علو وانتصار، فدولة الباطل إلى زوال وانحدار ودولة الحق إلى علو وانتصار كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة : ٢١]. ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا عملنا هذا وسائر أعمالنا الصالحة وأن تكون في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه

المؤلف



ديفيد سبانجلر - مدير المبادرة الكوكبية في الأمم المتحدة.



صورة تعبر عن النظام العالمي الجديد وما سيفعله بالعالم.

أهم المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- مسند الإمام أحمد.

٥- صحيح الجامع للألباني.

٦- تفسير ابن كثير.

٧- تفسير القرطبي.

٨- الأسرار الكبرى للماسونية - منصور عبدالحكيم.

٩- إبراهيم عليه السلام - الأستاذ عباس محمود العقاد.

١٠- السر الأكبر - ديفيد أيكه.

١١- أحجار على رقعة الشطرنج - وليم غاي كاي.

١٢- علوم البابليين - مرجريت روتني - ترجمة: يوسف حبي.

١٣- البداية والنهاية - لابن كثير.

١٤- تاريخ الطبري.

١٥- طوفان نوح العظيم - منصور عبدالحكيم.

١٦- العهد القديم والعهد الجديد.

١٧- الموسوعة البريطانية.

١٨- لغة العرب - الأب آنستاس الكرملي.

١٩- موسوعة ويكيبديا - الموسوعة الحرة على الإنترنت.

٢٠- مواقع على الإنترنت عديدة.

٢١- مدارس العراق قبل الإسلام - روفائيل إسحاق.

٢٢- إمبراطور كل الأرض - ف.ى كرلوف.

الكاتب في سطور

- منصور عبدالحكيم محمد عبدالجليل.
- من مواليد القاهرة ١٩٥٥.
- حاصل على ليسانس في الحقوق جامعة عين شمس ١٩٧٨م.
- يعمل بالمحاماة والكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية له العديد من الإصدارات والأبحاث في الصحف والمجلات العربية والإسلامية واللقاءات على الفضائيات العربية وترجمت بعض كتبه للغة الإنجليزية ولغات أخرى. وعدد الكتب التي صدرت له حتى عام ٢٠١٣ عدد ١٥١ كتاباً متنوعاً أثْرَت المكتبة العربية والإسلامية.

من الكتب التي صدرت له:

- السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان.
- نهاية العالم وأشراط الساعة.
- عشرة ينتظرها العالم.
- تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.
- يأجوج ومأجوج من البداية إلى الفناء.
- البداية فتن والنهاية ملاحم.
- واقتربت الساعة.
- أقدم تنظيم سري في العالم.
- العالم رقعة شطرنج.
- من يحكم العالم سرًّا؟
- أسرار الماسونية الكبرى.
- أوراق ماسونية سرية للغاية.
- الإمبراطورية الأمريكية - البداية والنهاية.
- العراق أرض الفتن والنبوءات.

- بلاد الشام أرض الأنبياء والنبوءات.
- بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.
- نيويورك وسلطان الخوف.
- معجزات الشفاء بالحجامة.
- طارد الجن.
- مواجهة الجن.
- موائد الشيطان.
- الأعشاب والجن.
- دعوة للزواج.
- عرش إبليس ومثلث برمودا.
- نهاية العالم قريباً.
- نهاية دولة إسرائيل ٢٠٢٢م.
- الحرب العالمية الثالثة قادمة.
- المهدي المنتظر.
- نهاية ودمار أمريكا وإسرائيل.
- شهداء الصحابة.
- نساء أهل البيت النبوي.
- زوجات الأنبياء والرسل.
- بنات الصحابة.
- النساء المبشرات بالجنة.
- النساء المبشرات بالنار.
- الفراسة في معرفة الآخرين.
- ازدراء وإيذاء الأنبياء.
- بيوت الرسول والصحابة حول المسجد النبوي.
- جبريل عليه السلام أمين الوحي الإلهي.

- الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة.
- المهدي في مواجهة الدجال.
- الشام على أعتاب النهاية.
- أبونا آدم عليه السلام.
- الحرب السابعة ونهاية اليهود.
- هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل.
- السفياني صدام آخر على وشك الظهور.
- مؤامرات وحروب من ورائها الماسونية.
- حكومة الدجال الماسونية الخفية.
- هلاك الأمم من قوم نوح إلى قوم عاد الثانية.
- دولة فرسان مالطا.
- الثالوث الغامض - أطلانتس - برمودا - الأطباق الطائرة.
- عالم السحر والسحرة والمسحورين.
- الحياة الأخرى.
- عالم الملائكة الكرام.
- أصحاب البروج في مواجهة أصحاب الكهوف.
- صلاح الدين المنتظر.
- جينكيز خان إمبراطور الشر.
- هولاكو مارد من الشرق.
- تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.
- معاوية بن أبي سفيان أمير الدهاء.
- عمرو بن العاص - داهية العرب.
- خالد بن الوليد قاهر القياصرة والأكاسرة.
- رضوان حارس الجنة.
- مالك خازن النار.

- إسرائيل وأهوال القيامة.
- يوم الحشر.
- ملك الموت.
- أعمال يحبها الله.
- القرين العدو الحقيقي للإنسان.
- السلطان عبدالحميد الثاني آخر السلاطين المحترمين.
- مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر.
- جهنم في الديانات السماوية.
- حرب الفيروسات ونهاية العالم.
- سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم.
- عظماء ومشاهير اغتالتهم الماسونية.
- الحجاج بن يوسف الثقفي - طاغية بني أمية.
- الدجال في مواجهة الوحي الإلهي.
- المسيح في مواجهة الدجال.
- التمهيد الأخير لظهور الدجال.
- هارون الرشيد المفترَى عليه.
- السلطان قطز بطل عين جالوت.
- أبناء في الجنة وآباء في النار.
- بر الوالدين وعقوقهما وصلة الأرحام.
- بروتوكولات حكماء صهيون والمخططات الماسونية.
- الشفاء بالأحجار الكريمة.
- مثلث برمودا مقبرة الأطلنطي.
- الثورات الشعبية والماسونية.
- هاروت وماروت بين الحقيقة والخيال.
- جنود الله وهلاك الظالمين من البعوضة للفيس بوك.

- الحرب العالمية الأخيرة.
- الشيطان وصراعه مع الإنسان.
- عبدالله بن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام.
- الدولار الأمريكي الشفرة المقدسة للنظام العالمي الجديد.
- لعبة المتنورين والنظام العالمي الجديد.
- آل روكفلر تجار الموت وأعوان الدجال.
- الدولة العثمانية وسلاطين بني عثمان.
- طوفان نوح العظيم.
- السلطان سليمان القانوني وحريم السلطان.
- الشام على أعتاب النهاية.
- عبد الله بن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام.
- السلطان العاشق.. سليمان وهيام.
- تركيا من الخلافة إلى الحداثة.
- الملك النبي سليمان عليه السلام.
- المؤامرة الكبرى على العالم.
- يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل.
- مردوخ إمبراطور الإعلام العالمي.
- حديث الفتن والثورات.

وكتب أخرى متنوعة تطلب جميعها من دار الكتاب العربي (دمشق - القاهرة) والمكتبات الكبرى.

الفهرس